دراسات الأديان

بحوث في مقارنة الأديان

الدكتور
محمد عبد الله الشرقاوي



دار الفكر العربي

دراسات فى الأديان

١

بحوث فى مقارنة الأديان

دكتور

محمد عبد الله الشرقاوى

أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ – فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٩١ محمد عبد الله الشرقاوى.

م ح م ق مقارنة الأديان: بحوث ودراسات/ محمد عبد الله الشرقاوى. - القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٠.

٣٧٤ ص؛ ٢٤ سم. - (سلسلة فى دراسة الأديان).

ببليوجرافية: ص ٣٦٣ - ٣٦٩.

تدمك: ٤ - ١٣١١ - ١٠ - ٩٧٧.

١ - الديانات المقارنة. ٢ - المسيحية. ٣ - اليهودية.

أ - العنوان. ب - السلسلة.

أميرة للطباعة

٥ شارع محمود الخضرى - عابدين

ت: ٣٩١٥٨١٧ محمول: ٠١٠١٤٥٦٠٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذه الطبعة

الحمد لله الذى وفقنا إلى إخراج الطبعة الأولى من كتابنا هذا منذ ثلاث عشرة سنة، والحمد لله الذى وفقنا إلى إصدار مجموعة من البحوث والتحقيقات العلمية والترجمات فى حقل (مقارنة الأديان) ؛ ذلك الحقل الذى أهمل إهمالاً معيبًا فى جامعاتنا المصرية والعربية والعالمية؛ على الرغم من احتفاء الجامعات الكبرى به، فى غرب العالم وشرقه على السواء، وعلى الرغم من أن الأُبُوَّة الشرعية لهذا العلم تكمن فى الفكر الإسلامى؛ موضوعًا ومنهجًا.

ولعل السبب فى تنحية هذا الحقل العلمى (مقارنة الأديان) من خريطة الاهتمام الفكرى العام، ومن برامج التعليم ومناهجه فى جامعاتنا ومعاهدنا يرجع إلى حالة الانكسار الحضارى التى خيمت على عالمنا الإسلامى فى القرون الأخيرة، ونحن نعلم أن هذا الحقل العلمى وثيق العلاقة بمراحل الازدهار الحضارى حتى لكأنه يشكل خاصية لازمة لها، وما ذلك إلا لأن مراحل الازدهار الحضارى تتسم بأجواء من التسامح والانفتاح والتواصل مع الآخر، ونبذ التعصب والانغلاق والإيمان بأن التعددية والتنوع والاختلاف سنة إلهية حاكمة للجماعات والمجتمعات، وكفالة حرية الاعتقاد، وعدم الإكراه عليه من أية سلطة : سياسية أو اقتصادية أو دينية.

لقد شغلت نفسى منذ ثمانى عشرة سنة - ولا أزال- بالعمل الجاد الدؤوب لإعادة هذا الحقل العلمى (مقارنة الأديان) إلى الموقع الذى يستحقه على خريطة اهتماماتنا العلمية الأكاديمية والفكرية؛ إيمانًا منى بما له من أهمية قصوى فى هذا العصر الذى اختزلت فيه المسافات، وتفجرت المعلومات، وانفتحت السموات، وانغلقت القلوب، وضاقت الحواصل إلى حد أصبحت فيه الدعوة إلى صراع الحضارات، وطمس الهويات، وتذويب الثقافات، هى البشارة أو النذارة التى تحملها (العولمة) والنظام العالمى الجديد الذى يقوده الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، ويحمل العالم عليه حملاً، ويساق إليه الإنسان قسرًا.

إن علم (مقارنة الأديان) يسهم - بلا ريب فى تعميق شعورنا بالتنوع والتعددية وتقبل الاختلاف، وبالحرية والمسئولية وعدم الإكراه وقبول الآخرين، والانفتاح عليهم والتواصل معهم، إنه يقدم فرصة ذهبية لفهم الذات، وفهم الآخر

معًا، وإن كثيرًا من المشكلات والحساسيات والتعقيدات ينتجها -غالبًا- الجهل بالذات، أو الجهل بالآخر، أو الجهل بالاثنين معًا، إن المعرفة - بحد ذاتها- هدف نبيل وجليل : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٩] .

ولئن كانت منطقتنا العربية هي موطن مجموعة الأديان التي يطلق عليها أنها أديان كتابية، فإن مجموعة الأديان التي يطلق عليها (أديان وضعية) استوطنت آسيا، ولقد كنت حريصًا علي التعرف عليها عن كثب، فسافرت إليها، ومكثت فيها خمس سنوات أدرس وأُدرِّس ، وأجمع المراجع والوثائق، وأناقش وألاحظ، وأسمع وأقرأ، وقد أتيح لي أن أشغل مسئولية (رئيس قسم مقارنة الأديان) بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد طول تلك السنوات الخمس ، وأن أشرف علي وضع ومراجعة مناهج هذا القسم وبرامجه في مراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

وإني لأحمد الله تعالى أن هيأ لي تلك الفرصة، وقد اغتنمتها وأفدت منها كثيرًا في تعميق معارفي وتوسيع اهتمامي بهذا الحقل، وأحمد الله تعالى أن أخذت جامعات وكليات عريقة تستدرك ما فاتها بوضع هذا العلم ضمن برامجها ومقرراتها، وقد أقبل عليه طلاب البحوث والدراسات العليا إقبالاً كبيرًا مشجعًا لي، وقد نوقشت فيه رسائل أكاديمية وتخصص فيه شباب، وانبعث آخرون لدراسته في الجامعات الغربية.

ويسرني أن أقدم هذه الطبعة من هذا الكتاب للقراء الكرام مزيدة ومنقحة، وأرجو أن تسد فراغًا في المكتبة العربية في هذا الحقل، وسأتبع هذا الكتاب -إن شاء الله- بنشر مجموعة من البحوث والدراسات تشكل الكتاب الثاني الذي وعدنا بإصداره منذ سنوات.

ويسعدني أن أشكر «دار الفكر العربي» .

وأسأل الله أن يجعل عملي خالصًا له، وأن ينفع به، والحمد لله رب العالمين.

د. محمد عبدالله الشرقاوي

المعادي ٢١/ ٢/ ١٤٢٠هـ

٧/٦/١٩٩٩م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذى لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وأصلى وأسلم على رسل الله، وعلى خاتمهم محـمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه.

أمّا بعد:

فـإن درس «الملل والأديان والنِّحل والمذاهب» دراسـة تاريخـيـة وتحـليليـة مقارنة، لهو أمر من صميم الثقافة والتراث الإسلامى، بل إننا لانعدو الصواب إذا قلنا: إن الأُبوة الشرعية لهذا الحقل العلمى تكمن فى هذه الثقافة الإسلامية وتراثها الخالد العظيم.

ولا ريب عندنا أنه قـد كـان لتـوجيـهـات القـرآن الكريم وهدايتـه أبلغ الأثر وأعمقه فى نشأة هذا الفرع العلمىّ، ووضع أصوله، ومنهج بحثه، وقواعد درسه.

واستـجابة لهذه الـتوجيـهات، واستـرشاداً بهذه الهـدايات انقدحت عـقول المفكرين المسلمين للتأليف والتصنيف والمناظرة؛ ومن ثم فقد تركوا للإنسانية روائع استـفاد منها الدارسون ـ بعـدهم ـ واحتفى بهـا كثير من الـعلماء المتخصـصين فى الغرب والشرق على السواء.

وممّا هو بدهىّ مقرر أن العناية بدرس الملل والنحل ومقارنتها ليعد من صميم اختـصاص الباحثـين فى أقسام الفلسـفة عمـومًا فى جامعـاتنا، وفى أقسام الفلسـفة الإسلامـية على وجه الخـصوص. كمـا أن تحقيق الكتـب والمصنّفات التى وضعـها علماؤنا الأفـذاذ فى هذا الحقل ونشرها ليـدخل فى صميم رسالة هذه الأقـسام؛ بل وفى مركز اهتمامها.

وإذا كان تراثنا الإسلامى يزخر بالمصنّفات التى وضـعها كبار علمائنا فى الملل والنحل، **فـإن المكتبـة الإسلامـية المعـاصرة لتـشكو الخـواء والفقـر المدقع فى هذا المجال**، رغم الحـاجة الماسـة إلى مثل هذه المؤلفـات؛ **خصـوصًا بعـد ظهور تلك الدراسات الـنقدية الواسـعة والعمـيقـة التى وجهـها علمـاء الغرب إلى أسـفارهم**

المقدّسة، وقد شملت دراساتهم النقدية أسفار العهدين معًا، وقد لمع فى هذا المجال مفكرون وفلاسفة كبار أمثال: باروخ سبينوزا، وهورن Horne، وكريسياخ Johann J.Griesbach، وآدم كلارك A. Clarck، وريتشارد سيمون R. Simon، وجان أستروك J.Astruc، وغيرهم. وقد استفادت حركة نقد أسفار الكتاب المقدس Bible، فى الغرب - من التراث الإسلامى - الذى تعرّفت عليه بطرق متعددة - فائدة غير منكورة. وإنى لأهيب بالدارسين فى **الأقسام الفلسفية أن يتعرّفوا على هذه البحوث وأن يستفيدوا من نتائجها، وأنها جدّ مفيدة فى الواقع.**

ويسرّنى أن أقدم الكتاب الأول من سلسلة كتب تصدر بعون الله تباعًا تحت عنوان: «فى مقارنة الأديان: بحوث ودراسات». وقد درست فيه ست قضايا هامة تتعلق فى جملتها بأسفار العهدين بصورة مباشرة. وهذه القضايا المدروسة هى:

- تعريف وجيز بأسفار العهدين.

- مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها.

- النقد العلمى لسند العهد القديم.

- الأناجيل والرسائل بين انقطاع سندها وتناقض متنها.

- مكانة الأنبياء فى التوراة والقرآن الكريم.

- ملامح الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

ونعتزم أن ندرس فى الأجزاء التالية بعون الله جملة قضايا من صميم مايدرس فى مجال الملل والنحل مثل:

- أهمية دراسة الملل والنحل ومقارنتهما فى التراث الإسلامى، مع دراسة مصادرها فى هذا التراث، بجانب دراسة جهود بعض علماء المسلمين فى هذا المجال.

- دراسة فى الديانات الوضعية المنتشرة.

- فرق اليهود والنصارى قديمًا وحديثًا.

- جدل علماء النصارى حول طبيعة المسيح: عرض ونقد ونماذج له من كتاباتهم القديمة والمعاصرة.

- دراسة براهين علماء النصارى على صحة الإنجيل ومناقشتها.

- أهم مجامع علماء النصارى وأبرز قراراتها.

- تسرُّب الوثنية إلى اليهودية والنصرانية: الملامح والمصادر.

- الألوهية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. دراسة مقارنة.

- الوحي والنبوّة في التوراة والإنجيل والقرآن: دراسة مقارنة.

- متى ترجمت أسفار العهدين إلى اللغة العربية؟

- البشارات بمحمد ﷺ في التوراة والإنجيل وصلة ذلك بعلم دلائل النبوة.

- أسرار الكنيسة السبعة: تحليل وتقويم.

- بولس ودوره في تحريف الديانة النصرانية.

- حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب؛ دوافعها، وأعلامها، وقضاياها، ومناهجها، ونتائجها.

- دراسة عن لفائف البحر الميت «The Dead Sea Scrolls» وتبين قيمتها العلمية والتاريخية الوثائقية.

- كتابات المهندين إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى: خصائصها وقيمتها العلمية.

- الكتابات الجدلية بين علماء المسلمين وعلماء اليهود والنصارى مثل:

* الكندى الفيلسوف ويحيى بن عدى اليعقوبى.

* الهاشمى وعبدالمسيح.

* القس الأندلسى وأبى عبيدة الخزرجى.

* راهب فرنسا وأبى الوليد الباجى.

* يوحنا الدمشقى.

* أبى عيسى الوراق وعدى بن يحيى.

* الدكتور فندر ورحمة الله. إلخ.

- **دراسة إنجيل برنابا فى ضوء لفائف نجع حمادى التى اكتشفت فى منتصف هذا القرن، وتضم كثيراً من الأناجيل والرسائل والكتابات المنسوبة إلى كبار** القديسين والتى رفضتها الكنيسة فى القرن الرابع الميلادى؛ خصوصًا فى مجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥م.

إلى غير ذلك من قضايا نرى أنها بحاجة إلى مزيد فحص وتمحيص.

وبما نذكر به فى هذا المقام أن الدراسة العلمية الجادة فى حقل الأديان والملل والنحل، **لامجال فيها للتعصب المقيت** الذى يشل صاحبه ويعميه ويصمه عن رؤية الحق، والاستماع إلى ندائه، والتحرك صوبه.

وإن الدراسة فى هذا الحقل ينبغى أن تستند فى كل خطواتها إلى العقل الحر والتوجه الموضوعى الملتزم بقضية الحق، والدوران معها حيثما دارت عجلتها.

ويجدر بى هنا أن أُشيد بجهود علماء بارزين ورجال دين من اليهود والنصارى لم يمنعهم التعصب الأعمى - الذى يظهر عند البعض فى أحيان كثيرة - من أن يتوفروا على تحقيق كتب ومصنفات كتبها علماء مسلمون فى حقل الأديان والجدل الدينى مع المخالفين، وأذكر من بين هؤلاء:

الأب اليسوعى روبير شدياق، والأب أسين بلاثيوس والأب فريد جبر، ويوشع فنكل، ود.م. دنلوب، وألن كتلر، وس. أ. وطسون، وموشى برلمان وغيرهم.

هذا، وأشكر زوجتى شكراً عميقًا على معونتها الكريمة لى وصبرها الجميل معى. وأسأل الله أن يعيننى على إتمام هذا العمل، وأن يتقبله، وينفع به، والحمد لله الذى تتم بنعمته الصالحات.

وصلى الله على سيدنا محمد؛

محمد عبدالله الشرقاوى

القاهرة فى ٤/١٢/١٤٠٦هـ
١٨/٩/١٩٨٦م

الفصل الأول

الدين

مفهومه، وطبيعته، ومناهج دراسته وحاجة الإنسانية إليه

الدين

يحسن بنا عند حديثنا عن الدين، أن نحدد مقصودنا من كلمة «الدين» :

١ - فهنالك «الدين» بالمعنى العام الشامل الذى يندرج تحته كل ما يطلق عليه العلماء (مصطلح دين)، ويصدق اسم «الدين» فى حالتنا هذه على الإسلام ، كما يصدق على كل من المسيحية، واليهودية، والهندوسية، والبوذية، والجينية، والشنتوية، والكنفشيوسية، والسيخ، وزن . . إلخ.

٢ - وهناك الدين الخاص المعين ، وهو أحد تلك الأديان المذكورة أو غيرها.

وقصدنا هنا أن نعرف بالدين بالمعنى الأول، أى بالدين فى عموميته وكليته.

وبالرغم من أن العلماء يرون أن الدين مفهوم أو مصطلح معقد ومتعدد الأشكال: «Complex and polymorphus Concepet» .

ومن ثَمَّ يصعب حصره فى تعريف منطقى جامد أو ضيق، كما يصعب أن نستخلص معناه الدقيق من معاجم اللغة، فإننا لا نميل إلى إغضاء الطرف عن جهود اللغويين فى تعريف الدين.

الاشتقاق اللغوى لكلمة «دين»:

الكلمة فى العربية مشتقة من الفعل (دان به): أى اتخذه دينًا ومذهبًا وحالاً وخلقًا وعادة وشأنًا، ومن (دان له) بمعنى: خضع له وأطاعه، ومن (دانَه) بمعنى: ملكه وقهره وحكمه وساسه.

فالدين -فى اللسان العربى- يطلق على: الطاعة، والخضوع، والمحاسبة، والمكافأة، والجزاء، والسلطان، والحكم، والحال، والعادة، والشأن.

ونلاحظ أن كل معنى من هذه المعانى يعبر عن جانب من جوانب الدين، وهذه المعانى فى مجموعها تصور الدين فى كليته، فالدين شعور وإقرار بالقوة المطلقة القاهرة، وما ينبغى لها من عبودية وتسليم يتمثل فى الطاعة والخضوع

والعبادة؛ رجاء الفوز بالمكافأة والجزاء، ومن شأن ذلك أن يجعل المتدين على حال خاص به وسمت مميز له، أو أن هذه المعانى اللغوية تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له ودستور ينظم تلك العلاقة ويظهرها.

أى أن مادة (دين) فى اللغة العربية تدور على معنى «لزوم الانقياد»، فهناك إلزام، والتزام، ومبدأ يلتزم به.

وما جاء فى معاجم اللغة العربية هو بحق تعريف أمين للدين من وجهة النظر الإسلامية، فهو يشتمل على : العقيدة، والعبادة، والمعاملات، والأخلاق، وهذا ليس غريبًا لأن معاجم اللغة العربية قد جمعت وصنفت فى ظل سيادة الفكرة الإسلامية على عقول العرب وألسنتهم معًا، ومن ثمَّ فهى تسجل أو تصور التعبير اللغوى عن الفكرة الإسلامية عن الدين، وهى تعد عند التحليل الموضوعى المقارن أجمع فكرة عن الدين وأكملها، كما سنرى فيما بعد.

أما كلمة «Religion» (دين) فى اللغة الإنجليزية فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية Religio التى تشير إلى الرعب والخوف الذى يشعر به الإنسان فى حضرة الروح أو الإله، ويعرف معجم Webster الدين بأنه خدمة أو عبادة الإله وطاعته فى وصاياه، وتحرى المؤمنين السير على الطريقة التى ترضيه فى الحياة.

أمّا تعريفات العلماء الاصطلاحية للدين فقد تعددت وتنوعت، منها التعريف الإسلامى المشهور بأن الدين: «وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح فى الحال، والفلاح فى المآل» .

أو هو: «وضع إلهى يرشد إلى الحق فى الاعتقادات، وإلى الخير فى السلوك والمعاملات».

ومنها تعريف الفيلسوف «كانت» فى كتابه: «الدين فى حدود العقل»: الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية.

ومنها تعريف « شلاير ماخر » المشهور فى « مقالات عن الديانة » : «قوام حقيقة الدين : شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة Afeeling of Absolute dependence

وإنا نوافق العلامة محمد عبد الله دراز على التعريف الذى اقترحه للدين فى عمـوميته بـأنه: «الاعتقاد بوجـود ذات - أو ذوات- غيـبـية- علوية، لها شـعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة، وفى خضوع وتمجيد» هذا بالنظر إلى الدين على أنه حالة نفسية بمعنى التدين، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجية فنقول: «هو جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها».

أصالة نزعة التدين وعالميتها:

أجمـع علماء الأديان على أن نزعـة التدين نزعـة أصيلة لدى الإنـسان وأن الغريـزة الدينية - على حـد تعبـير معـجم لاروس - مشـتركـة بين كل الأجناس البشـرية، حتى أشـدها همجـية وبدائية، وأن الاهـتمام بالمعنى الإلـهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة الإنسانية، ولقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة إنسانية بغير ديانة.

فالدين ظاهرة إنسانية عامة شاملة: «وحيثما يوجد الناس يسكن الدين»:

(Where ever people are Found, there too Religion resides)

ويلاحظ أنه يوجد فى العواصم الحضرية مـثلما يوجد فى المناطق البدائية فى العالم بأسره مـعابد مادية وثقافية، وأهرامـات، وآثار شيدها الناس بتكاليف باهظة لتعبر عن ديانتـهم، بل إن حفائر ما قبل التاريخ تزودنا بـنقوش ورسوم وبقايا ذات طبيعـة دينية، ولا توجد فى الواقع ظاهرة أخرى أكـثر انتشارًا أو ثباتًا من مـجتمع إلى مجتـمع - من ظاهرة تطلع الإنسان نحو آلهتـه، ويذهب عالم الأديان (شلاير ماخر) إلى أن عـالمية الدين وفطريته يمكن أن يقبل كـدليل ذاتى يحل محل الأدلة التقليدية على وجود الله.

ورغم كل ذلك فـإن بـعض الـناس مـثل (لودفـيح فـيـورباخ، وفـرويد، وماركس، وفولتيـر، وروسو) وأمثالهم قد رفضـوا كون الدين نزعـة إنسـانية عامة ترنو نحـو المطلق وتشعر الإنسان بالتبعـية التامة له، وفسروه على أنه نتاج اللاوعى

Subconscious (النشـاطات العقليـة تحت عتـبة الوعى) أو من إسـقاطات العـقل البشرى Projection of The Human Mind أو من إنتاج القوى والعوامل السياسية الاقتـصادية.. إلخ، وهذا أمر طبيـعى، لأن القول بعموم الأديان لجـميع الأمم لا يعنى عمومها لكل أفرادها.

الدين والميتافيزيقا:

والدين والميتافـيزيقا يلتقيان فى الإجابـة على الأسئلة الفطرية الملحة التى لا تنفك عن الإنســان ولا ينفك عنها، أسئلـة عن ذلك اللغز العظيم الذى يسـتحث عقـولنا: ما العالم؟ مـا الإنسان، من أين جاءا؟ من صنعـهما؟ من يدبرهمـا؟ ما هدفهما؟ كيف بدءا؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقـولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الدنيا؟ أى مـستقبل ينتظرنا بعـد هذه الحياة؟ هل يوجد شىء بعـد هذه الحيـاة العابرة؟ وما عـلاقتنا بهذا الخـلود؟ هذه الأسئلة الفطرية الملحة لا توجد أمة، ولا شعب، ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة أو رديئة، مـقبولة أو سـخيفـة، ثابتة أو متـحولة، والقرآن الكريم يؤكـد ذلك حيث يقول: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

وقد فـشلت الفلسفة فى الإجـابة على التسـاؤل النظرى الذى طرحته كـما فشلت فى الإجابة على التساؤل العملى الذى أثارته، إنها لم تستطع أن تخبرنا ماذا تريد منا؟ ولا ماذا تريدنا أن نكون عليه، ولم تخبـرنا عن وظيفتنا فى هذا العالم، ولا أى نوع من الحـيـاة ينبغى أن تـكون عليه، بـاختـصـار إنها لـم تعطنا هداية وإرشاداً، والمحصلة التى لا محيص عنها لبحثنا هذا هى أن الفلسفة والاستدلال لا يوصلان إلى الحق والهدى.

طبيعة الدين وخصائصه:

عندما نتأمل فى أمـر الأديان قد نصاب بشىء من التشـوش والحيرة، ولكى نفهم طبـيعة الدين علينا أن نسـأل: هل هناك عنصر جوهرى أو عناصـر جوهرية يجب أن يتضمنها الدين فى عموميته.

نعم، هناك عناصـر أو جوانب أو أبعاد ينبـغى أن تتوافـر للدين لكى نطلق عليه هذا الاسم هى:

١ - العبادة The practical and Ritual Dimension:

وهى الممارسة التى تؤدى وظيفة تتمثل فى الوعى الروحى والنظرة الأخلاقية، ومن هنا صح تعريف الدين بأنه نظام من العبادة أو الممارسات التى تعترف بموجود مطلق أو هدف متعال Transcendental .

٢ - التجارب الروحية والوجدانية:

The Experiential and Emotional Dimension:

وهى ذات صور وأشكال متنوعة بدءًا من أشكال الوحى الذى جربّه الرسل، إلى تجارب المتصوفة، ويصور الأستاذ N. Smart أهمية هذه التجارب الروحية الوجدانية للدين قائلاً: إنها الغذاء الذى تقوم عليه الجوانب الأخرى للدين، فالعبادة التى تخلو من المشاعر عبادة باردة، والعقائد التى تخلو من العاطفة مبادئ جافة، والأمثال والقصص الدينى التى لا تحرك القلوب قصص زائفة.

وإنه لأمر مهم أن نحس ونتذوق الأحاسيس التى يفجرها الدين فى نفوس المتدينين، لكى نشعر بالروعة القدسية والسكينة والسلام، والدينامية الداخلية المذهلة، وإدراك التعطش الداخلى إلى مشاعر الحب المتدفق وأحاسيس الأمل والرضا والامتنان.

٣ - أسفار الديانة ومروياتها وتراثها.

٤ - العقائد واللاهوت والفلسفة.

٥ - البعد الأخلاقى والقانونى.

٦ - الجانب الاجتماعى (المؤسسات والنظم)، وهو الجانب الذى يجسّد العناصر الأخرى للدين فى الواقع، فكل ديانة تتمثل فى جماعة من الناس: كنيسة، أو سنجا، أو أمة. ولكى نفهم ديانة ما فهمًا صحيحًا علينا أن ننظر كيف تعمل أو كيف تؤثر فى الناس، وهذا موضوع علم الاجتماع الدينى).

٧ - الجانب المادى للديانة، فالأشكال المادية للديانة من مبان ومعابد وأعمال فنية أخرى أمر مهم جداً بالنسبة للمؤمنين، وكما قال بعض المسيحيين: إن الأيقونات IKons نوافذ إلى السماء.

هذه العناصر أو الأبعاد السبعة تخص أو تصف الدين كما هو موجود فى الواقع الفعلى فى حياة الجنس البشرى كما صورها (ننيان سمارت).

وهى خصائص لابد أن تؤخذ مجتمعة كأعراض للحالة الدينية جملة كما تذكر موسوعة Grolier الأمريكية. وإن كانت هذه الموسوعة المهمة ترى أن العناصر الأساسية التى تشكل (الدين) هى: الشعور بالقداسة، أى الشعور بالحقيقة المطلقة، أو الموجود الأعلى، أو القوة المحركة للإنسان من خارجه ، والمقدس يأتى فى مقابل الحياتى، أو الدنيوى Profane كما يعبر عن التجربة الدينية بألفاظ القداسة The Holy or the Sacred ، وتعزم تلك الأديان أنها انبثقت عن الوحى الذى جاء إلى الناس فى تجارب مثيرة جداً، ومتنوعة ومتفاوتة.

٢ - الالتزام الواقعى بالدين: فالدين ليس اعتقاداً فحسب، لكنه التزام من المؤمنين تجاه مقدسهم، وهو يشكل جوانب حياتهم السلوكية طبقًا لما يمدهم به من معرفة.

٣ - العقائد.

٤ - الطقوس والعبادات.

٥ - الأخلاق والمعاملات.

٦ - الجماعة والنظم، هذه هى جوانب الدين كما يراها جون ماكورى J. Mcqurie.

تصنيف الأديان:

يمكننا أن نصنف أديان العالم عدة تصنيفات:

منها التصنيف الجغرافى: فهنالك الأديان التى نشأت فى المنطقة العربية وهى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وإن توسعنا لنشمل منطقة الشرق الأوسط أضفنا إليها بقايا أديان الزرادشتية والصابئة، وهاتان الديانتان قد أصبحتا فى حكم الأديان البائدة لولا قلة قليلة باقية ممن ينتمون إليهما.

وهنالك أديان آسيا وهى: الهندوسية، والبوذية، والجينية، وأديان الصين ذات الطابع الفلسفى وهى: الكنفشيوسية والطاوية، وديانات اليابان مثل: زن

والشتوية. ويمكننا أن نشير هنا إلى بقايا ديانات أفريقيا الأسطورية وغيرها من المناطق الجغرافية.

كما تصنف الديانات إلى **ديانات توحيدية وغير توحيدية**، وإلى ديانات كتابية سماوية Revealed Religions وإلى ديانات غير كتابية، وإلى ديانات دعوية تبشيرية منفتحة مثل الإسلام والمسيحية والبوذية، وأديان غير تبشيرية منغلقة على الجنس مثل اليهودية، أو على الجغرافيا مثل الهندوسية والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: **لماذا ظهرت الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلام) فى المنطقة العربية فحسب، كما أن ديانات العالم الكبرى الوضعية قد ظهرت فى منطقة شبه القارة الهندية فى آسيا، أى أن ديانات العالم الكبرى (السماوية وغير السماوية) قد ظهرت في آسيا، دون غيرها من القارات الأخرى؟.**

إنه سؤال نطرحه ولا جواب لنا عليه سوى: ربما بسبب كذا أو كذا!!.

مناهج بحث الدين ودراسته:

اهتم الإنسان منذ أقدم عصور التاريخ بتسجيل معتقداته الدينية فى شكل رموز ونقوش ومحنطات وتماثيل إلخ فى شكل خيالى أسطورى، واستمر الحال كذلك إلى أن جاءت اليهودية فالمسيحية وكانت دراسة الأديان فى هذين العصرين دراسة يغلب عليها الطابع الوعظى والجدلى إلى أن جاء الإسلام، فكان للعرب والمسلمين أثر جليل على دراسة أديان العالم بأسره، وقد امتازت دراستهم للأديان بميزتين مهمتين هما:

أ - أن الحديث عن الأديان - بعد أن كان فى العصور السابقة مغموراً فى لجة البحوث النفسية والجدلية الفلسفية وشئون الحياة عمومًا أو محدوداً جداً - أصبح فى كتب العرب دراسة وصفية واقعية مستقلة عن سائر العلوم والفنون، شاملة لكافة الأديان المعروفة فى عهودهم، فكان لهم بذلك فضل السبق فى تدوينه علمًا مستقلاً قبل أن تعرفه أوروبا بعشرة قرون.

ب - أنهم فى وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب، ولا على العوائد

والخزعبلات الشائعة فى الطبقات الجاهلة، والتى قد تنحرف قليلاً أو كثيرًا عن حقيقة أديانها، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا بعد أن اختطوه علمًا مستقلاً، اتخذوا له منهجًا علميًا سليمًا.

أولاً: مناهج دراسة الدين فى الفكر الإسلامى:

١ - منهج التاريخ والوصف:

لقد شغل التأريخ للأديان ووصفها جانبًا واضحًا من اهتمام علماء المسلمين ووضعوا لذلك أسسًا وأصولاً أو قواعد منهجية غير مسبوقة، ومن ثم كان لهم شرف كتابة أول «تاريخ للأديان» فى العالم، ركزوا فيه على نشأة كل ديانة، وأسفارها، ومؤسسها، وفرقها، ومقالاتها إلخ. وقد ظهرت فى ذلك الحقل أسماء كبيرة مثل أبى الحسن النوبختى، وأبى عيسى الوراق، والشهرستانى، والمسعودى، والبيرونى.. إلخ.

٢ - منهج التحليل والمقارنة:

لقد اتسع مفهوم المقارنة التحليلية لديهم ليشمل صورًا متنوعة مثل دراسة جوانب معينة متماثلة فى أديان متعددة كالعقائد، أو العبادات أو الأخلاق، أو الأثر الاجتماعى والحضارى للديانة على الشعوب المؤمنة بها، أو دراسة سيرة مؤسسى الديانات المختلفة والمقارنة بينها، ويجمل بنا أن نذكر بعض الأصول المنهجية للمقارنة، كما حددها أبو الحسن العامرى المتوفى سنة ٣٨١ هـ- ٩٩٢م فى كتابه: (الإعلام):

أ - ألا يوقع المقايسة (المقارنة) إلا بين الأشكال المتجانسة، أعنى ألا يعمد إلى أشرف ما فى هذا فيقيسه بأرذل ما فى صاحبه، ويعمد إلى أصل هذا فيقابله بفرع من فروع ذاك.

ب- ألا يعمد إلى خلّة موصوفة فى فرقة من الفرق، غير مستفيضة فى كافتها، فينسبها إلى جملة طبقاتها.

٣ - المنهج النقدى:

سواء أكان نقدًا للأسفار أم للعقائد، أو لأى جانب من الجوانب التى تشتمل

عليها الديانة، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى النقد الموضوعى لنصوص العهدين القديم والجديد الذى كتبه ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ) فى كتابه «الفصل» ، ونقد العقائد المسيحية فى كتاب الإمام الغزالى (ت ٥٠٥ هـ) المسمى «الردّ الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل»، وابن تيمية فى كتابه «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» إلى غير ذلك من كتب ودراسات.

٤ - المنهج الكلامى (الحوار والرد والمجادلة):

أتاحت أجواء الحرية والسماحة التى نشرها الإسلام فى البلاد التى أظلها بظله كثيرًا من المجادلات والمناظرات الحرة بين أصحاب الديانات المختلفة الكتابية منها والوضعية، وبقى أكثرها شفهيًا وسجل أقلها فى كتب وصلنا بعضها فحسب.

ثانياً: مناهج دراسة الدين فى الغرب:

ظلت دراسة الدين فى الغرب - بسبب من انغلاقه وتعصبه - تحمل الطابع اللاهوتى الجدلى الخصامى، إلى القرن التاسع عشر، حيث تغير الأمر نتيجة عوامل كثيرة، واتجه الغرب بقوة لدراسة الأديان دراسة منهجية علمية، مستفيدًا من المعطيات الجديدة، وموظفًا لنتائج العلوم المختلفة مثل علوم الاجتماع والآثار واللغات المقارنة، والنفس إلخ، واتسعت لديه مساحة الأديان المدروسة وتعددت مناهج الدراسة لتشمل:

أ - المنهج التأريخى الوصفى.

ب - المنهج الظاهراتى Phenomenological وهو يبدأ عمله مع نتائج دراسة المؤرخ لكشف طبيعة الدين، بمعنى دراسة الخصائص الأساسية للدين التى تستكن خلف تجلياته التاريخية، وأبرز كتاب يمثل هذا المنهج هو كتاب:

gyReligion in Essence and Manifistations : A Study in phenomenolo

وقد ألفه Van der Leeue, .

وكثير من علماء مقارنة الأديان الغربيين اليوم ظاهراتيون، وقد لقى هذا المنهج هجومًا شديدًا من أصحاب المنهجين التاريخى والاجتماعى، وأهم نقد وجه إليه هو أنه لا يراعى خصوصية كل دين على حدة. وقد ظهرت حركة علمية تحاول الجمع والمزج بين المنهجين التاريخى والظاهراتى فى منهج واحد.

ج - المنهج الاجتماعى والأنثربولوجى : (علم الاجتماع الدينى).

د - المنهج النفسى : (علم نفس الدين) : وأبرز ممثليه سيجموند فرويد S. Freud ووليام جيمس W. James ، يونج C.G. Jung ، وقد أثر فرويد تأثيراً كبيراً جداً بمحاولة وضع أشكال التجربة الدينية المتنوعة فى إطار النظرية العامة للاوعى.

نشأة الدين:

أ - هل الدين «ظاهرة اجتماعية» ، نشأ أول ما نشأ وثنياً بدائياً ساذجًا، ثم ترقى وتطور إلى التوحيد؟.

لا ريب عندنا أن الحل النهائى لهذه المسألة إنما يكون عن طريق الوحى، وليس من شأن العلوم الاستقرائية ولا العلوم الاستنتاجية .

أمّا أولئك الذين أثاروا مسألة (نشأة الدين) وراموا حلها، فإنهم لم يتجهوا إلى المرجع الذى يملك كلمة الفصل فى ذلك، ولكنهم سلكوا طريقة التنقيب عن أديان الأمم القديمة، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة، حتى إذا ما انتهى بهم السير فى تلك العصور المظلمة، أو تلك الأقطار المنعزلة، إلى أن أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الدينى، اعتبروه صورة مطابقة لما كان عليه الإنسان الأول من اعتقاد.

وجاءت نتائج دراساتهم متعاكسة متناقضة: فقال فريق منهم: إن الدين بدأ فى صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد، كما تدرج فى علومه وصناعاته؛ حتى زعم بعضهم أن عقيدة «الإله الأحد» عقيدة جد حديثة، وأنها وليدة عقلية سامية خالصة، تلك هى النظرية (التطورية) التى سادت فى القرن التاسع عشر فى أكثر فروع العلم، وحاول تطبيقها على الأديان بعض العلماء مثل: كونت A. Conet وسبنسر Spencer، وإميل دوركايم E.Durkheim وغيرهم.

وليس من شك فى أن رؤيتهم للدين على أنه «وضع بشرى» أو «ظاهرة اجتماعية» جعلهم يقيسونه فى نفس كفة الميزان التى يقيسون بها معطيات الإنسان الأخرى مثل صناعاته وفنونه إلخ، فقد كانت عقائد الإنسان الأولى، مساوية لحياته الأولى، وكذلك علومه وصناعاته.

أما الفريق الآخر فيقرر - بنفس المنهج- بطلان مذهب الفريق الأول، ويثبت أن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت فى البشر، مستدلاً بأنه لم تنفك عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث، فتكون الوثنيات إن هى إلا أعراض طارئة، أو أمراض متطفلة بجانب العقيدة الخالدة، وتلك هى نظرية (فطرية التوحيد وأصالته) التى انتصر لها جمهور من علماء الأجناس والإنسان، والنفس، ومن أشهرهم لانج Lang ، الذى أثبت وجود عقيدة (الإله الأعلى) عند القبائل الهمجية فى أستراليا وأفريقيا، وأمريكا، ومنهج شريدر Schreader الذى أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة، وبروكلمان Brockilman الذى وجدها لدى الساميين قبل الإسلام، لروى laroy وكاترفاج Quoterefages عند أقزام أواسط أفريقيا، وشمت Schmidt عند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية، وانتهى شمت إلى أن فكرة (الإله الأعظم) توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس البشرية.

والحق أن كل النظريات التى رامت تحديد ديانة الإنسان الأول بالتطبيق على ديانات القرون الماضية، أو الأمم الهمجية، فصورتها لنا سليمة، وتارة سقيمة، وتارة ملفقة، إنما هى افتراضات مبنية على افتراضات، ومن ثَمَّ فهى لا تصف الحق الثابت الذى هو مطلب العلم الصحيح ، وإنما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلاً أو كثيرًا، أو لا تشبهه ألبتة، ولقد أخطأوا منهجيًا إذ تصوروا أن الأمم البدائية التى درسوها كانت واستمرت على هذه الحالة من التخلف، ولم تمر بأدوار مختلفة متقلبة، أليس يمكن أن تكون الخرافات القديمة بداية ديانات، كما يمكن أن تكون نتيجة تحلل وتحريف لديانات صحيحة سابقة؟!.

ب - تصورات الباحثين الغربيين عن أسباب نشأة التدين، لقد رأى هؤلاء العلماء الغربيون أن ظاهرة التدين عالمية عامة فتساءلوا: ما الذى دفع الإنسان للتدين؟ وتعددت إجاباتهم على هذا السؤال، ونشأت مذاهب:

* فهناك المذهب الطبيعى أو الكونى الذى رأى أن العامل الأول فى نشأة التدين هو النظر فى مشاهد الطبيعة، ومن ثَمَّ قالوا: إن العبادة الأولى كانت عبادة الطبيعة.

* وهناك المذاهب الروحية أو الحيوية، وقد نسب إليها أن الأصل كان عبادة أرواح الموتى، ثم الاعتقاد بوجود أرواح للأفلاك والعناصر الطبيعية.

* وهناك المذهب النفسى الذى رأى أن التجارب النفسية التى يمر بها الإنسان فى حياته اليومية كافية لتوجيه نظره إلى التدين.

* وهناك المذهب الاجتماعى ورائده دور كايم الذى يرى أن التدين وليد أسباب اجتماعية، وأن عقل الجماعة هو الذى يخلق الأديان ويبرزها إلى الوجود.

هذه تصورات المفكرين الغربيين عن نشأة الدين، وواضح أنها تشترك جميعها فى القول بأن العقيدة الدينية قد توصل إليها الإنسان بنفسه عن طريق عوامل إنسانية، سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية، أم من نوع جنس التأثيرات والضرورات الاجتماعية أم اللاشعورية، إلى غير ذلك.

ينابيع نزعة التدين فى النفس البشرية:

إن نزعة التدين فى النفس البشرية تعد امتداداً أو استجابة لقوى النفس الثلاث:

١ - قوة الفكر فى التطلع إلى الأسباب الأولى والغايات البعيدة.

٢ - وقوة الوجدان فى إشباع العواطف النبيلة.

٣ - قوة الإرادة بتكوين البواعث والدوافع القوية لدى الإنسان.

الدين وحاجة الإنسانية إليه:

كما أن الدين فطرة إنسانية، فإنه ضرورة اجتماعية.

إن الخدمة الجليلة التى يؤديها الدين للجماعة الإنسانية لا تقف عند حد، فليست كل مهمتها أنها المبعث القوى لتهذيب السلوك، وتصحيح المعاملة، وتطبيق قواعد العدل، ومقاومة الفوضى والفساد؛ بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً فى كيان الجماعة؛ ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس، أو اللغة، أو الجوار، أو المصالح المشتركة، وإن هذه العلائق مجتمعة لا تزال تتخللها الفجوات والثغرات والحواجز النفسية، حتى تشدها رابطة الأخوة فى العقيدة، والمشاركة فى المثل العليا، وجملة القول أن الأديان تحل من الجماعات محل القلب من الجسد، وأن الذى يؤرخ الديانات كأنما يؤرخ حياة الشعوب وأطوار المدنيات.

كمال الدين ووحدته:

لقد أرسل الله رسله تترى بالدين (عـقيدة وشريعة وأخلاقًـا) وعندما يتفلّت الناس منه، وينصرفون عنـه، وتضمحل صورته فى نفوسـهم وعقولهم وقلوبهم، كان يبعث الله لهم من يجـدد لهم أمر الدين ويذكرهم بعقائده وأخـلاقه، ويجدد لهم الشريعة بحسب أحـوالهم وأوضاعهم، فالدين واحد: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى:١٣] فى عقائده وأخلاقه متجدد فى شرائعه ونظمه إلى أن أرسل الله محـمدًا ﷺ : «بالدين الكامل» عـقيدة وشـريعة وأخـلاقًا، وبما أن الله تعالى قد أكمل للناس الدين ببعثة مـحمد ﷺ ، فهم لا يحتاجون إلى دين جديد أو رسل آخرين، أى أن الله تعالى قد خـتم الرسالات بمحمد ﷺ، وأرسله للناس كافة، وإلى قيام الساعة، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولئن كان الله تعالى يجدد الدين - قبل محمد ﷺ - بالرسل، فإنه سبحانه يجدد الدين -بعد محمد ﷺ- باجتهادات المجتهدين من العلماء.

ضرورة دراسة الأديان فى العالم المعاصر:

لأن الأديان تشكل المكون الأساسى من ميراث الإنسانية الثقافى والحضارى، ومن ثَمَّ فإنه لا يمكنـنا فهم الحضـارات والثقافات المـعاصرة وقيـمها ومـفاهيمـها ومواقفها إلا إذا فهمنا الأديان التى تنتمى إليـها؛ لأن الدين أحد المحركات الرئيسية للجنس البشرى.

كما أن التعددية الدينية تشكل واقعًا حيًّا فى عالم اليوم، فى مدنه الكبرى بل والصغرى، كـما أن ثورة الاتصالات والمعلومات، قـد وضعت الناس فى المسكونة كلها وجهًا لوجه، وهذا يفرض على الجميع فـهمًا متبادلاً لأديانهم وعقائدهم لكى يتعايشوا معًا فى عالم صغير واحد.

وهناك سبب منهـجى يحتم على كل من ينشـد الحقيقـة ويتطلع إلى تكوين وجهة نظر صـحيحة أن ينظر إلى الأديان نظرة مـقارنة، ويضيف الأستـاذ سمارت سببًـا وجيهًا هو فهم حـجم التأثير الذى وقع على الأديان المختلفـة بسبب سيطرة

الغرب الاستعمارية وكشوفاته وهيمنته على العالم واستغلاله لشعوبه، ويسوق الرجل قصة طريفة وقعت له مع (لاهوتى مسيحى) قال له محتجًا بعد أن سمع له محاضرة عن المسيحية والبوذية: ما حاجتنا إلى دراسة البوذية وهى غير متوافقة مع المسيحية أما يكفينا الإنجيل المسيحى الحق؟.

What need do we have to consider Buddhism, since it is incompitable with the Christian Gospel, and the Christian Gospel is all the truth we need?.

فقال له: يجب عليك فى الواقع أن تكون قد قرأت كثيراً لكى تعرف أن البوذية غير متوافقة مع الإنجيل المسيحى.

You indeed should have read a lot, to Know that Buddhism is incompitable with the Christian Gospel.

أهم المراجع

* القرآن الكريم.

* لسان العرب.

* نشأة الدين، للدكتور على سامى النشار، مكتبة الخانجى.

* الدين ، للدكتور محمد عبد الله دراز، دار الفكر العربى.

* الإيمان، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى، دار الجيل.

* L. Hopfe, Religions of the world, London , 1987.

* Sayed Zafarul Hassan, Philosophy A Critique, Lahore, 1988.

* M. Eliade, The Sacred and the Profane, The Nature of Religion, 1959.

* John Hanght , What is Religion: An Introduction , 1990.

* John Hick, An Interpretation of Religion: Human Response to the Transcendent, 1989.

* Grolier Encyclopedea, USA, 1994. (CD. Rom).

* * *

الفصل الثاني

مناهج دراسة الأديان في الفكر الإسلامي

١ - المنهج التاريخى الوصفى.

٢ - المنهج التحليلى المقارن.

٣ - المنهج النقدى الموضوعى.

٤ - منهج الجدل والمناظرة

مناهج دراسة الأديان

فى الفكر الإسلامى(*)

تهدف هذه الورقة إلى إثارة اهتمام المشتغلين بالفكر والفلسفة الإسلامية إلى ضرورة أن يفسحوا مكانًا مناسبًا لدراسة أديان العالم المعاصر وعقائد شعوبه المختلفة دراسة علمية منهجية، فى بحوثهم الأكاديمية وفى برامج أقسامهم العلمية لأن:

أ - فهم الإنسان - من حيث هو إنسان - يستلزم فهم عقيدته الدينية، إذ التدين نزعة فطرية أصلية فى الإنسان.

ب - كما أن فهم أدبيات حضارة أو ثقافة ما فهمًا صحيحًا يتوقف فى جانب كبير منه على فهم خلفيتها الدينية[1]، بل إن الفهم الواعى للإنسانية ومشاكلها المعاصرة يقتضى معرفة أديانها بنفس القدر الذى نعرف به شئونها الاقتصادية والسياسية وإنجازاتها العلمية والثقافية[2].

جـ - وكذلك فإن سعى العالم المتسارع نحو الكوكبية Globalisation - ليس فى وسائل الاتصال فحسب - ولكن - ولنكن واقعيين- فيما تحمله تلك الوسائل من معلومات ومعارف وغير ذلك، سيجعل الناس وكأنهم يعيشون فى بيت واحد، وهذا يفرض التواصل والحوار الحضارى والدينى، وهو أمر لا يتأتى ولا يثمر إلا بالفهم الواعى للآخر ثقافيًا وحضاريًا، والفهم الموضوعى العميق للعقائد والأديان المعاصرة واحد من الأسس المهمة لذلك التطلع الطموح.

د - الاهتمام بالأديان يسهم فى تجديد وتطوير الفكر الإسلامى، ويبرز

(*) عن بحث لنا قدم إلى المؤتمر الدولى الأول للفلسفة الإسلامية ١٩٩٦م.

(1) Lewis M. Hopfe, Religions of the World, Fourthe Ed. London, 1987 (intoduction). Indeed, We Could not understand the art of Ninty percent of the world`s Cultures whithout Knowing the religious themes of those cultuers.

(2) Brandon, A. Dictionary of comp. Religions, London, 1970, P.1.

خصائصــه العالمية؛ فدراســة أديان العالم وعقــائده إذًا، ضرورة حياتيــة وحضارية ودينية.

وبعد هذه المقدمة ندلف إلى موضوعنا فنسأل: هل عرف الفكر الإسلامى علم «مقارنة الأديان» أو علم «الدين المقارن»؟.

للإجابة عــلى ذلك نقول: إن مصطــلح «مقارنة الأديان» أو «الــدين المقارن» «Comparative Religion» قد صكه علمــاء الغرب فى نهاية القرن التــاسع عشر، ليدل عندهم -علــى الدراسة العلميــة للأديان، للتفريق بيــن هذا النوع الجديد من الدراسة وبين الدراسات اللاهوتية التى عرفتها المســيحية منذ نشأتها، وحتى اليوم، وقد اتسع نطاق علم مقارنة الأديان فى القرن العشرين ليشمل:

«تاريخ الأديان» و«فلســفــة الدين» و«علم الاجــتــماع الــدينى» و«علم نفس الدين» و«فينو منولوجيا الدين»، وهذه ليست علومًا مساعدة لكنها أقسام أو حقول لعلم «الدين المقارن»[1] .

إذا كان علم «مــقارنة الأديان» يعنى فــى التحليل الأخيــر -فى رأينا- : أن تتخذ الأديان بعامة -كــتابية ووضعية- والعقائد الدينيــة، أو الملل والنحل موضوعًا للدراسة العلمية بمناهج موضوعية لها أصولها وخصائصها وضوابطها التى اصطلح عليها أهل هذا الحقل، فإن الفكر الإسلامى منذ القرن الثانى للهجرة قد انفتح على أديان العالم وجعلــها موضوعًا مــستقلاً للدراسة والبــحث. ووضع العلماء لذلك مناهج علميــة سديدة؛ فوصــفوا أديــان العالم وحــلّلوها وقارنوا بينها وأرّخــوا لها وانتقدوا بعضها، وكانوا يستــمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقــونها من منابعها الأولى، وهكذا فإنهم -كمــا يذكر العلامة محــمد عبد الله دراز - بعد أن اختطوه علمًا مستقلاً، اتخذوا له منهجًا علميًا سليمًا[2] .

لقد كان للفكر الإسلامى شــرف النشأة الأولى لعلم الدين المقارن، ومن ثَمَّ فإن الأبوة الشــرعيــة لهذا العلم تكمن فى الفلســفة الإسلامــية، ولقــد فطن لهذه الحقيقة كثير من علماء الأديان فى الغــرب وأقروا بها فى أكثر من مناسبة، ويجمل

(1) Eric J. Sharpe, Comparative Religion, A. History. New York, 1975. P. 13.

(٢) الدكتور محمد عبد الله دراز ـ الدين، بحوث ممهدة لتاريخ الدين المقارن، نشرة دار الفكر العربى ص١٤ .

بنا أن نشيـر فى هذا الصدد إلى إشادة العـلامة (H. Pinard de la Boullaye) فى كتابه «الدراسة المقارنة للأديان» بابن حزم الأندلسى باعتباره رائدًا لمقارنة الأديان فى الفكر الإنسانى كله(١) .

أمّا الأستاذ (Eric J. Sharpe) فيـرى أن شرف كتـابة أول تاريخ للأديان فى العالم يختص به الشهرستانى الذى وصف وصنف أديان العالم العشرة المعروفة فى العالم آنئذ إلى حدود الصين اعـتمادًا على منهج تاريخى سديد لم يكن لأى كاتب مسيحى فى عصره أن يكتب مثله.

"This outstanding work for outstrips anything which christian writers were capable of Psroducing at the same period"(2).

ويرى (Adam Mez) أن تسـامح المسلمـين مع اليهـود والنصـارى - وهو التسامح الذى لـم يسمع بمثله فى العصور الوسطى- سـبب فى نشأة علم لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى؛ هو علم «مقارنة الأديان» أو «مقارنة الملل»، ولم تكن نشأة هذا العلم من جانب المتكلمين، ويقـول: إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوربا التى كـانت كلها على المسيحية فى العـصور الوسطى وجود عدد كبير من أهل الـديانات الأخرى بين المسلمين، يتمتعـون بنوع من التسامح لم يكن معروفًـا فى أوربا فى العصور الوسطى، ومظهـر هذا التسامح نشوء علم «مـقارنة الأديان» ؛ أى دراسة الملل والنحل على اخـتلافها والإقبـال على هذا العلم بشغف عظيم»(٣) .

ولا ينبغى أن نغفل قول (Franz Rossental) أن الغرب يعترف اليوم صراحة بأن الدراسة المقارنة للأديان تعتبر واحدة من الإنجازات العظيمة للحضارة الإسلامية أسهمت فى التقدم الفكرى للإنسانية كلها.

"As one of the gerat Contribuitions of Muskim Civilization to Mankinds intellectual progress"(4).

---

(1) H. Pinard de La Bouilaye, L` Etude Comparee deo religions, (introduction) 4th ed.

(2) Sharpe, Ibid, P. 11.

(٣) آدم متز ، الحضارة الإسلامية، ترجمة الدكتور أبو ريدة، ص ٢٨٨ طبعة الهيئة العامة للكتاب.

(4) F. Rossental, From "Muslim Contributions.." by G. Haider Aasi, AMSS, New York, 1990.

وقد أشادت (Encyc. Britanica) بجهود المسلمين المتميزة فى دراسة الأديان، أبرزت نقطتين جديرتين بالإشارة إليهما؛ تتمثل النقطة الأولى فى سبق المسلمين فى معرفتهم بالأديان معرفة تفوق المعرفة الأوربية، والثانية هى أن دراسة المسلمين للأديان احتفظت بقيم الوحي والعقل معًا، وهو ما ينتفى وجوده فى كثير من الدراسات الغربية للأديان[1] . وهذه عبارة دائرة المعارف البريطانية:

"Meanwhile, islamic theology had an impact on western Chistianity, notably upon midieval Scholastic philosophy, in which the values of both reason and revelation were maintained. Muslim Knowledge of other religions was in advance of European Knowledge, notably in the work of the theologian Ibn Hazm".

ومهما يكن أمر هذه الاعترافات الغربية الصريحة بنشأة علم مقارنة الأديان فى الفكر الإسلامى، فهى - فى رأينا- ليست الطريق الصحيح للبرهنة على صحة دعوانا **بأن الأبوة الشرعية لعلم مقارنة الأديان تكمن فى الفلسفة الإسلامية**، ولقد بدأنا اقتباس هذه النصوص رعاية لحق إخوان لنا أصابتهم حالة من (. . .) فلا يؤمنون بقضية تتعلق بالفكر الإسلامى وأصالته حتى يقرأوا عنها كلامًا أعجميًا غربيًا أو شرقيًا.

الطريق المنهجى للجواب على سؤالنا هو قراءة فكرنا الإسلامى فى هذا الحقل قراءة فاحصة واعية، وهذا ما قمنا به فعلاً منذ خمس عشرة سنة، فوجدنا أن مفكرى الإسلام قد درسوا أديان العالم وعقائد شعوبه دراسة مستفيضة رائدة لم تعرفها ثقافات الأمم قبلهم، وإن كانت قد عرفتها بعدهم بزمان طويل يزيد عن ألفية كاملة من السنين.

لقد كانت وراء نشأة هذا العلم فى الفكر الإسلامى بواعث ودوافع كثيرة تآزرت وتساندت فى توجيه علماء الإسلام وحثهم نحو وضع هذا الحقل العلمى الجديد وتنميته وتطويره موضوعًا ومنهجًا؛ ويجىء حديث القرآن الكريم وإشاراته المتكررة إلى الأديان والعقائد الأخرى فى مقدمة هذه الدوافع. وإن جو التسامح الدينى والفكرى الذى أوجده الإسلام فى ربوع الدولة الإسلامية قد أغرى الجميع

(1) Encyc. Britanica. Vol 15, P. 615 (Study of Religion).

- مسلمين وغير مسلمين- بالمخالطة والتواصل والمعايشة، وهذا بدوره قد أدى إلى الانفتاح والحوار والمناقشة والاحتكاك؛ كل ذلك فى مناخ من الازدهار الحضارى الرائع الذى خلق فى المسلمين شعوراً عميقًا بالمسئولية العامة تجاه الإنسانية كلها.

لم يظهر «علم مقارنة الأديان» فى الفكر الإسلامى حقلاً علمياً مستقلاً بذاته مثل أصول الفقه أو الحديث أو التاريخ مثلاً، لكنه ظهر على تخوم حقول علمية أخرى، فهو بطبيعته من العلوم البينية التى تشتبك فى الموضوع والقضايا مع غيرها وإن استقل عنها فى مناهج الدرس والمعالجة، ومن ثم يتميز عنها فى الوظيفة والغاية.

ويمكننا أن نسوق أسماء بعض العلماء الذين كتبوا فى هذا الحقل مثل واصل ابن عطاء، والقاسم الرسّى، والجاحظ، والجبائيين، وأبى عيسى الوراق، والطبرى، والكندى الفيلسوف، والنوبختى، وابن رين الطبرى، والحسن بن أيوب، والقاضى عبد الجبار، وابن حزم الأندلسى، وأبى الوليد الباجى، وأبى الحسن الأشعرى، والباقلانى، وأبى المعالى الحسينى العلوى، وأبى الحسن العامرى، والبيرونى، والجوينى، والغزالى، والخزرجى، والقرطبى المفسر، والشهرستانى، وابن تيمية، والسكسكى، والطوفى الفقيه، والسموأل بن يحيى المغربى، ونصر بن يحيى المتطبب، وعبد الله الترجمان، فضلاً عن المسعودى واليعقوبى، والمقريزى، ورحمة الله الهندى، وخلق كثير يصعب حصرهم.

علم «مقارنة الأديان» وعلم الكلام:

وبتأمل هذه القائمة نجد فيها المؤرخين والمفسرين والفقهاء والمترجمين، لكننا نجد أكثرها من المتكلمين ، نعم إن أكثر من كتبوا فى دراسة الأديان كانوا من المتكلمين، فهل يعطى ذلك مشروعية للقول بأن علم «مقارنة الأديان» جزء من علم الكلام فى الإسلام؟. للجواب عن ذلك لابد من مراعاة أمور: منها: أن كثيراً ممن كتبوا فى أصول الفقه كانوا من المتكلمين كذلك، فهل نازع أحد فى استقلال أصول الفقه عن علم الكلام، ثم إننا نميز بين علم وآخر عن طريق أمور ثلاثة هى: الموضوع، والمنهج، والوظيفة أو الغاية.

ومن المقبول بين أهل الاختصاص اليوم، أن وظيفة علم الكلام تتحدد فى

البرهنة العقلية على صحة العقائد أو أصول الدين، والحجاج العقلى عنها ضد المخالفين، وموضوع العلم ووظيفته يحددان منهج البحث فيه كما هو معروف.

يلتقى علم الكلام مع علم الدين المقارن فى جانب من موضوعه، وهو درس موضوعات أو جوانب من أديان المخالفين ، لكن يبقى أن علم الكلام يحتفظ باستقلال وظيفته ومنهجه فى البحث عن علم الدين المقارن، ولم يقل أحد أن من مهمة علم الكلام أن يؤرخ للديانة الجينية Jainism ، أو أن يرصد ويصف التطور الذى لحق بديانة زن Zen البوذية مثلاً، وإن اتفق ودرس المتكلم جانبًا فى الديانة الهندوسية مثلاً، فهو يدرسه بمنهج جدلى، أعنى محاجة المخالفين بمقتضيات العقل وبراهينه، وذلك يدفعنى إلى القول بأن علم دراسة الأديان أو علم الدين المقارن مثله مثل علم الكلام يشكل حقلاً متميزًا من حقول الفلسفة الإسلامية، وإن من طبيعة العلوم الإسلامية أن تتشابك وتتلاقى دونما غضاضة، وأن تتعانق وتتساند فى أداء دورها فى منظومة الفكر الإسلامى.

ولبيان جهود المسلمين فى هذا الحقل ينبغى أن نركز على بيان إسهاماتهم، ومناهجهم، وأثرهم أو القيمة العلمية لدراساتهم، وقبل أن نأتى إلى بيان ذلك نشير إلى نقطة مهمة فى رأينا فى تجلية نظرة الغرب المسيحى إلى الأديان المختلفة وتفسير نشأتها أو أصلها Origin وتنوعها وتعددها، وبيان منهج دراستهم لها طوال العصور الوسطى وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر، وأعطى الفرصة لمؤرخ الأديان E. Sharpe ليوضح ذلك بقوله:

"Partically no study of other Religions was carried out during these Centuries , Other than for purposes of refutation and ultimate conquest. The biblical and post biblical theories of the origin of the non Christian religions as delivery or as the work of fallen angels held sway through-out"[1].

لم يدرس الغرب المسيحى - طوال تلك القرون - الأديان المخالفة إلا بغرض دحضها وتمام قهرها، كما أن نظرياتهم اللاهوتية عن أصل أو نشأة الأديان الأخرى انتهت إلى أنها رجس من أعمال الشياطين أو من أعمال الملائكة الساقطين، ولم

(1) Sharpe, Ibid, P. 11.

يكن هذا رأيًا شعبيًّا، لكن كبار آباء الكنيسةChurch Fathers مثل جوستن الشهير، وتاتيان، ومانشيوس فلكس وترتوليان، وسيريا نوس قالوا به وعلّموه، ويضيف «شاربى» أن الانغلاق الصارم والتعصب Strict Exclusiveness and Intolerence كانا وراء ذلك، بل ووراء الاعتقاد بأن أية دراسة للأديان الأخرى لن تقود إلا إلى تناقض حاد[1] مع المسيحية.

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب الآخر، إلى الفكر الإسلامى لنسأل: هل كانت دراسته للأديان الأخرى بهدف فهمها ووصفها وتحليلها ومقارنتها، أم كانت دراسات جدلية خصامية، هدفها الأوحد هو الرد والإبطال والدحض؟.

ومما يؤسف له أنه لا يزال بعض المشتغلين بالفلسفة الإسلامية يرون أن الدراسات الإسلامية للأديان كانت كلها دراسات جدلية تستهدف الإبطال والنقض. ونرى من جانبنا أن فى هذا الحكم تعميمًا سببه عدم التعمق فى دراسات المسلمين من جهة، وعدم الأخذ فى الاعتبار تفاوت مناهج العلوم؛ أعنى علم الكلام وعلم دراسة الأديان، واختلاف وظائفها من جهة أخرى.

ويمكننا أن نقول مطمئنين أنه لم تكن كل جهود المسلمين فى دراسة الأديان ذات طبيعة جدلية حجاجية Apologetical or Polemical Nature ، لكنها اشتملت - إلى جانب الجدل- على التأريخ والوصف، والتحليل العلمى، والمقارنة الموضوعية، والنقد المنهجى، ويمكننا أن نقدم نماذج وأمثلة واضحة لكل جانب من هذه الجوانب التى تعد من صميم علم الدين المقارن بأدق معانيه المعاصرة.

أولاً: منهج التأريخ والوصف:

شغل التأريخ للأديان ووصفها مساحة واسعة من فكر المسلمين، ووضعوا لذلك أسسًا وأصولاً أو قواعد منهجية غير مسبوقة، أى أنهم أصّلوا وقنّنوا هذا المنهج، ثم طبقوه بموضوعية ونزاهة على أديان العالم المختلفة، بل كان لهم شرف كتابة أول تاريخ للأديان فى الفكر الإنسانى كله، قبل أوربا بأكثر من عشرة قرون كما ذكرنا من قبل، وإن كثيراً من علماء الأديان لم يكونوا مناظرين أو مجادلين محترفين بحكم تخصصهم، ولو استعرضنا عناوين كثير من الكتب التى ألفها

(1) Ibid, Pp. 9 - 10.

المسلمون عن الأديان لوجدنا أنها بعيدة عن الجدال والنزال، وأنها أدخل فى التأريخ والوصف والحكاية، وقد كان ذلك واضحًا فى أذهانهم بدليل أن العالم منهم كان يكتب فى الجدال والنقد كتابًا، ثم يكتب فى التأريخ والوصف كتابًا آخر؛ مثل أبى عيسى الوراق (من مفكرى القرن الثالث الهجرى) الذى كتب فى الجدل كتابه (الرد على فرق النصارى الثلاث) وكتب فى الوصف والتأريخ كتابه (مقالات الناس واختلافهم)، وهناك عدد من الكتب حمل عنوان «المقالات» لأبى القاسم البلخى وأبى الحسن الأشعرى، والناشئ الأكبر، والمسعودى مثلاً.

ثم كتب النوبختى كتابه (الآراء والديانات)، وكتب أبو المعالى العلوى كتابه (بيان الأديان)، وصنف أبو العباس الإيرانشهرى والمسبحى (درك البغية فى الأديان والعبادات)، وكتب كثيرون كتبًا بعنوان (الملل والنحل) مثل البغدادى أبى منصور والشهرستانى وغيرهم، وكتب بعضهم فى (البرهان فى معرفة الأديان).

لو دققنا النظر فى هذه النماذج من العناوين التى كتبها العلماء المسلمون لعرفنا أن الدافع وراء كتابتها كان دافعًا علميًّا يدور حول البيان والفهم والوصف والتأريخ بعيدًا عن الجدال والردود .

لقد كان علماؤنا على وعى بالمهمة التى انتدبوا أنفسهم لها، أعنى مهمة التأريخ للأديان، يقول الشهرستانى شارحًا أسس منهجه: «شرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم، من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم، دون أن أبيِّن صحيحه من فاسده، أو أعيِّن حقه من باطله . . . إلخ»[1].

وقد استرعى جهد الشهرستانى فى التأريخ للأديان نظر علماء الغرب فأشادوا به إشادة عظيمة.

أمَّا البيرونى فيعلن فى صدر كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة): «وليس الكتاب كتاب جدل وحجاج، وإنما هو كتاب حكاية «تأريخ». . فأورد كلام الهند على وجهه»، ثم يستطرد قائلاً: «وأنا فى أكثر ما سأورده من جهتهم حاك غير منتقد. .» ويقول: «ففعلته غير باهت على الخصم ولا متحرج عن حكاية كلامه وإن باين الحق، واستفظع سماعه عند أهله، فهو اعتقاده، وهو أبصر به» . ويشير

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل، المقدمة.

إلى الجهد الذى بذله فى تحقيق هدفه هذا قائلاً: «ولقد أعيتنى المداخل فيه، مع حرصى الذى تفردت به فى أيامى، وبذلى الممكن - غير شحيح عليه- فى جمع كتبهم من المظان واستحضار من يهتدى لها من المكامن»(١).

يقول G.Allana : «إن البيرونى ألف كتابه عن الهندوسية ولم يكن فيه منحازاً أو متعصبًا، واستشعر واجبه كمسلم فى اقتباس نصوصهم كاملة، ولم يكن كتابه، كتابًا جدليًّا، بل هو تسجيل تأريخى للحقائق، قد وضع فيه أمام القارئ نظريات الهندوس كما هى»(٢).

وقد تأسس منهج البيرونى على الرجوع إلى المصادر الأصلية والمشاهدة والملاحظة الذاتية، وقد نص على ذلك فيما أوردناه له، ولقد كان من أهم أسس منهجه فى دراسة أديان الهند هو الاعتماد على المصادر الأصلية وليس على الثانوية منها Second hand information كما يذكر الأستاذ محمد وارث مير الأستاذ بجامعة البنجاب(٣).

لعل من أهم ما يتسم به منهجه هو «الأمانة العلمية»، وقد تمكنت منه هذه الخاصية فى معظم قضايا الدراسة، فنلاحظ أنه عندما يكون بصدد الحديث عن موضوع لم تكن لديه معلومات ومصادر وافية وأصيلة، فإنه لا يلجأ إلى التخمين والشك أو الافتراض، بل يعلن قارئه عن ذلك بكل شجاعة وصراحة(٤) ، فمثلاً عند دراسته (للشمنية) والحديث عن أساطيرها وخلافاتها يقول: «ولأنى لم أجد كتابًا للشمنية (التركيز على المصادر الأصلية)، ولا أحدًا منهم (المعاينة والمشاهدة) أستشف من عنده ما هم عليه، فإنى إذا حكيت عنهم فبوساطة «الإيرانشهرى» وإن كنت أظن أن حكايته غير محصلة أو عن غير محصل»(٥).

---

(١) البيرونى: تحقيق ما للهند، طبعة سخاو.

(٢) G. Allan, Albairuni, P. 157 من الكتاب التذكارى عن البيرونى الذى صدر فى باكستان.

(٣) Al Biruni's Research Methodology, P. 227 من الكتاب التذكارى المشار إليه سابقا

(٤) الدكتور دين محمد، علماء المسلمين وقضية المنهج، المجلة الحولية للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، العدد الثالث ١٩٩٥م.

(٥) البيروني: تحقيق ما للهند، ص ٢٠٦، ٢٧٦.

وعلى الرغم من أن الهندوس كـانوا يعدونه شخـصًا منبـوذًا، وينظرون إليه بعين الكراهية لأنه كان صديقًا للسلطان محمود الغزنوى، ورغم نظرتهم العنصرية الاستعـلائية إلى من سواهم، بالرغم من ذلك فـقد سجل بأمانة بالغـة ما رآه فى الهند من معتقدات وآراء وحقائق ووقائع ولـم يظهر أية عداوة أو تحامل على الهنود ودياناتهم كما يذكر G. Allana فى مقالته المشار إليها.

وعن جهـده فى كتاب (الآثار الباقـية) يرى George A. Saliba من جامعة كاليفورنيا أن آثاره تعد عملاً علميًا بالمعنى الحديث لمصطلح علم مقارنة الأديان؛ إذ إنه حاول دراسة آثار الماضى، وتقديم الحـقائق ثم تقييمهـا، وعندما تكون الحقائق متعارضة، والعقائد الدينية المدروسة مـتناقضة، ولا يمكن توفيق القضايا تاريخيًا، فإنه يتجنـب الإدلاء بأحكام أو إقحام نفسه برأى قـد يكون ضعيفًـا أو خاطئًا، ثم يقرر الأسـتاذ (صليبا) أن كـتاب البيـرونى فريد فى بابه فى تلك الفتـرة حيث إنه يتعامل مع قضايا مقارنة الأديان بغاية الموضوعية والريادة والأستاذية.

"The work of Biruni is indeed unique in that period in that it deals with probkems of Comparative religions in the most objective, detached and scholarly manner .. it`s a scientific work, in the modern sense of-scientific comparativ rligion"(1) .

ويقرر M. Watt أن ما جعل البيـرونى يدرس الأديان بمنهج مقارن سديد هو ذلك الجو المشبع بالحـوار والنقاش الخصب بين المسلمين وغـيرهم من أتباع الأديان الأخرى، والذى عاشـه البيرونى فترة طويلة . . ، وبنى على حـرصه الشديد على الانحيـاز إلى المنهج العلمى المقارن والالتزام بمقـتضيـاته التزامًا صارمًـا فى دراسة الأديان(٢).

ولقد كان البيرونى رائدًا فى استـخدام ما سمى حديثا بـ Anthropological Approach فى دراسة الأديان، وقد أكد (صليبا) على هذه النقطة قائلاً: لقد أعطى قارئه تقـريرًا كاملاً وصورة واضـحة للممارسـات الدينية التى تنتمى إلى مـختلف الديانات التى درسها وفى ذلك خدمة جليلة لـعلم الأنثروبولوجيا، وتوظيف مبكر

(1) G.Saliba, p. 251.

(2) M. Watt, p. 415.

له فى دراسة الأديان، وقد تـنبه البيرونى إلى أهميـة ذلك المنهج فمارسه واعـتمد عليه، ولقد عد بعض البـاحثين الأنثروبولوجيين المعـاصرين أبا الريحان أول عالم أنثربولوجى مسلم[1] .

وخلاصـة القول أن البيـرونى درس الأديان -وعلى الأخص ديانات الهند- بمنهج تأريخى تحليلى ولم يعتمد على المنهج الجدلى القائم على الرد والنقض[2] .

إذا كان علمـاء الإسلام قـد درسوا الأديان - التى عرفـوها- مؤرخـين لها واصفين حينًا، ومجـادلين لأصحابها حينًا آخر، وتنوعت مصنفـاتهم فيها؛ حيث اهتموا بدراسة الثنوية بفرقها، وكثرت مؤلفاتهم فيها، واهتموا بدراسة أديان الهند، والصابئة، وجـاء بعض كتبهم مـفصلاً، وبعضهـا الآخر مجملاً مـوجزاً، ومثلت دراستـهم لليهودية الوسط بـين هذا وذاك، فإذا كان ذلك كـذلك، فإن اهتمـامهم بدراسة النصرانية كان أشد، وقد تعددت مصنفاتهم فيها وكثرت، وجلها جاء على درجة بالغـة من الدقة والموضوعيـة والحيدة، وما يعنينا هنا أن نذكـر أنهم درسوها دراسة شاملة تأريخًا ووصفًا وتحليلاً ونقدًا ومجادلة لعلمائها.

وقد بذل القاضى عبـد الجبار الأسدآبادى جهدًا خاصًا فى دراسـة المسيحية، أقف هنا على الجانب التأريخى منه؛ لقد أرّخ القـاضى للديانة المسيحية الراهنة منذ تأسيسها على يد بولس الطرسوسى، ومروراً بـجهد الإمبراطور الرومانى قسطنطين ومجـمع نيقيـة المسكونى، ثم رصد تطوراتها وفـرقها، وأسـفارها التى تقدسـها، وتأثير الـرومان عليهـا، وما كـان عليه عيـسى عليه السـلام وتلاميـذه من بعده، وموقف هؤلاء التلاميـذ من محاولات بولس، ومن تفسيره حـادثة الصلب المشتبه فيها، وتأليه عيسى عليه السلام ، وإلغاء شريعة التوراة وأحكامها.

لقد اسـترعى القاضى بتـأريخه للمسـيحية اهتـمام علماء الأديان المعـاصرين فى الغرب، ولقد أحـدث اكتشافهم مـخطوطة لكتابه المسمى «تثبـيت دلائل النبوة» ـ الذى خصص فيه مـساحة كبيرة للحديث عن نشأة المـسيحية وتطورها- عاصفة علمـية عالية على حد قول David Sox :

(١) عن د. دين محمد، البحث المذكور.

(٢) حمدي الشرقـاوي: جهود القاضي عبد الجبـار في دراسة الأديان، رسالة الماجستيـر ، ص٢٠، جامعة عين شمس ، ١٩٩٦ .

"Javar`s account created a flurry of accademic excitement in 1966."

ويقول:

.(1)"The new source cerated a stir among scholars around the world"

ويصرح David Flusser أستاذ «الكتاب المقدس» بالجامعة العبرية -وهو واحد من كبار المهتمين بتاريخ الكنيسة المسيحية فى عصورها الأولى- لمجلة Time الأمريكية بأن «أهمية اكتشاف كتاب القاضى بالنسبة لقصة المسيحيين الأوائل تشبه أهمية اكتشاف مخطوطات البحر الميت بالنسبة لفهم الخلفية العامة لفترة ما قبل المسيحية».

"as important for the storyoof the first Christians as the Dead Sea Scrolls were for understanding the pre - Christian background" .

رأى علماء الأديان الغربيون إذًا أن لكتاب «التثبيت» أهمية خاصة، وتكمن أهميته فى احتوائه على نصوص نادرة تلقى ضوءاً على أصل الديانة المسيحية، وعلى فرق المسيحية ذات الأصول اليهودية The Juish Christians مثل الإبيونية Ebunite ، والناصرية Nazarenes، والدوكاتية Docetism ، ويشكل - فى الوقت نفسه- أقدم رواية سريانية -فى نظرهم- عن هذه العقائد المسيحية المبكرة.

وعلى رأس هؤلاء العلماء Shlomo Pines أستاذ تاريخ المسيحية بالجامعة العبرية، والذى ألقى عن دراسة القاضى للمسيحية بحثًا مطولاً (٧٥ صحيفة) فى الأكاديمية الإسرائيلية سنة ١٩٦٦م بعنوان:

The Jewish Christians of the early Cinturies of Christianity according to a new source.

وترجمته: المسيحيون ذوو الأصول اليهودية فى القرون الأولى للمسيحية فى ضوء مصدر علمى جديد.

ثم نشر الدكتور S. Stem الأستاذ فى جامعة أكسفورد ثلاثة بحوث مطولة عن الكتاب الأول بعنوان: "Quotations from Apocryphal Gospels in Abd - AL- Gabar`s".

نشره فى مجلة الدراسات اللاهوتية الصادرة فى أكسفورد سنة ١٩٦٧م، ثم

(1) D. Sox, The GosPel of Barnabas, London, 1984 pp. 77- 79.

نشر مقالة ثانية عن الكتاب فى مجلة Encounter فى نفس السنة بعنوان:

"New Light on Judaeo - Christianity Originsi the evidence of Abd . al Gabar".

ونشر بحثًا ثالثًا عن الكتاب فى Journal of Theological Studies سنة ١٩٦٨م بعنوان: رواية القاضى عبد الجبار عن كيفية تحريف ديانة عيسى بتبنى التقاليد والعادات الرومانية.

"Abd al Gabar`s account of How Christs weligion was falsified by the adoption of Roman Customs".

كما أن كثيراً من الباحثين الغربيين قد رددوا النتيجة التى انتهى إليها القاضى بعد دراسته للمسيحية وقال فيها: «إن الرومان لم يتنصّروا لكن النصرانية هى التى تروّمت» . مثل H.Maccoby .

ثانياً: منهج التحليل والمقارنة:

لم تقف جهود علماء الإسلام عند المنهج التاريخى الوصفى فى دراسة الأديان، لكنها تمثلت فى منهج آخر هو المنهج التحليلى المقارن، ومما تجدر الإشارة إليه أن المقارنة عندهم لم تتخذ صورة واحدة أو شكلاً واحداً، لكن مفهوم المقارنة قد اتسع لديهم وتمثل فى صور متنوعة، منها على سبيل المثال: أن يدرس الباحث جانبًا أو أكثر من ديانتين أو أكثر ثم يقارن بينهما، ومنها أن يتناول الدارس ديانة واحدة ويدرسها دراسة عميقة من كل جوانبها، أو بعضها فى خطوة منهجية تمهيدية لباحث آخر يأتى ويدرس ديانتين أو أكثر دراسة مقارنة. ومن صور المقارنة كذلك دراسة شخصية مؤسس الديانة أو رسلها مثل المقارنة بين المسيح عليه السلام فى التصور الكيرجماتى (الكنسى) وشخص بوذا أو كرشنا، ومنها دراسة الأسفار التى يقدسها أصحاب الديانات وتحليلها ومقارنتها، صور المقارنة إذًا متعددة متنوعة، وقد استخدمها جميعًا علماء الإسلام، وارتضاها من بعد علماء الأديان الغربيون ونسجوا على منوالها كما سنشير إلى ذلك فى موضعه من هذا البحث.

ويجمل بى أن أقدم كتاب أبى الحسن العامرى الفيلسوف (ت ٣٨١ هـ-٩٩٢م) المسمى (كتاب الإعلام بمناقب الإسلام) كنموذج للدراسة الإسلامية المقارنة

للأديان، ومن الحق علينا أن نذكر بالشكر جهد الأستاذ الدكتور أحمد عبد الحميد غراب الذى حقق هذا الكتاب وقدم له، ومن ثَمَّ عرفه الباحثون واقتبس منه الدارسون، فأسدى خدمة للعلم والثقافة.

حدد العامرى الأديان التى سيقارن بينها، كما بيّن موضوع المقارنة ومنهجها، والأديان الستة التى قارن بينها هى: الإسلام، واليهودية، والنصرانية، ودين الصابئة، ودين المجوس (الزرادشتية)، والشرك أو عبادة الأصنام.

وموضوع المقارنة يتمثل فى العناصر الرئيسية التى يسميها: أركان الدين، وهى الجوانب أو العناصر التى تشكل جوهر الدين، ومن ثمَّ تشترك فيها، أو ينبغى أن تشترك فيها جميع الأديان، وهى:

(الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر) ثم يقارن بين بعض العناصر المهمة المكملة لتلك مثل: النظام الاجتماعى، والنظام الاقتصادى، والإنجازات الحضارية والثقافية لهذه الأديان الستة.

وإلى الذين يظنون أن دراسة المسلمين للأديان لم تكن شيئًا أكثر من الردود والدحوض، أسوق المقدمة المنهجية التى حرص العامرى على تسجيلها قبل ألف سنة، حيث يقول:

«وقبل أن نشرع فيما وعدناه من مقابلة ركن ركن، يجب أن نقدم مقدمة فنقول: إن تبيان فضيلة الشىء على الشىء بحسب المقابلات بينهما قد يكون صوابًا وقد يكون خطأ. وصورة الصواب معلقة بشيئين:

أحدهما: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعنى ألا يعمد إلى أشرف ما فى هذا فيقيسه بأرذل ما فى صاحبه، ويعمد إلى أصل هذا فيقابله بفرع من فروع ذاك.

والآخر: ألا يعمد إلى خلّة موصوفة فى فرقة من الفرق، غير مستفيضة فى كافتها، فينسبها إلى جملة طبقاتها».

ومتى حافظ العقل فى المقابلة بين الأشياء على هذين المعنيين فقد سهل عليه المأخذ فى توفية حظوظ المتقابلات، وكان ملازمًا للصواب فى أمره.

هذه بعض القواعد المنهجية التى وضعها العامرى والتزم بها، وهى:

١ - مقارنة الأديان الستة فى موضوعات محددة، هى العناصر السبعة التى ذكرناها.

٢ - التزم أن يقارن الأصل بالأصل، والمهم بالمهم، فمن الخطأ المنهجى وعدم الإنصاف مقارنة الأصل بالفرع، أو مقارنة جانب مهم فى دين ما بجانب أقل أهمية فى دين آخر، وعليه فهو يقارن مثلاً العقائد بالعقائد، والعبادات بالعبادات، ويقارن فى كل منها الأصول بالأصول، والفرائض بالفرائض، أى لا يقارن الأصل بالفرع، ولا الفريضة بالنافلة.

٣ - التزم أن يقارن كل دين على أساس مبادئه وأحواله المقبولة لدى جمهور معتنقيه[١].

وبعد: فإنى أتفق مع صديقى الباحث السريلانكى الدكتور دين محمد فى قوله: إن العالم لم يعرف - فى مجال الدراسة المقارنة للأديان- مثل هذه الضوابط العلمية قبل العامرى؛ بل وحتى فى العصر الحديث الذى نجد فيه الاتجاهَ العلمى بارزًا، إلا أن المقارنة كمنهج لا تزال تشوبها شوائب لم يتخلص الفكر الحديث منها تمامًا، وما أكثر الكتابات التى تظهر فى الشرق والغرب - وفى الغرب أكثر- تحت عنوان «المقارنة بين الأديان»، وما أبعد أكثرها عن مثل هذه الموضوعية والدقة العلمية التى تحدث عنها أبو الحسن العامرى.

ومما يجدر الإشارة إليه أن علماء المقارنة فى الغرب قد حذوا حذو المسلمين فى اتخاذ صور متعددة للمقارنة أو المقابلة، فظهرت لهم كتب على نمط كتاب العامرى تحلل وتقارن جوانب أساسية وفرعية بين بعض الأديان منها مثلاً كتاب(Owen Cole) بعنوان: Six Religions in the 20 th Century:

ومنها ما قد قارن بين الأسفار فحسب مثل كتاب (N. Smart).

---

(١) العامري، الإعلام، مقدمة الدكتور أحمد عبد الحميد غراب. نشر دار الأصالة بالرياض.

بعنوان: Sacrecd Texts of the world, Auniversal Antology ، ومنها ما درس عدداً من الأديان على الاستقلال فى كتاب واحد وهذا النوع كثير جداً، ويمكن أن يشار هنا إلى الكتب التالية على سبيل المثال:

* John Noss, Man`s Riligions, New York, 1956.
* Ninian Smart, The World`s Religions, New York, 1989.
* L. Hopfe, Rrligions of the World, London, 1987.
* Huston Smith, The Religions of Man.

وأكثر كتب المقارنة تدرس ديانة واحدة دراسة رأسية متعمقة مثل ما كتب عن اليهودية، أو المسيحية، أو الهندوسية، أو البوذية أو غيرها.

بقى أن أذكر أن فكرة العامرى فى المقارنة هى نفسها التى أسس عليها الظاهريون الجدد منهجهم الظاهراتى فى دراسة الأديان Phenomenological Approach.

وإن كانوا قد غالوا فيه وتطرفوا فى تطبيقه إلى حد استوجب نقد زملائهم.

إن هذا الكتاب بحق، نموذج رفيع سامق من نماذج التحليل العلمى والمقارنة الموضوعية للأديان الستة التى تناولها، ونعتقد أن كتابه المعنون (الإرشاد لتصحيح الاعتقاد) - الذى قارن فيه عقيدة (البعث والمعاد) بين المجوسية والمانوية واليهودية والنصرانية، فضلاً عن الإسلام- مثل كتابه (الإعلام) فى موضوعيته ومنهجيته.

ثالثاً: المنهج التحليلى النقدى:

للنقد أصول أو قواعد منهجية وضوابط حددها علم مناهج البحث وأصبحت مستقرة تتمتع - على المستوى الفلسفى النظرى- بالقبول العام، وإن تفاوت الدارسون فى تطبيقها عملياً أو واقعياً.

لقد درس المسلمون الأديان أو جوانب منها دراسة نقدية منهجية فى كثير من أعمالهم العلمية التى حللوا فيها جانباً معيناً أو جوانب فى ديانة أو أخرى - تحليلاً نقدياً، ويمكننا أن نمثل لهذا النوع من دراسة الأديان بنماذج عديدة يصعب حصرها فى هذا المقام؛ منها مثلاً: دراسة ابن حزم الأندلسى لنص العهدين القديم والجديد

Old and New Testament ، ودراسة أبى حامد الغزالى لدعـوى تأليه المسيح عليه السلام، وكذلك تحليل المسلمين النقدى لدعوى التـثليث الصلب والقيامة والخطيئة الأصلية والكفارة فى المـسيحية، والتناسخ فى أديان الهند، والـنسخ فى اليهودية، ولجوانب مهمة فى الزرادشتية والمانوية إلخ.

لقد خـصص ابن حزم مسـاحة كبـيرة من كتابـه «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لدراسة نص Text الأسفار الخمـسة أو التوراة Pentateuch ، درس ابن حزم هذه الأسفـار الخمسة دراسة وثائقيـة، وحللها تحليلاً نقديًّا منهجيًّا مستخدمًا تكنيكًا متطورًا تمثل فى عملية استقـراء تاريخى دقيق، استهدف به فحص الظروف العامة والملابسات الخاصة التى أحاطت بكتابة هذه الأسفار، وحفظها، ونقلها. ثم درس دراسة نقدية نص هـذه الأسفار، ليعرف واقع هذا المتن فى حـد ذاته؛ ليصل إلى الحكم على هذا النص أو هذه الوثيقة. لقد تشكل منهج ابن حزم التحليلى من النقد الخـارجى أو بحث السند والرواية، ومن النقد الداخلـى أو فحص متن النص أى المحتوى، ويعـد ابن حزم الأندلسى أول باحث فيما نعلم يدرس العـهد القديم عمومًا والأسفـار الخمسة خصوصًا دراسة تحليلية نقـدية، ويوظف فيها هذا المنهج الرصين؛ ولذا فـلا غرابة أن يلقبـه الأستاذ «بنار دى لابوليـه» برائد هذا النوع من الدراسات فى الفكر الإنسانى كله.

وقد كانت نظرية ابن حزم سهلة واضحة أقـرب إلى الحقيقة البديهية التى لا تختلف العقول حولها؛ إذ بحث الظروف العـامة والخاصة لوضع التوراة، الأسفار الخمسة، أى أنه سـيشرح موقف بنى إسرائيل - عبـر تاريخهم من التوراة. ومدى عنايتهم بها، ومن كان يقوم على حـفظها من بينهم وأين كانت تحفظ، وهل كانت نسخـها منتشرة ذائعـة عامة فى بنى إسـرائيل، أم كانت محدودة الانتـشار، وهل نقلت من جيل إلى جـيل نقلاً متـواترًا؟ كل ذلك منذ أيام موسى عليـه السلام - الذى تنسب إليه هذه الأسفار على أنه هو كاتبها أو متلقيها وحيًا سماويًّا- إلى آخر دولة بنى إسرائيل ودخـولهم عصر الشـتات أو «الديسبورا». وغـرض ابن حزم أن يضع أيدينا على برهان حاسم مؤداه: أن الظروف التى مرّت بها التوراة الأصلية - عند بنى إسرائيل- كانت مناسبة جدًّا؛ بل كانت أنسب ظروف، يمكن للتوراة، بل ينبغى لها أن تحرّف وتبدّل وتغيّر وتزيّف.

ويفحص المتن أو محتوى الوثيقة وينقده نقداً داخلياً، مرتكزاً على أصول منهجية لا يختلف عليها دارسان مثل: التناقض الذاتي، ومناقضة بدهيات العقول، ووقائع التاريخ الثابتة، ومقررات الواقع الملموس.

وقد انتهى ابن حزم من خلال الدراسة التحليلية النقدية إلى نتيجة عبر عنها بقوله: «إنها تاريخ مؤلف» ألف بعد موسى بقرون عديدة «وأن كتاب موسى كان يقرأ في مجلس واحد» إلخ.

ولقد جاء الحبر اليهودي إبراهيم بن عزرا الغرناطي - بعد ابن حزم- بمائة سنة وذكر بعض ما وصل إليه ابن حزم، ثم جاء الفيلسوف اليهودي الكبير باروخ سبينوزا - بعده بستة قرون- وذكر نفس نتائجه بألفاظها وحروفها.

رابعاً: منهج الحوار والرد والمجادلة:

عرف الفكر الإسلامي في وقت مبكر هذا النوع من الدراسة للأديان، واتخذ أشكالاً أو اتجاهات متعددة.

منها: شكل المناظرات الحية، التي كانت تتم في مجالس عامة أو خاصة بين علماء مسلمين وغير مسلمين من أصحاب الملل المختلفة، وقد كان هذا الشكل مناسباً لطبيعة ذلك العصر وإمكانياته المتاحة ورغبة الناس آنئذ، ولا ريب أن في ذلك آية على سماحة الإسلام وأهله، ومع ذلك فإننا لا نتوقع أن تتمخض تلك المناظرات العلنية عن نتائج ملموسة؛ لأن هدف الطرفين غالبًا ينصرف إلى الغلبة والانتصار بالأساليب الجدلية على حساب الإقناع والاقتناع.

ولقد سجل تاريخ الفكر الإسلامي نوعًا آخر من الحوار بين علماء الإسلام وعلماء الأديان الأخرى، وقد كان حواراً مكتوبًا في رسائل أو في كتب؛ ويمكننا أن نشير في هذا الصدد إلى رسالة راهب دير كلوني Cluny في جنوب فرنسا إلى أمير سرقسطة في الأندلس، وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، وإلى تلك الرسائل الشهيرة المتبادلة بين عبد المسيح والهاشمي، وإلى رد ابن كمونة اليهودي على كتاب السموأل بن يحيى المغربي، ثم رد ابن المحرومة المسيحي على ابن كمونة اليهودي، وإلى سلسلة ردود أبي زكريا يحيى بن عدي على رسائل الكندي الفيلسوف وأبي عيسى الوراق، وإلى ردود القرافي وابن تيمية على سؤالات بولس

الراهب، وإلى رد رحـمت الله الهندى على الدكتـور فندر . . إلى غيـر ذلك من حوارات وردود مدونة.

وهناك نوع ثالث من هذه الردود يـتمـثل فى تلك الدراسـات الجدليـة التى خصصها كتّـابها للرد على قضية أو مسألة بعينها أو أكـثر فى ديانة مثل كتاب أبى عيسى الوراق (الرد على فرق النصارى الثلاث)، ورسائل الجاحظ (المختار فى الرد على النصارى) وجـانب من كتابات القـاضى عبد الجـبار الأسد آبادى، أو كـتاب (الإعلام) للقرطبى المفسر، أو (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) إلى غير ذلك.

ولقد اهتـم البعض - خصـوصًا كُـتَّاب أعلام النـبوة المحمـدية- بالنظر فى الدلائل المتمثلة فى البشارات بنبوة مـحمد ﷺ فى التوراة والإنجيل؛ لذا فقد بذلوا جهدًا كبيرًا فى محاولة التعرف عليها والتعريف بها.

ومن الكتابات الجـدلية كذلك تلك الروائع التى دوَّنها المهـتدون إلى الإسلام من علمـاء اليهود والنصـارى؛ مثل كـتابى على بن ربّن الطبـرى «الدين والدولة» و«الرد على فـرق النصارى»، والحـسن بن أيوب فى رسـالتـه إلى أخيـه على بن أيوب، وعبـد الله الترجـمان فى «تحفـة الأريب» ونصر بن يحـيى فى «النصيـحة الإيمانية»، والسموأل بن يحيى فى «إفحـام اليهود» والحسن بن سعيد الإسكندرانى فى «مسـالك النظر» وعبد الأحـد داود فى «محمـد فى الكتاب المقدس» وغـيرهم وغيرهم.

لقد تميز هذا النوع من الكتابات الجـدلية فى الفكر الإسلامى - بمزايا عديدة منها أن كثيـرًا من هؤلاء العلماء كان يترجم نصوص الأسفـار المقدسة من اللغات الأخرى مثل العبرية والسريانية واليونانية، ولا ينقل عن الترجمات العربية، كما أن بعض هذه الكتابات قد تميز بالدقة والعمق، وحـسن التنظيم وسلامة العرض، كما أنها قد لفتت انتـباه المسلمين إلى مسائل مهمـة فى الحقل، ومن أجل ذلك احتفى كبـار علماء المسلمين بهـذه المدونات وأفادوا منهـا، وشكلت لهم رافدًا أساسـيًّا، وسدت لديهم نـقصًا وخللاً، وقـد كتب لبـعض هذه الكتابات الذيوع والانتـشار والقبول بين المسلمين عامتهم وخاصـتهم مثل كتابات على بن ربّن الطبرى والحسن

ابن أيوب التى شكلت مرجعًا مهمًّا لكثير من علماء الإسلام الكبار مثل القاضى عبد الجبار وابن تيمية وابن القيم وغيرهم

يبقى أن أذكر أن أكثر هذا النوع من الدراسات، أعنى الحوار والردود والجدل، تنتمى إلى علم الكلام لأنها - فى واقع الأمر- جدل دفاعى عن الإسلام، كما أن بعضها ينتمى إلى علم الأديان، أو علم الدين المقارن؛ لأنها سلكت مسلك التحليل والمقارنة الذى يشكل جانبًا مهمًّا فى هذا العلم، أعنى علم مقارنة الأديان.

وبعد: فإن البعض لا يزال يتصور أن دراسات المسلمين النقدية والجدلية للأديان كانت فى عمومها- هجومًا على تلك الأديان، مبعثه التعصب الأعمى للإسلام وكراهية الأديان المخالفة والحقد عليها، والعمل على تحطيمها والتخلص منها بأية وسيلة متاحة لهم!!.

أقول: إن هذا التصور خاطئ من أساسه، بل إنه إسقاط حالة أوربا المسيحية وموقفها من الأديان الأخرى على الإسلام والمسلمين؛ لأن الإسلام يقر بالتعددية الدينية: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[الكافرون:٦]، ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[يوسف:١٠٣]، ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء:٦٧]، كما أن الإسلام يضمن حرية الاعتقاد: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[البقرة:٢٥٦] ، وانطلاقًا من ذلك ساد التسامح الدولة الإسلامية عبر تاريخها كله، وأمكن لأصحاب الأديان التعايش والاختلاط والحوار والنقاش والجدال الذى ضمنته وحرست حقوق الجميع دولة مؤمنة، وهو ما تعجز عنه الدول العلمانية اليوم عجزًا مخيفًا.

لقد كان أكثر دراسات المسلمين النقدية والجدلية للأديان الأخرى منهجيًّا موضوعيًّا ملتزمًا بالأصول والضوابط التى اصطلح عليها العلماء نظريًّا وتطبيقيًّا، ودليلى على ذلك أن حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب والدراسات النقدية الغربية للمسيحية واليهودية - وهى حركة علماء متخصصين مشهود لهم بالتبحر

فى علوم الكتاب المقدس والمسيحية واليهودية - قد انتهت- بعد طول بحث ودرس إلى ذات النتائج التى انتهى إليها المسلمـون من قبل؛ ولأن المقام لا يتسع لنا، فإنه يكفينا أن نشير إلى بعض هذه الدراسات النقـدية مثل «رسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة» ، ودراسات فلهوزن وريتان واستروك وهرناك وإيشهورن، وكتب مثل:

* The Contradiction of Christianity, by D. Jenkin.
* Objections to Christian Beliefs, by Mackinion, Wiliams, Vidler, Bezent.
* The Myth of God Incarnate, by John Hick.
* The Myth Maker, Paul and Inventron of Chistianity by H. Maccoby.
* Biblical Criticism, by R. Davidson and A. Leaney, 1970.
* Why I am not a Christian, by B. Russell.
* I`ncarnation in Hinduism and Christianity, by D. Bassuk.

وغير ذلك كثير جداً(1).

وأخيراً، أرجـو أن أكون قد وفقت فى الإجـابة على السؤال الذى طرح فى صدر هذا البحث: «هل عرف الفكر الإسلامى علم مقارنة الأديان، أو علم الدين المقارن؟!».

وأرجو أن أكـون قد وفـقت فى البرهـنة على نظرتى أو نظريتى عن مقـارنة الأديان ومناهجها فى الفكر الإسلامى ، ونحيل القارئ الكريم إلى بحوثنا الأخرى لمزيد من التفاصيل والتطبيقات.

---

(1) لنا ، منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ١٩٩٣م.
رسالة Darkshan Azam, Western Criticism on Christianity in 20 th century ماجستير بإشرافنا، أجيزت في ١٩٩٤م.

الفصل الثالث

الإسلام فى كتابات علماء مقارنة الأديان الغربيين

نماذج وشواهد

الإسلام فى كتابات علماء مقارنة الأديان الغربيين(*)

١ - صورة الإسلام كما رسمها المبشرون والمستشرقون:

لقد شعر الغرب أن الإسلام يشكل تحديا هائلاً له منذ السنوات الأولى له(١).

ولقد تمثل هذا التحدى فى الجوانب العقائدية، فقد جاء الإسلام بالتوحيد الواضح المفهوم السهل النقى، ووضع حداً فاصلاً بين الألوهية والبشرية عكس ما كانت عليه العقيدة النصرانية من غموض ولبس وتعقيد، تمثل فى الجمع المتناقض بين التثليث والتوحيد، وتأليه البشر، والتجسد والحلول ... إلخ.

كما تمثل التحدى الإسلامى للغرب فى الجوانب السياسية، فلقد جاء ليحرر الناس من الظلم والجور والبطش والعسف والاستكبار الذى مارسه ضدهم !الأباطرة الغربيون فى روما وبيزنطة، فلقد رحبت الشعوب فى سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وإسبانيا وجزر البحر المتوسط، إلخ بالفتح الإسلامى أشد ترحيب؛ لأنه جاء ليخلصهم من نير الاستعباد الغربى لهم، ويعلن ويطبق مبادئ حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة، ويشيع روح العدل والمساواة فى الحقوق والواجبات، ويسقط كل أنواع التمييز الطبقى، ويحرر المستعبدين ... إلخ.

وقد تمثل التحدى الإسلامى للغرب فى الجوانب الحضارية، حيث أرسى مبادئ التسامح وأغلق أبواب التعصب، وشجع على الانفتاح والتواصل وفرض طلب العلم على الرجل والمرأة ويسر سبل تحصيله، وحفظ حقوق الأقليات الدينية، ومنح الإنسان حرية الاعتقاد وحمى سلطانه هذه الحرية، ومن هنا فقد ازدهرت الحضارة الإسلامية ازدهاراً عظيمًا، واضعة كرامة الإنسان هدفًا ساميًا لها.

(*) عن بحث لنا قدمناه فى الندوة الدولية عن مصادر المعلومات عن العالم الإسلامى بالرياض سنة ١٩٩٩.

(1) Albert Hourani, Islam in European Thought, Cambridge Uni Press, 1991.

Karen Armstrong, Muhammad, New York, 1992.

ولقد تصرف الغرب إزاء هذه المشكلة العقائدية السياسية الحضارية التى استشعرها؛ تصرفًا ينسجم مع تعصبه وعنصريته واستعلائه، فراح ينسج لهذا الدين الجديد - الإسلام- صورة مزيفة، قلب فيها خصائص الإسلام وحقائقه رأسًا على عقب، رسم له - بعناية وحرص- صورة سوداء كالحة السواد، بغية تسويق هذه الصورة البشعة المنفرة المخيفة للمواطن الغربى، بهدف تحصينه ضد الإسلام[١].

ولقد احتمل رجال الكنيسة كبر هذا العمل، وتحول رجال الكنيسة إلى مبشرين محترفين[٢] Missionaries ومستشرقين Orientalists ، يدرسون الإسلام من كل جوانبه، بهدف دحضه أو تشويهه، بغية تسميم عقل المواطن الغربى ووجدانه ضد الإسلام ليصبح كارهًا له خائفًا منه، وبذلك يبلغ الغرب هدفه فى تحصين مواطنيه ضد هذا الدين.

ولقد أنجز المبشرون الغربيون والمستشرقون أكبر وأوسع عملية تزييف وعى أو غسيل مخ فى التاريخ الإنسانى كله، لقد خان هؤلاء أماناتهم ولم يقدموا لذويهم فى الغرب الحقيقة - حقيقة هذا الإسلام بخصائصه السامية- كما هى عليه، فأساءوا إلى مواطنيهم، وأساءوا إلى الإنسانية كلها؛ إذ تسببت أعمالهم ودراساتهم فى توتر العلاقات وتكريس العداء المزمن المستحكم بين الغرب والإسلام والمسلمين، فضلاً عن تأجيج نيران الحروب الصليبية فى العصور الوسطى، ثم حروب الاستعمار، ثم محاولات الغرب المستميتة للهيمنة وفرض السيادة والسيطرة على المسلمين. . . لقد برز تلاقى الاستشراق مع التبشير فى الأهداف بموافقة مجمع فيينا الكنسى[٣] على إنشاء أقسام للدراسات العربية والإسلامية فى جامعات

---

(١) انظر كتابنا: الاستشراق، دار الفكر العربى بالقاهرة، ١٩٩٣م.

Edward said, Orientalism, New York, 1979.

(٢) 1942, Conferences of Christian Workers Among Moslems, كتاب / التبشير: خطة لغزو العالم الإسلامى، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى مدينة جلين أيرى (كولورادو) فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨ ، ونشرته دار Marc بعنوان:

The Gospel and Islam ` A 1978 Compendium.

وانظر : د. عمر فروخ ، د. مصطفى الخالدى: الاستعمار والتبشير ، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت.

(3) Francis Dovernik, The Ecumenical councils, NY 1961.

أوربا الكبرى سنة ١٣١٤م، ولقد تحالفا فيما بعد مع الاستعمار العسكرى والسياسى والاقتصادى والثقافى الغربى للعالم الإسلامى[١].

وهكذا قد أصبح العداء للإسلام والكره العميق له مسيطرا على المناخ العقلى الغربى العام لدرجة أن عباقرتهم الكبار أمثال شكسبير ودانتى وفولتير وكالاربل لم يستطيعوا الإفلات منه، فما بالك بالإسلام العادى(٢).

٢ - صورة الإسلام كما رسمها علماء مقارنة الأديان الغربيون:

بعد أن أشرنا إلى الصورة الشائهة المزيفة التى رسمها للإسلام كل من المبشرين والمستشرقين، نأتى إلى الجماعة الثالثة التى هى محل عنايتنا فى هذا البحث، وأعنى بهم علماء مقارنة الأديان الغربيين.

يجدر بنا أن نشير - هنا - إلى أن علم مقارنة الأديان ، أو علم دراسة الأديان علم حديث النشأة فى الغرب[٣] ، فلقد وضع وثيقته التأسيسية فى منتصف القرن الماضى عالم الفلولوجيا: ماكس ميوللر، ولقد ذهب علماء مقارنة الأديان إلى أن دراسة الأديان دراسة منهجية موضوعية تساعد على اكتشاف الذات فى ضوء اكتشاف الآخر، ولعل ذلك يترجم الشعار الذى أعلنه ماكس ميوللر وقال فيه: Who Knws one Knows none!.

أى أن الذى لا يعرف إلا ديانة واحدة، فهو لا يعرفها معرفة عميقة موضوعية، أو معناه حسب تفسير مؤرخ الأديان الكبير Eric Sharpe : أن الذى يعرف المسيحية فحسب، فهو لا يعرف شيئًا.

وقد اتخذ علم مقارنة الأديان لنفسه مناهج متنوعة، من أهمها:

- المنهج التأريخى الوصفى Descriptive Historical Approach.
- المنهج التحليلى المقارن، والمنهج الاجتماعى والأنثروبولوجى والمنهج النفسى والظاهراتى Phenomenological ، والمنهج النقدى[٤] إلخ.

---

(١) راجع : تراث الإسلام ، القسم الأول، شاخت وبوزوت، سلسلة عالم المعرفة.

(٢) الإسلام والمسيحية، سلسلة عالم المعرفة بالكويت، ١٩٩٧م .

(3) Eric Sharpe, Comparative Religions , NY. 1961.

(٤) انظر: مناهج علماء الغرب فى مقارنة الأديان ، صفية عبد الله - رسالة ماجستير بإشرافنا، الجامعة الإسلامية- إسلام آباد.

وما قصدت إلى التنبيه إليه هنا، هو أن علم مقارنة الأديان عندما نشأ في الغرب، كانت الصورة التي رسمها الاستشراق والتبشير للإسلام قد استقرت في العقل الغربي، وتشربها الوجدان الأوربي تمامًا.

ويمكننا القول: إنه بالرغم من انفصال علم مقارنة الأديان عن الاستشراق والتبشير موضوعًا ومنهجًا، فإنه - أي علم مقارنة الأديان- قد وظف -إلى حد ما- في دراسته للإسلام بعض ملامح تلك الصورة النمطية Stereotype التي قد نسجت في البيئة الثقافية الغربية للإسلام واستقرت فيها.

لكننا نلاحظ أن كثيرًا من علماء الأديان الغربيين المعاصرين قد تحرروا من الوقوع في أسر تلك الصورة المزيفة الذائعة في الغرب عن الإسلام، وهنا تكمن أهمية النظر في دراساتهم عن الإسلام، وفيما يقدمونه لطلابهم من معلومات عنه، فهي أصح - إلى حد كبير- من تلك التي روجها المبشرون والمستشرقون، ومن تلك التي تنشرها وسائل الإعلام الغربية بهدف «شيطنة» الإسلام، و«أسلمة» الإرهاب(١).

ولعل السبب في تحسن صورة الإسلام في كتابات علماء الأديان الغربيين يرجع إلى أن معظمهم يعمل لحساب الحقيقة الخالصة في سموها ونبلها وجلالها، وليس لحساب مؤسسة الكنيسة الغربية أو الحكومات الاستعمارية، كما أننا نلاحظ أن كثيرًا من هؤلاء العلماء يرجعون - عند الكتابة عن الإسلام- إلى مصادر الإسلام الأصلية، وربما كان للمقارنة بين الأديان دورًا مهمًّا في التعرف على الخصائص العامة لكل دين؛ لأنه عند المقارنة الموضوعية تتكشف الحقيقة وتستبين وتفرض نفسها ساطعة آسرة، وقد لاحظنا أن بعض هؤلاء العلماء الغربيين قد تحولوا - مع الدراسة والمقارنة- من الكاثوليكية أو البروتستانية إلى العلمانية Secularism، وقد تعطي هذه الملاحظة ضوءًا على محاولة التعرف على الأسباب الحقيقية وراء إقلاع هؤلاء العلماء عن الافتراء على الإسلام وتشويهه والتنفير منه.

وقد بدأ هؤلاء العلماء - منذ مطلع القرن العشرين تقريبًا- في تأليف كتب عن الأديان الحية في العالم، بمنهج تأريخي وصفي، يتناولون فيه كل ديانة -على

---

(١) الأستاذ محمد سلماوي، . عنوان مقاله الأسبوعي في صحيفة الأهرام القاهرة ، أبريل ١٩٩٨م.

حـدة- من حيث نشـأتها، ومـؤسسـها أو رسـولها، والأسـفار التى تقـدسهـا، وعقائدها، وعبـاداتها وطقوسها، وشرائعـها ونظمها، وفرقها وتـطورها، وأتباعها وتوزيعهم على خريطة العالم المعاصر.

وهذه الكتب كثيرة تعد بالعشرات، وقد تخيرت عدداً من أهمها، وهى كتب تدرس فى الجامعات الأمريكية والبريطانية (Text Books) ، أو تتخذ مراجع علمية أساسية للمتخصصين فى هذا الحقل، وهذه الكتب هى:

* The World`s Religions, by Ninian Smart, Cambridge Unipress, 1989.
* Religions of the World, by Lewis Hopfe, London, 1987.
* Muhammad A Biography of the Prophet, by Karin Armstrong, H. Collins, NY 1992.
* Man`s Religions, by John Noss, Ny 1956.
* The Religions of man, by Huston Smith , USA, 1988.
* The World`s Living Religions, by Geoffrey Parrinder, London, 1974.
* Six Religions in the 20th. Century , by Owen Cole, G. B. 1984.
* History of the Religions; Doctrines & Ideas, by Mircea Elide , USA. 1983.

وهؤلاء العلماء يـمثلون مشـيخة هذا التـخصص فى الجـامعات الأمـريكية والإنجليزية اليوم.

٣ - بعض من أخطائهم وسلبياتهم:

لقد وقع بعض هؤلاء المؤلفـين فى بعض الأخطاء الصريحة، وهى صـريحة لأنهـا تخالف مـا عليه الواقع المعلوم، وهى صـغيـرة لأنها لا تحـتاج إلا أن ننـبه أصحـابها إليهـا، وأظن أنهم سوف يصوبونهـا عند تنبيهنـا لهم، ومن أمثلة هذه الأخطاء:

قولهم : إن جبريل عليه السلام، عندما نزل على الرسول ﷺ لأول مرة في غار حراء، كان ممسكًا بكتاب فيه كلام مكتوب، وقدمه إليه، وقال له: اقرأ ، فقال: ما أنا بقارئ، فالمعلوم من كتب السيرة والسنة أن جبريل لم يقدم كتابًا مكتوبًا للرسول ﷺ ليقرأ منه، وهذا خطأ شائع في كتب علماء مقارنة الأديان الغربيين[1] لم ينج منه إلا (هيوستن سميث) و(كارين أرمسترونج) من بين العلماء الذين ذكرنا أسماءهم.

ويذكر (لويس هوبفي)[2] رأيًا مدهشًا، هو أن عدد الصلوات في حياة الرسول ﷺ كانت ثلاث صلوات، ثم زيدت فيما بعد إلى خمس صلوات.

ومن الأخطاء التي ذكرها المؤلف نفسه[3] أن الإسلام يفرض على الحجيج صيام نهارهم أثناء أداء مناسك الحج في مكة.

ويؤكد جفري برندر[4] أن الإسلام يفرض على المرأة أن تغطي جسدها تمامًا من الرأس إلى القدم أثناء أداء مناسك الحج، فيقول:

Completely veiled from head to foot.

ومن الحكايات العجيبة والطريفة قولهم: إن المسلمين عندما حطموا الأصنام الموجودة بالبيت الحرام بعد فتح مكة، وجدوا صورتين للمسيح ومريم عليهما السلام، فلم يمسوهما بسوء تكريمًا وتعظيمًا لهما، وقد تكررت هذه القصة في أكثر من كتاب[5].

---

(١) انظر:

Owen Cole, Six Religions in the 20 th. Contury, P. 41, Ninian Smart, P. 280.

Mircia Elide, History of Religious , Doctrines & Ideas, Vol: 4, P. 76.

وله ترجمة عربية سقيمة، قام بها في سوريا عبد الهادي عباس، دار دمشق ١٩٨٧ .

(2) Lewis Hopfe , Religions of the world, P. 402.

(3) P. 405.

(4) Geoffrey Parrinder, The word`s Religions, P. 12.

(٥) انظر مثلاً: G. Parrinder . P. 17 .

وانظر كذلك: Lewis Hopfe, P. 389: 390 .

ويذهب بعضهم[1] إلى أن الإسلام فى بدايته كان للعرب خاصة، ومع تطور الظروف والأحوال أصبح عالميًا تبشيريًا للناس كافة.

ومن النقاط التى تكاد تشكل قاسمًا مشتركًا لدى أكثرهم، تفسيرهم لتحويل القبلة مـن بيت المقدس إلى مكة المكرمـة، بأن محمـدًا فى بداية الأمر قـد جامل اليهود أملاً فى اكتسابهم لرسالتـه، ولما تأكد من إعراضهم، أمر المسلمين بالتحول إلى الكعبة معلنًا الانفصال النهائى عنهم[2].

ومما ألح عليه بعضهم مـثل (مرسيا إلياد)[3] مسألة الغـرانيق المدسوسة على السنة النبوية المطهرة.

وقد أظهـر (أوين كول) سوء فهـم لطبيعة الحـديث النبوى، فرآه تعليـمات شفوية سرية أوحيت إلى الرسول ﷺ ، وطلب منهم عدم تبليغها إلى العامة وعدم تدوينها، ولعله بذلك يرى أن الحـديث النبوى لا يختلف عن طبيـعة التلمود لدى اليهود[4].

ومما نلاحظه على بعضهم[5] خلطه بين التعاليم أو التكاليف الـشرعية وبين عادات المسلمين وتقـاليدهم الشعبـية، التى لا تشكل أهمية كبـيرة فى فكر المسلم وسلوكه.

هذه نماذج من تلك الأخطاء التى وصفناها بـأنها صريحة وصغـيرة فى نفس الوقت، التى لا ينبغى أن تشـغلنا عن النظر فى تلك الدراسات ومـا حفلت به من أفكار بناءة وآراء جادة، ولأن هذه الأفكار والآراء عديدة ، فإننا نعطى أنفسنا حرية اختيار بعضها فحسب، لنلقى عليها بعض الضوء، ونترك بعضها لفرصة أخرى.

---

(١) انظر مثلاً: John Noss, P.P. 698: 701

وقارن: O.Cole, P. 40. وانظر : M. Eliade, P. 67 .

(2) M. Eliade, P. 85.

(3) O.P. 75- 79.

(٤) قارن: John Noss, P.P. 683. M. Eliade, P. 89,

(5) N. Smart, P. 279.

٤ - إقرارهم بأن الغرب قد أساء فهم الإسلام وخصائصه عمداً:

ومن اللافت لنظر الباحث أن أكثر علماء مقارنة الأديان الغربيين المعاصرين يقررون بأن الغرب قد أساء فهم الإسلام وخصائصه عمدًا، وأن هذه الإساءة قد بدأت بتغيير اسم الدين ، من الإسلام إلى المحمدانية Mohamadanism (أو المهومتانية Mohamtanism) نسبة إلى النبى ﷺ، وهذه التسمية الغربية الغربية للإسلام فى رأى (هيوستن سميث) : خاطئة ومستفزة[1] ، ويقول: إنها خاطئة لأن محمداً لم يأت بهذا الدين من عند نفسه، ولكن الله عز وجل هو الذى أنزله كما هو عليه، ومهمة محمد ﷺ لم تتجاوز حمله من الله وإبلاغه للناس، وأما أن التسمية مستفزة، فلأنها تعطى انطباعًا بأن الإسلام يتمحور حول محمد الإنسان بدلاً من الله تعالى.

ويضيف سميث : إذا كانت المسيحية قد أخذت اسمها من المسيح، فذلك مناسب للمسيحيين لأنهم يؤلهون المسيح، أما إن قلنا عن الإسلام: (محمدية) فذلك يشبه تسمية المسيحية بالبولسية (نسبة إلى القديس بولس) . . . والاسم الصحيح لهذا الدين هو الإسلام، وهو مشتق من كلمة Salam التى تعنى الإسلام، وتعنى إلى جانب ذلك إسلام الوجه لله؛ لأن الإسلام يغمر الإنسان حين يسلم وجهه لله.

ويحدد مؤرخ الأديان Eric Sharpe نظرة الغرب إلى الإسلام بأنها مزيج من الكراهية والخوف[2].

أما K. Armstrong فإنها قد خصصت فصلاً فى كتابها المشار إليه جعلت عنوانه: «العدو محمد» ، كشفت فيه بشىء من التفصيل التشويهات الغربية المتعمدة للإسلام ولكتابه ولرسوله، وتاريخه وحضارته، تقول المؤلفة:

«إن الإسلام لا يزال خارج دائرة النوايا الطيبة، ولا يزال يحتفظ بصورته السلبية فى الغرب، فالذين شرعوا فى استلهام أديان مثل دين (زن) أو التاوية يندر أن ينظروا نفس النظرة المتعاطفة إلى الإسلام، فلدينا فى الغرب تاريخ طويل من

---

(1) Huston Smith, P. 193.

(2) "Mixture of Hatered & Fear" .وعبارته Eric Sharpe, P.12

العداء للإسلام، ولكن الكراهية القديمة للإسلام تواصل ازدهارها على جانبى المحيط الأطلسى، ولم يعد يمنع الناس أى وازع عن مهاجمة ذلك الدين، حتى ولو كانوا لا يعرفون عنه إلا القليل».

وتستطرد الأستاذة أرمسترونج قائلة:

«. . . كان من المحال على المسيحيين الغربيين بسبب الخوف من الإسلام أن يلتزموا العقلانية أو الموضوعية إزاء العقيدة الإسلامية، فراحوا يرسمون صورة شائهة للإسلام تعكس بواعث قلقهم الدفينة».

«كان علماء الغرب يهاجمون الإسلام باعتباره عقيدة تحريف فى الدين، ويصفون محمداً بأنه الدجال الأكبر، واتهموه بأنه أنشأ دينًا يقوم على العنف، ويمتشق السيف لغزو العالم، وأصبح اسم محمد (الذى تم تحريفه إلى: «ماهوميت») بمثابة البعبع -ماهوميت- الذى تستخدمه الأمهات فى تخويف أطفالهن العاصين. وكانت مسرحيات الرمز تصوره فى صورة عدو الحضارة الغربية، الذى حارب قديسنا الشجاع سانت جورج».

«وأصبحت هذه الصورة الزائفة للإسلام تمثل إحدى الأفكار الراسخة فى أوربا، ولا تزال تؤثر فى آرائنا ونظرتنا إلى العالم الإسلامى».

وتخاطب الأستاذة آرمسترونج مواطنيها الغربيين قائلة لهم:

«إن من يضع الإسلام فى فئة غير مقدسة خاصة به، أو من يفترض أن تأثيره كان سلبيًّا تمامًا، أو حتى تغلب عليه السلبية؛ يبتعد عن الدقة والإنصاف جميعًا، بل إنه يعتبر خائنًا للتسامح وروح التراحم اللذين نفترض أن المجتمع الأوربى يتحلى بهما، والواقع أن الإسلام يتميز بكثير من المثل العليا والرؤى التى ألهمت اليهودية والمسيحية، ومن ثَمَّ فقد ساعد الناس على غرس وتنمية القيم التى يشترك فيها مع ثقافتنا الخاصة، والتقاليد اليهودية والمسيحية (الغربية) لا تحتكر عقيدة التوحيد، ولا الحرص على العدالة والتأدب والتراحم واحترام الإنسانية . . .».

وتشعر أستاذة تاريخ الأديان بالمرارة والأسف لأن: «الحال لم يختلف كثيراً عما كانت عليه فى العصور الوسطى، فزيادة إدراك الحقائق لم تستطع طمس صور الكراهية القديمة التى كانت تسيطر سيطرة قوية على المخيلة الغربية».

«إن التعصب القديم كان راسخًا إلى الحد الذى جعل الكثير من الكتاب يعجزون عن مقاومة التعريض، دون مبرر، بالنبى من حين لآخر، مما يدل على أن الصورة التقليدية لم تمت. وهكذا نجد (سايمون أوكلى) يصف محمدًا بأنه: رجل بارع الدهاء واسع الحيلة، إذ كان يتظاهر فحسب بالصفات الحميدة المنسوبة إليه، أما دوافعه النفسية فهى الطموح والشهرة.

ويقول (جورج سيل) فى مقدمة ترجمته للقرآن: إن أحد الأدلة المقنعة على أن العقيدة المحمدية لم تكن قطعًا سوى ابتكار بشرى، هو أنها تدين بنشوئها وتطورها إلى السيف وحده تقريبًا.

وكتب «فولتير» مسرحية عنوانها «محمد أو التعصب» ، وفيها يستعين بالكراهية الشائعة لمحمد فى جعله نموذجًا لجميع الدجالين الذين أحالوا شعوبهم إلى عبيد للدين متوسلين بالتحايل والأكاذيب، وعندما وجد أن بعض الأساطير القديمة عن محمد ﷺ لم تكن فاحشة إلى هذا الحد الذى يرضيه، عمد إلى ابتداع أساطير جديدة أفعمت قلبه فرحًا.

و«جيبون» يزعم أن محمدًا قد دفع العرب إلى اتباعه من خلال إغرائهم بالغنائم والجنس، أما عن اعتقاد المسلمين بأن القرآن قد أملاه الوحى المنزل على النبى، فقد اصطنع «جيبون» نبرة تعال وترفع قائلاً: إن الإنسان المتحضر حقًّا يرى ذلك من قبيل المحال.

إن تلك الحجة -القرآن- تخاطب، بكل قوة، العربى المخلص الذى يقبل عقله منطق الإيمان والنشوة الدينية، والذى تلتذ أذنه بموسيقى الأصوات، والذى يعجز جهله عن عقد المقارنات بين ثمار قرائح البشرية، فتناغم الأسلوب وجزالته لا يستطيعان التأثير بعد الترجمة ، فى الكافر الأوربى، الذى سوف يضيق ذرعًا بمتابعة المعزوفة التى لا تنتهى، والتى تتسم بالنشاز، والحافلة بالأساطير والمفاهيم المجردة، والنبرات الخطابية، والتى نادرًا ما تثير إحساسًا أو توحى بفكرة ما، والتى أحيانًا ما تزحف فى التراب.

أما «كارلايل» فإنه قد أنصف النبى ﷺ لكنه لم ينصف القرآن الكريم، فقال عنه: إنه خليط غير مترابط، يرهق القارئ، غليظ النسيج، ركيك التركيب، غاص

بالتكرار، وبالإسهاب والمغالطات التي لا تنتهى، وباختصار فهو بالغ الغلظة والركاكة والغباء الذى لا يطاق.

وبعد الحملة الفرنسية على مصر كتب «شاتوبريان» يقول: إن الصليبيين حاولوا نشر المسيحية فى الشرق، وهى أقرب الأديان إلى «إذكاء روح الحرية» ولكنهم اصطدموا فى جهودهم الصليبية بالإسلام وهو عقيدة معادية للحضارة، وهى تشجع بانتظام على انتشار الجهل والاستبداد والرق.

أما القرآن فيقول عنه: إنه لا يتضمن مبدأ واحداً من مبادئ الحضارة، ولا فرضًا يسمو بأخلاق الإنسان، والإسلام على الجملة، يختلف عن المسيحية فى أنه لا يحض على كراهية الطغيان أو على حب الحرية.

وتبرز «آرمسترونج» تناقض الغرب مع نفسه فى موقفه العدائى من الإسلام قائلة:

«كان بعض نقاد الإسلام، أيام الفكر الطبقى الذى ساد العصور الوسطى، يهاجمون محمداً لأنه منح الطبقات الدنيا سلطات أكثر مما ينبغى -مثل العبيد والنساء.

وقد انعكس بعد الثورة الفرنسية هذا الوضع، لا بسبب زيادة معرفة الناس بالإسلام، بل لأنه أصبح ملائمًا لما نحتاج «نحن» إليه»[(١)].

إن الإقرار بأن الغرب قد تعمد إساءة فهم الإسلام منذ نزوله وحتى اليوم، وإظهار الأسف على ذلك، هو القاسم المشترك بين عدد كبير من علماء مقارنة الأديان فى الغرب، ولقد أرجع بعضهم ذلك الموقف العدائى إلى انغلاق الغرب وتعصبه Exclusiveness and Intolerance، وبعضهم إلى الكراهية والخوف، وبعضهم إلى رد الفعل ضد التحدى والعقدى والسياسى والحضارى الذى مثله الإسلام لأوروبا منذ تاريخه المبكر.

---

(١) كارين آرمسترونج: (محمد): فصل «العدو محمد» ترجمة د. محمد عنانى، د. فاطمة نصر، سلسلة كتب: سطور، رقم ١، القاهرة ١٩٩٩، ص: ٣١- ٦٩.

وإن هذه الروح الجديدة لدى بعض علماء الأديان التى تتسم بالشجاعة الأدبية والميل إلى الإنصاف والموضوعية، تستحق النظر والتشجيع.

الردة العقائدية ... والردة الدستورية:

لم يقف هؤلاء العلماء عند هذا الحد، لكنهم حاولوا بطريقة أو بأخرى تصحيح بعض الأخطاء والمغالطات التى وقع فيها بعض المستشرقين والمبشرين، ولنأخذ مثالاً على ذلك ما سمى فى التاريخ الإسلامى «بحروب الردة» التى تلقفها هؤلاء وشغبوا بها على الإسلام قائلين: إن الإسلام دين لا يؤمن بحرية الاعتقاد، ومن ثم لا يحترم حقوق الإنسان والإنسانية.

لم ينظر هؤلاء العلماء إلى المسألة نظرة المستشرقين والمبشرين، لكنهم رأوا أن أولئك الذين وصفوا بالمرتدين ليسوا إلا ثائرين خارجين على سلطان الدولة وقوانينها.

يقول «ج بارندر»(١) : بموت محمد فإن كثيرًا من القبائل التى أقسمت له على الولاء والطاعة قد أثارت القلاقل وانفجرت فى ثورة، لذلك أرسل أبو بكر الجيوش لإخضاع ثورتها To Subdue them again فالمسألة لم تكن «ردة إيمان أو اعتقاد» فحسب، لكنها كانت ردة سياسية ودستورية إن جاز الوصف، والتعامل العسكرى مع هذا النوع من الخروج السياسى غير المبرر على سلطان الدولة، لا يعتبر فى عرف القوانين الدولية والدساتير الوطنية، مناقضًا لحقوق الإنسان أو منافيًا لحرية الاعتقاد.

ولقد أكد هذا المعنى كله (ل. هوبفى) بقوله(٢): لقد اضطر أبو بكر لإخضاع عصيان أو تمرد بعض القبائل للحفاظ على وحدة الأمة التى بناها الرسول ﷺ:

Abu Bakr had to suppress rebillion and olso try to unify the nation that profet had built.

فالأمر كما فهمه هؤلاء العلماء - وهو على صواب- لم يكن مجرد ردة

(1) G. Parrinder, P. 18.

(2) L. Hopfe, P. 409.

عقيـدة لكنه كان تمردًا سياسيًّـا استهدف وحدة الأمة، فكـيف يشغب أولئك النفر على الإسلام، ويزعمون أنه يكره الناس حـتى يكونوا مؤمنين؟! ، أليست الحرب خيرًا من الفوضى السياسية كما يرى «مرسيا إلياد».

موقف الإسلام من المرأة:

من الموضوعات التى اعتبرهـا كثير من المبشرين[1] والمستشرقين نقاط ضعف فى الإسلام مـوقفه من المرأة، ولا يكاد المرء يجد كـتابًا أو بحثًـا لكاتب غربى فى الموضوع، يخلو من غـمز الإسلام والتعـريض بشخص الرسول ﷺ بسـبب إباحة تعدد الزوجات، وبسبب تعدد أزواجه.

لكننا وجدنا أن علماء مقارنة الأديان الغربيين المعـاصرين لا يتفهمون موقف الإسلام من المرأة فحسب، بل نراهم يدافعون عنه ويتحمسون له.

ولقد جذب انتباههم بشدة ما قـامت به أم المؤمنين السيدة خديجة فى سبيل الدعوة الإسلامية ومؤازرة زوجـها إبان نزول الوحى لأول مرة، وما تقدير الرسول لها إلا تقـدير للمرأة بعـامة، ولقـد تمثل هذا فى مظاهر عديدة، منـها أنه ﷺ لم يتزوج فى حياتها بأخرى.

يتحـدث «أ. كول» عن مكانة المرأة فى الإسلام مـقارنة بما كانت عليـه قبل الإسلام فيقول: لقد منحت المرأة العربية فى ظل الإسلام مكانة سامية على العكس تمامًا مما كـان عليه حالها المزرى قـبل الإسلام، إذ لم تكن منزلتها أكـثر من منزلة Chattles أى سلعة تباع وتشترى عند الحاجة، ولقد أكد محمد أهمية الزوجة والأم فى تكوين الأسرة، ويؤكد «كول» أن الإسلام قد كلفـها بالعبادة كما كلف الرجال فيقـول: «لقد حض الرسول النسـاء على الصلاة، ولقد شكل النساء طوال حـياته جزءًا من جمـاعة المصلين فى المسجد، على الرغم من أن حضـورهن إلى المسجد لأداءالصلاة لم يكن إجباريًا.

ويستغـرب «كول» -وله الحق فى ذلك- من الجماعات الإسلامـية التى تحرم على المرأة الذهاب إلى المسجد تحريمًا[2].

---

(1) Behind The Veil. Unmasking Islam.

(2) O. Cole. P. 195.

ولو قارنـا ما كتـبه علمـاء مقـارنة الأديان الغربيـون - عن وضع المرأة فى الإسلام- بما جاء فى كتابات المستشرقين والمبشرين مثل كتاب .. «Behind the Veil» و«Unmasking Islam» وبما تنشره وسـائل الإعلام الغربـية اليوم لعـرفنا موضوعـية هؤلاء العلماء وحيدتهم وصدعهم بالحق.

ولقد كـتب الأستاذ «هـ. سمـيث» دفاعًا حـارًا عن وضع المرأة فى الإسلام جاء فيـه: إن النساء قبل الإسلام كن بمثابة أشـياء مملوكة للرجال أكـثر من كونهم بشرًا ، وكان الرجل يستطيع أن يتزوج عددًا لا حد لكثرته من الزوجات، ويقول: ولنكن أكثـر دقة ونذكر أن عـلاقة الرجل بزوجـاته كانت منحصـرة فى واحدة أو اثنتين، ومن عـداهن من الزوجات كن يعاملن أسـوأ معامة وكن نادرًا مـا يعاملن كزوجات»[1].

ثم يتحدث «سميث» تحت عنوان (وضع المرأة فى الإسلام) فيقول: لقد اتهم الإسلام بشكل واسع (فى الغرب) بـأنه يحط من شأن المرأة بسبب سماحـه بتعدد الزوجات.

ولو أننا نظرنا إلى المسـألة زمنيًا، وقـارنا بين وضع المرأة العربيـة قبل بعـثة محمد ﷺ وبعدها لوجدنا أن التهمة زائفة تمامًا.

فى أيام الجاهليـة لم يكن للزواج ترتيبات أو إجـراءات، وكان من النادر أن يعتـد به، أما الزواج المؤقت والمشـروط فكان هو المسيـطر على الساحـة، وكانت النساء فى منزلة القطيع يعاملن حـسب هوى أزواجهن أو آبائهن، ولم يكن للبنات حق فى الميراث ألبتة، بل كن يدفن أحياء فى طفولتهن.

وفى مواجهة تلك الظروف التى كـانت تعتبر ولادة البنت فيها مـصيبة، فإن الإصلاحات التى جـاء بها محمد قد أعلت منزلة المرأة بشكل أسـاسى، لقد حرم الإسلام وأد البنات، وفـرض للبنت حقًـا فى الميراث، نعم إنه لم يسو بـينها وبين الرجل، وهذا أمر يـتمشى مع مـقتضـيات العـدالة فى نظر محـمد؛ لأن المرأة لا تتحمل مسئولية مالية فى بيتـها، بيد أن القرآن قد فتح باب المساواة التامة بين المرأة

---

(1) Huston Smith, P. 216- 218.

والرجل فيما يتعلق بالمواطنة والتعليم، والانتخابات السياسية Suffrage &Vocation والعمل.

ويقول «سميث» : إن مساواة المرأة الأوربية بالرجل، ووضعها الاجتماعى الحالى قد تحقق نتيجة التحول الصناعى والديمقراطى ولم يكن ليتحقق بسبب الدين (المسيحى أو اليهودى).

ولقد قدم الإسلام أعظم إسهاماته لرفع شأن المرأة بوضع نظامه الخاص فى الزواج. لقد قدس الزواج وجعل منه السبيل الوحيد المباح للعلاقات الجنسية. إن الادعاءات الغربية بأن الإسلام دين يحض على الشهوات الجنسية Lascivious إتجاه مريض حقًّا، هذا أولاً، أما ثانيًا: فإن الإسلام يتطلب الموافقة التامة للمرأة قبل زواجها ولا يستطيع رجل ما، ولو كان السلطان نفسه، أن يتزوجها بدون موافقتها الصريحة، ولقد وثق الإسلام - ثالثًا- رابطة الزوجية توثيقًا عظيمًا.

ومع أن محمدًا لم يحرم الطلاق تحريمًا مطلقًا فإنه جعله بمثابة الحل الأخير لمشاكل الزوجين المستعصية، وقد أكد مرارًا على أن - الطلاق - أبغض شىء حلال عند الله. . ، ولقد شرع لإتمام الطلاق ثلاث مراحل مستقلة للتوفيق والإصلاح للتقليل من نسبة الطلاق، ويذكر «سميث» أن أمر الطلاق مكفول للمرأة كما أنه مكفول للرجل فى الإسلام.

ثم يناقش «هـ. سميث» مسألة تعدد الزوجات Polygamy ويذكر أن الآراء متفاوتة حولها، والإجماع يزداد على أن الوضع المثالى الذى يراه القرآن هو الزوجة الواحدة Monogamy والنص القرآنى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] واضح فى ذلك. والمساواة فى الآية مطلقة، وتحقيق المساواة المطلقة بين الزوجات تؤكد أن القرآن يهدى إلى عدم التعدد فى الظروف العادية.

كما أن هناك ظروفًا غير طبيعية قد تمر بالمجتمعات البشرية تجعل من السماح بتعدد الزوجات حلاً مفضلاً من وجهة نظر أخلاقية، وتلك الظروف قد يمر بها الأفراد فى حالات المرض الميئوس منه، أو المجتمعات فى حالات الحروب التى تحصد الرجال وتجعل عددهم أقل من نصف عدد النساء فى بعض الأحيان. . . وتعدد الزوجات هو

الحل فى مثل هذه الأوضاع حتى تحاط العلاقات الجنسية بالمسئولية مع المساواة التامة بين الزوجات والعدالة بينهن، وكفالة حقوق المرأة.

أما فى ظل عدم إباحة تعدد الزوجات فإن المرأة تفتقر إلى العاطفة الزوجية ولا تتمتع هى أو وليدها بالمسئولية والرعاية من الزوج والأب.

وقد ذكر رأيه فى مسألة حجاب المرأة وتغطية نفسها تغطية كاملة شاملة، فقال: إن ذلك كان من أجل حاجة ماسة تحقق ميزة للنساء فى أيام محمد ﷺ: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وهى أمن النساء بعدم إيذائهن، لكنه لم يقصد إلى تكبيل المرأة بالبردة فى غير ما حاجة إليه، أى أن أمر البردة أو الحجاب التام للمرأة ليس مطلبًا عامًا مطلقًا فى كل زمان ومكان ولعموم نساء المسلمين.

ثم يعلق ساخرًا من موقف الغرب من الإسلام فيقول: «إن الصورة الغربية النمطية الشائعة Steroetype للمسلم هى أنه رجل ممتشق سيفه ويجر وراءه طابورًا طويلاً من الزوجات»(١).

والحق أن معظم هؤلاء العلماء - على تفاوت نسبى بينهم- قد ناقشوا مناقشة موضوعية ما أطلق عليه فى الغرب: وضع المرأة فى الإسلام. وقد تحدث كثير منهم بنزاهة عن الحكمة وراء تعدد زوجات النبى ﷺ فرأى بعضهم أنها تتعلق بالرحمة والإنسانية النبيلة حيث إن معظم زوجاته كن عجائز أو أيامى حروب.

ويجدر أن أنقل هنا رأى (جفرى برندر) الذى يقول فيه: «إن شيئًا ينبغى أن يذكر عن اتخاذ محمد - فى وقت متأخر بعد وفاة زوجه خديجة- زوجات عديدات؛ لأن هذه النقطة كانت محل انتقاد غربى له، لكن هذا الأمر ينبغى أن ينظر إليه فى بيئته الشرقية، وإن داود صاحب المزامير وسليمان اللذين كانت حكمتهما محل تقدير عظيم قد اتخذا لهما زوجات عديدات».

ويذكر أن أمرًا طريفًا إذ يرى أن محمدا ﷺ قد تزوج مرات كثيرة فى محاولة منه لإنجاب ولد ذكر، ورغم أنه لم يوفق فى ذلك فإنه لم يسئ معاملة أى من زوجاته(٢).

---

(1) Huston Smith, P. 216- 218.

(2) G. Parrinder, P. 14.

٧ - التوحيد الأنقى والأصفى:

اتفقت كلمة علماء الأديان الغربيين - من خلال دراستهم للإسلام مقارنًا بالأديان الأخرى- على أن الإسلام هو الصورة النقية الصافية للتوحيد، (مرسيا إليادى): إن رسالة محمد -كما صيغت فى القرآن- تمثل التعبير الأكثر نقاء للتوحيد المطلق، فالله هو الإله الأوحد، مطلق الحرية كلى العلم والقدرة، خالق السموات والأرض، خالق كل ما هو موجود، فعال لما يريد... يحكم إيقاعات الكون وأفعال البشر، له الحرية المطلقة[١].

ولقد كانت الرسالة الأساسية للقرآن - كما ذكر برندر- هى توحيد الله ومحاربة الوثنية ، فالإسلام هو من آخر الديانات التوحيدية التى تدعو إلى الإيمان بإله واحد. أما (ل. هوبفى) فيرى أن الديانة الإسلامية تدعو إلى أشد أنواع التوحيد صرامة، وعقيدته - لا إله إلا الله محمد رسول الله- على النقيض تمامًا من تعددية أهل مكة Polytheism، والبيزنطيين الذى كانوا إذ ذاك لا يزالون يتجادلون حول طبيعة المسيح والجزء الإلهى الذى حل فيه، يقول المسلمون: لا إله إلا الله الواحد الأزلى، الذى لا ينقسم ولا يتعدد.

ويرى (ننيان سمارت) أن الخيط الأساسى فى الإسلام هو توحيد الله خالق العالم الذى جعل الإنسان خليفة على الأرض التى هيأها لمنفعته[٢].

وبعد أن يشرح «سميث» مفهوم التوحيد فى الإسلام يعلق قائلاً: هذا التوحيد هو إضافة الإسلام الأساسية إلى الدين فى كليته[٣]. وترى «كارين آرمسترونج» أن التفسير الإسلامى لعقيدة التوحيد يتميز بعبقرية خاصة، وعلينا - نحن الغربيين- أن نتعلم منها أمورًا مهمة[٤].

فالصورة الأصفى والأنقى للتوحيد هى بصمة الإسلام وخاتمه على الدين كله فيما يذكر هؤلاء العلماء.

---

(١) مرسيا إليادى، ص ٨٨، من ترجمة عبد الهادى عباس.

(2) H. Hopfe, P. 283.

(3) H. Smith, P. 205.

(٤) كارين آرمسترونج، ص ٢٢ من الترجمة العربية .

٨ - الانتشار السريع المذهل للإسلام:

قد كـان الانتشـار السريع المذهل للإسلام وبـلوغه ما بلغ الليـل والنهار فى وقت قصير جداً، من أبرز المسـائل التى استـرعت أنظار هؤلاء العلمـاء، فمـثله بعضهم بالفيضان، وبعضهم بالبركان، وحاولوا التعمق فى بحث الأسباب الحقيقية التى هيأت لهذا الدين ذلك الانتشار الهائل الذى لم يشبهه فيه دين آخر أو يقاربه.

يقول «جون نوس»: لقـد بدا الإسلام لأولئك الذين وقفوا فى طـريقه وكأنه نار مستعرة تتأجج من مركزها وتتمـدد مندفعة نحوهم بسرعة لا تعرف التوقف أو الإبطاء، ولم يظهـر فى الأفق مـا يكفكف من غلواء نزوع هذا الدين الجـديد إلى الفتح والانتشار، حقًّا لقد أوقف زحفـه نحو أوربا، لكنه انتشر بسـرعة إلى عمق آسيـا وأفريقيـا، وزحف إلى مسـافة ألف ميل أو يزيد من نقـطة انطلاقه...» ثم يذكر «جون نوس» سبب ذلك قائلاً: «إن بساطة هذا الدين ووضوحه قد جذبا إلى تعاليـمه تلك الملايين مـن الذين آمنوا به، وعلى العمـوم، فإن الإسلام لـم يثقل عقول أتباعه بحشد هائل من الأسفار المقدسة، أو بفيض من العقائد الغامضة»[١].

أما «مرسيا إليادى» فيـرى أن السبب الحقيقى وراء ذلك يرجع إلى أن رسوله قد أظهر دينًا أكثر بساطة من الديانتين التوحيديتين السابقتين (اليهودية والمسيحية)، وأنه لم ينشئ كنيسـة وليس فيه كهنوت، وأن العبـادة فى الإسلام يمكن أن تؤدى فى أى مكان، وليس من الضرورة أن تمارس فى معبد[٢].

ويضيف «جون برندر» عاملاً مهمًّا يتفق فيه مع زميله (لويس هوبفى) هو أن الشعـوب السورية والمصـرية، مع أنها كـانت مسـيحـية إلا أنهـا قد رحـبت أشد الترحيب بالفاتحين المسلمين؛ لأنهم كانوا يرسفون تحت نير البيزنطيين.

They were groaning under the Byzantine Yoke.

وقد كان الحكم الإسلامى رحيمًـا بهم ولم يقع اضطهاد المسيحيين إلا نادرًا، ومع مرور الوقت، دخل هؤلاء المسـيحيـون جميـعًا فى الإسلام، ولم يبـق منهم إلا أقليات صغيرة فى مصر والشام وشمال أفريقيا[٣].

---

(1) John Noss

(٢) مرسيا إليادى، ص٨٨ من الترجمة العربية.

(3) G. Parrinder, P. 18.

ويتحدث «ل. هوبفى» بشىء من التفصيل عن الأسباب الحقيقية وراء الانتشار السريع للإسلام فيقول: «حين ظهر الإسلام كانت الفترة التاريخية مناسبة جداً؛ لأن العرب كانوا مستعدين ليصبحوا قوة متحدة، بينما كان الرومان والفرس على حافة الانهيار بسبب الفساد الداخلى وسوء الحكم....»

وهنالك أسباب عديدة وراء ذلك الانتشار السريع المكثف منها:

١ - أن الإسلام دين بسيط لا يشبه الأديان الأخرى التى تحتاج إلى تعليم معقد، أو تأملات طقسية شاقة، أو تضحيات باهظة، الإسلام سهل وواضح، فالذى ينطق بالشهادتين مسلم، والذى يحافظ على الأركان الخمسة مسلم حسن الإسلام.

٢ - الإسلام دين عسكرى يعد بالمثوبة أولئك الذين يقاتلون فى سبيله.

٣ - الإسلام دين عالمى ، وعلى الرغم من أنه قد انبثق فى العالم العربى فإنه لا يعرف الحواجز أو الفوارق بين الشعوب، فالجميع عيال الله، والجميع مقبولون فى الإسلام بلا تمييز.

٤ - أن العالم المحيط بالمسلمين الأوائل كان مرتبكًا وفاسدًا، ولقد أساء الحكام البيزنطيون المسيحيون معاملة العرب المسيحيين واضطهدوهم، ومن أجل ذلك فإن الفاتحين المسلمين لم يكونوا يقابلون - فى تلك البلاد- على أنهم غزاة، بل كانوا يستقبلون على أنهم مُخلِّصون[1].

أما «ننيان سمارت» فقد أرجع تلك السرعة المذهلة Amazing Rapidity فى انتشار الإسلام إلى ثلاثة أسباب محددة هى:

أن للإسلام مؤسسًا واحدًا هو محمد ﷺ.

وأن له وثيقة تأسيسية واحدة هى القرآن الكريم.

وأن له جانبًا سياسيًّا يفرض اتخاذ القرارات السريعة المنظمة، مما ساعد على نجاحه العظيم[2].

(1) L. Hopfe. P. 407.

(2) N. Smart, P. 278.

ولقد ذكر «جون نوس» وجهة نظر متقاطعة مع ما ذكرناه لزملائه آنفًا، يقول فيه أن يكون الانتشار السريع للإسلام - فى مراحله المبكرة على الأقل- قد جاء نتيجة حسابات معينة، كما أن وجهة النظر الإسلامية القائلة بأن سبب هذا الانتشار السريع هو الحركة الدينية الخالصة التى استهدفت إنقاذ العالم (من الوثنية) ولو بالقوة حين تدعو الضرورة ليست مقنعة، كما أن وجهة نظر المسيحيين فى العصور الوسطى التى فسرت انتشار الإسلام على أنه كان نتيجة للدجل والطمع ليست مقنعة كذلك.

والرأى عند «جون نوس» أن انتشار الإسلام سريعًا جاء نتيجة عاملين متداخلين هما: العامل الدينى والعامل الاقتصادى معًا، ويسترعى «نوس» النظر إلى أن محمدًا ﷺ قد وَحَّدَ العرب لأول مرة فى التاريخ، وبذلك أصبحوا قوة عسكرية يمكنها أن تمزج بين طموحاتها الاقتصادية وعقيدتها الدينية، وأن تنتشر خارج الصحراء حيث الخيرات الوفيرة، كما أن ضَعْف الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية بسبب الحروب الممتدة بينهما، قد هيأ الفرصة لهذه الفتوحات أن تبتلع الشرق الأدنى بسهولة ويسر[1].

٩ - لماذا لم يعتنق العرب المسيحية؟.

لقد أثار هؤلاء العلماء هذه المسألة، فتساءلوا قائلين:

مع أن الجزيرة العربية قريبة جداً من الشام مهد المسيحية ، وقد كانت هنالك روابط تجارية بينهما، فإن العرب لم يتأثروا بالمسيحية بشكل يتناسب مع الالتصاق الجغرافى والاتصال التجارى، فلم كان ذلك كذلك؟.

لقد شغلت هذه النقطة أذهانهم وحاولوا تفسيرها، ولنقتبس محاولة «لويس هوبفى» حيث يقول: إن تأثير المسيحية على العرب كان ضعيفًا لسببين مهمين:

أحدهما: الانقسام العقائدى المسيحى البيزنطى (الغربى) إلى فرق ومذاهب فيما يتعلق بطبيعة المسيح (عليه السلام)، وقد نشبت معارك عسكرية ولاهوتية بينهم من أجل تحديد العلاقة الصحيحة بين الله وعيسى.

---

(1) John Noss, P. 707- 708.

ويقول «هوبفى»: ربما كان ذلك سببًا فى تمهيد الأرض لرسول يقول: لا إله إلا الله.

والسبب الثاني: أن الحكام البيزنطيين قد عاملوا المسيحيين العرب فى مناسبات عديدة بقسوة وعنف، ولا ريب أن ذلك قد دفع كثيرين إلى الترحيب بفتوحات دين العرب الجديد فى القرن السابع»[1].

معنى ذلك أن عدم الوضوح العقائدى للمسيحية فى رأى لويس هوبفى - وعنصرية القائمين على أمرها من البيزنطيين لم تكن مقنعة لعرب الجاهلية، ومن ثم كان الوضع الدينى والسياسى مهيأ لرسالة تبشر بـ (لا إله إلا الله).

١٠ - حرية الإنسان فى الإسلام:

من أبرز خصائص الإسلام فى الفكر الغربى عمومًا أنه دين جبرى قدرى، أى أن الجبريةPredistination والقدريةFatalism هما عنوانا الإسلام، وسبب ذلك فى رأينا هو عدم رؤيتهم للخيط الرفيع بين القيومية المطلقة لله تعالى والتسليم التام لإرادته سبحانه، وبين ما منحه الإنسان من حرية تتأسس عليها مسئوليته ومساءلته، ولعل السبب فى ذلك أيضًا عدم إحاطتهم بالنصوص الكاملة فى هذه المسألة، كما أن دقة الموضوع وصعوبته لا تخفى، فلقد وصفه الفيلسوف الفقيه ابن رشد بأنه من أعوص المسائل الشرعية والفلسفية أيضًا.

ولقد كان لعلماء الأديان موقف معقول من هذه المسألة فى الإسلام، فهم قد رأوا أن كثيرًا من النصوص تميل إلى الجبرية والقدرية ومن ثم قالوا : إن فى الإسلام نزعة قوية باتجاه القدرية لكنهم رأوا فى نفس الوقت تأكيد المسلمين على حرية الإنسان تأسيسًا على النصوص الشرعية، أى أن هؤلاء العلماء نظروا إلى المسألة من جانبيها معًا، الجانب الذى يؤكد الجبر، والجانب الذى يؤكد حرية الإنسان، بناء على أن الإنسان سيبعث ويحاسب على أعماله ، فلابد أن يكون حرًا لكى يسأل، ثم يثاب أو يعاقب.

(1) L. Hopfe, P. 389.

يقول «هيوستن سميث»: بسبب من تأكيد القرآن القوى على طلاقة القدرة والإرادة الإلهية الكلية المسيطرة، فإن بعض المفسرين قد استنتجوا أن الإسلام يصادر حرية الإنسان ولا ينكر مسلم أنه لابد من التوفيق بين الإرادة الإنسانية الحرية وطلاقة القدرة والإرادة الإلهية.

والأمر الذى ينكره المسلم هو **أولاً**: أن هذه المشكلة أكثر حدة فى الإسلام عن أى «لاهوت» متطور آخر.

وثانيًا: وهو دفن المسلم فى القدرية **Lands the Muslim in Fatalism** ، وفى التحليل الأخير: الإنسان سيد عمله، وهو مسئول تمامًا عن القرارات التى يقوم بها[1].

هذا رأى «سميث» ، أما «هوبفى»[2] فقد فصل المسألة قائلاً فى القرآن: إن الإنسان مخلوق لله وإنه يجب أن يطيعه، والإنسان الصالح الذى سيفوز برضوان الله عليه أن يسلم وجهه بإرادته، وبسبب من تأكيدات الإسلام على قيومية الله، وطلاقة إرادته، فإن كلمات مثل الجبرية والقدرية قد استخدمت لوصف الإسلام، وأدت إلى استنتاج أن فى الإسلام نزعة قوية باتجاه القدرية حقًا، وأن أكثر كلمة تردد بين المسلمين قولهم: إن شاء الله، ثم يقول «هوبفى»: مهما يكن من أمر فإنه ليس من الصواب القول بأن الإسلام قدرى خالص؛ لأن جميع فرق المسلمين لا توافق على ذلك، والمسلمون عمومًا يعتقدون أن الإنسان مسئول - إلى حد ما- عن السيئات التى يجترحها، وأنه سوف يحاسب عليها، وأن الله تعالى بحكمته ورحمته قد منح الناس اختيارًا فى الأمور التى هى مناط محاسبتهم، ومن وجهة النظر هذه فإن الناس يملكون حريتهم.

ويشير «هوبفى» إلى أن تطرف الفلسفة اليونانية المبكرة والكالفينية كذلك فى الاعتقاد بأن الناس ليس لديهم اختيار فى حياتهم، وسواء على الإنسان أن يعمل خيرًا أو شرًا، وأن ينجح أو يفشل؛ لأن كل ذلك بيد الله الذى يحكم العالم بناء

(1) H. Smith, P. 207.

(2) L. Hopfe, P. 398.

على تقدير سابق، ويقول «هوبفى»: بالنظر إلى ذلك الغلو فإن الإنسان لا يملك حرية الاختيار، لذلك فلن يكون مسئولاً عن تصرفاته، فالله كل شيء والناس دمى له.

إنا نعلم أن المشكلة عويصة، لكن النظرة النمطية إلى الإسلام فى الغرب على أنه دين جبرى قدرى، بدأ هؤلاء العلماء فى تحليلها بمنهجية، مع استرعاء النظر إلى أن هذه ليست مشكلة إسلامية خالصة، بل إن فرق المسلمين عامة ترفضها ولا تقول بها.

وبعد فالنقاط البحثية التى أثارتها دراسات هؤلاء العلماء المسلمين للإسلام عديدة، ووجهات نظر أصحابها تستحق المتابعة والمناقشة، لكن طبيعة هذا البحث التمهيدى أو الأول من نوعه لا تسمح بعرضها، وحسبنا أننا لفتنا نظر الباحثين المسلمين إلى أهمية هذا النوع من الدراسات الغربية عن الإسلام.

كما أننا حاولنا أن نجعل من كتابات هؤلاء العلماء التصحيحية، مناقشات غربية لشبهات أثارها كتاب غربيون ضد الإسلام، فكأن الغرب يحاور نفسه، ويدحض شبهاته بنفسه ضد الإسلام، وهذا ما دفعنى إلى إعطائهم الفرصة ليتحدثوا بأنفسهم، ولم أتحدث عنهم، أو أختصر كلامهم.

كما ظهر لنا أن دراسة الإسلام مقارنًا بالأديان الأخرى أمر بالغ الأهمية لنا وللعلماء الغربيين فى نفس الوقت.

لأن الحقيقة تستبين وتسطع من خلال المقارنة، وتفرض نفسها على الباحثين الموضوعيين، وهذا يساعد على تصحيح صورة الإسلام فى الغرب ويسهم فى تخفيف روح الكراهية والعداء[1]، وعدم التقبل؛ مما يعمل على تحسن العلاقات الدولية التى تشكل مطلبًا ملحًا للإنسان المعاصر.

(١) هنالك شواهد عديدة أهمها الواقع الذى نعيشه، فإننا نتنفس عداء الغرب لنا مع الهواء ونشربه فى الماء، وكتابات علماء الغرب العدائية أظهر من أن يشار إليها، وانظر ما كتبه صمويل هنتجتون عن صراع الحضارات مثلاً.

بقى أن أشير إلـى أن علماء الأديان الغربيين الذين ذكـرناهم فى بحثنا هذا، وإن شكلوا اتجاهًا له سماته العامة، فإنهم قد تفاوتوا فى اجتهاداتهم وأطروحاتهم، ومن ثم رأيناها تتـفق أحيانًا، وتتـوازى بل وتتقاطـع أحيانًا أخـرى، والحقيـقة أن هؤلاء العلماء قد كـتبوا دراساتهم للقارئ الغربـى أساسًا، لكن ذلك لا يمنعنا من الاستفادة ببعض النقاط أو الملاحظات أو العلاقـات أو النتائج التى انتهوا إليها، بل ويدفعنا إلى إعادة تقييم فهمنا لجوانب مـعينة فى ديننا، وأن نفهم أنفسنا فهمًا نقديًا بناء[1].

والله ولى التوفيق.

(١) انظر بحـثنا عن «الفلسفـة الإسلامـية وتكوين الحس الـنقدى» فى كـتاب المؤتمر الدولى الثـانى للفلسـفة الإسلامية ١٩٩٨م ، بكلية دار العلوم.

الفصل الرابع

مجمع البحرين:
(الهندوسية والإسلام) *
للأمير المقتول محمد داراشيكوه

أولاً: بين يدى البحث.

ثانياً: المؤلف والكتاب فى المكتبة العربية.

ثالثاً: نبذة عن حياة الأمير دارا شيكوه.

رابعاً: الأمير صوفياً ومؤلفاً.

خامساً: موقف الأمير من الأديان الأخرى.

سادساً: التقاء الإسلام والهندوسية فى الهند.

سابعاً: نماذج من «مجمع البحرين».

(*) عن بحث لنا نشر فى مجلة (رواق عربى) التى يصدرها مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سنة ١٩٩٩م

أولاً : بين يدى البحث

إنه الأمير محمـد دارا شيكوه، إنه شخصية جذابة مثيرة للاهتمام من زوايا عديدة. فمن حيث كونه أميرًا ـ تربى فى البلاط المغولى بكل أبهته ورفاهيته وترفه ـ فلم تشغله الدنيـا المقبلة عليه، المحاصـرة له، فيتركـهاـ فى قوة نفسـية هائلةـ إلى سلوك طريق الصوفية والزهاد والفقراء وأصحاب الأحوال والمقامات، ليصبح مريدًا تابعًا، أو رجل طريق، بدلاً من أن يعيش أميرًا قائدًا متبوعًا.

إنه أمير صوفى له مؤلفات صوفية عـديدة وترجمات لأسفار مهمة من اللغة السنسكريتية، وقد كان شاعرًا يحب الشـعر، وينظمه، ويجمع مختارات منه تروق له وتطربه، كمـا كان محبًّـا للفنون الجميلة الراقيـة، وقد كان محـبًّا عاشقـا وفيًّا لزوجتـه (نادرة) مثلمـا كان أبوه الإمبـراطور شاه جهـان - من قبل- مـحبًّا وفـيًّا لزوجتـه «ممتاز محل»، فـأقام لها بعـد رحيلها «تاج مـحل» معلمًـا خالدًا للحب والوفاء.

لقد كان الأمـير متفـتح العقل متسـامحًا إنسانيًّا، تـشرَّب روح الإسلام منذ صباه، وقد ترجم كتاب الهنـدوسية المسمى أبانيشاد Upanishads ثم ترجم كتابهم المسمى بهجوات جيتا Bhaguat Gita إلى اللغة الفارسية، وقـد كان مؤمنًا بتواصل الحضارات، مؤمنًا بالتعددية الدينية، وأن فى الأديان مهما اختلفت نقاط - قد تقل وقد تكـثر- من التشـابه والالتقـاء، وكان يؤمن بأن الناس يـنبغى أن يتـآلفوا وأن يتعارفوا وأن يدرس كل منهم - فى نزاهة وموضوعية- ديانة الآخر، ولا ينبغى أن ينغلق الإنسـان على نفسـه أو ينكفئ على ذاته، ولكن عليـه أن يبحث عن نـقاط التشـابه فينميـها ويعمقـها، ومن هنا كانت دراسـاته للأديان وترجماته لأسـفارها ومحاوراته مع علمائها ومتصوفيها.

ولقد كـان كتـابه الأخيـر «مجمع البـحرين» مـشروعًـا علميًّا لهـذه الفكرة المتسامحـة، إذ أبرز فيه كثيرًا من نقـاط التشابه والتماثل بين التـصوفين الإسلامى والهندوسى ؛ لأنه كان يؤمن بأن الأسـفار الهندوسية فـيها بقيـة وحيٍ وآثار نبوَّة، وأنها ليست وضـعًا إنسانيًّا خـالصًا؛ لأن الهنود أمة عظيمـة وقديمة، لابد أن الله تعالى قـد بعث فيهم رسـولاً أو رسلاً يبشرونهم وينـذرونهم، والقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم المهيمن والمصدِّق ، فما وافق القرآن منها قبلناه، وما خالفه تركناه.

عاش الأمير صوفيًا سالكًا الطريق إلى الله تعالى، متسامحًا إنسانيًا إلى أن مرض أبوه الإمبراطور شاه جهان، فنافسه إخوانه الثلاثة على العرش وحاربوه، وانتصروا عليه، واغتصب (أورنزيب) أخوه الأصغر العرش لنفسه منه، وبعد أن جلس أورنزيب على العرش الإمبراطورى شعر بأن وجود أخيه الأكبر دارا شيكوه يشكل له تهديدًا سياسيًا حقيقيًا، وكأنَّ الحياة لا تتسع لهما معًا، فعمل على التخلص منه، وسرعان ما أصدر علماء السلطان فتواهم بردَّة أخيه الأمير دارا عن الإسلام، واستحقاقه عقوبة القتل، وسرعان ما نفذ أورنزيب حكم الإعدام فى أخيه الأكبر. . . وهكذا دفع الأمير النبيل حياته - وهو فى الثانية والأربعين- ثمنًا لجلوس أخيه الأصغر على العرش الإمبراطورى المغولى.

إنها مأساة حقيقية، قد لا يصل إلى إحكام بنائها ورصانة حبكتها عباقرة الإبداع الروائى والمسرحى!!.

وقد كان الأمير يعرف اللغتين العربية والسنسكريتية، إلا أنه كتب دراساته وبحوثه باللغة الفارسية، ولم يتح لى أن أطلع إلا على ترجمة إنجليزية لكتابه (مجمع البحرين) مع دراسة جيدة للكتاب والمؤلف كتبها الأستاذ محفوظ الحق، ونشرها مع الترجمة الإنجليزية فى كلكتا بالهند ١٩٢٨م، وسنعتمد أساسًا على هذه النشرة، مع إشارات ضرورية إلى مراجع أخرى، هذا إلى جانب النص الفارسى للكتاب الذى حققه الأستاذ محفوظ الحق.

ومما ينبغى أن نصرح به أن تحفظنا على تفاصيل محاولة الأمير التقريب بين الهندوسية والإسلام، لا يتنافى مع وصفنا لتلك المحاولة بأنها مثيرة للاهتمام، كما أن محاولة الأمير لا تقيَّم تقييمًا صحيحًا إلا فى سياقها التاريخى والثقافى والسياسى والاجتماعى، ولمزيد من توضيح هذا السياق قد أثبت للقارئ وجهتى نظر باحثين أحدهما: هندوسى وهو تاراشند Tara Chand، والآخر مسلم هو أصغر على، ثم ترجمتُ نماذج من (مجمع البحرين) عن الترجمة الإنجليزية للكتاب، وآمل أن أكون قد وفقت إلى تقديم بعض ملامح هذه الشخصية للقارئ العربى. والله المستعان.

محمد الشرقاوى

المعادى فى ١٠ رمضان ١٤١٩هـ

٢٩/ ١٢/ ١٩٩٨م

ثانياً: المؤلف والكتاب فى المكتبة العربية

كتب الأمير محمد دارا شيكوه بن الإمبراطور المغولى شاه جهان - الذى بنى «تاج محل» إحدى عجائب الدنيا- هذا الكتاب ليبين بعض وجوه التشابه والتلاقى بين التصوف فى الإسلام والهندوسية، وهما البحران اللذان أراد هذا الأمير المتصوف أن يجمع بينهما جمعًا وثيقًا حميمًا.

ومما ينبغى ذكره هنا أننى قد قرأت هذا الاسم «دارا شيكوه Dara Shikoh» لأول مرة فى المراجع الغربية التى تدرس «الهندوسية» وأسفارها المقدسة، وقد دفعتنى إشارات الكتاب الغربيين عن هذا الأمير إلى البحث عنه فى المكتبة العربية الإسلامية، فأعيانى البحث ولم أظفر بشىء مكتوب عنه، وسألت بعض أهل الذكر فلم أجد لديهم عنه ذكرًا، لقد تحدث «جوان مسكارو Juan Mascaro» -مترجم «الأوبانيشاد Upanishads» الهندوسية من اللغة السنسكريتية إلى الإنجليزية[1] عن الأمير دارا شيكوه قائلاً:

عندما كان الأمير فى كشمير سنة ١٦٤٠ م تعرّف على «الأوبانيشاد» ثم ترجم خمسين واحدة منها إلى اللغة الفارسية، وقد أتم ترجمته سنة ١٦٥٧م، ثم نقل هذه الترجمة فى وقت متأخر «أنكويتى دوبيرون Anqueti Duperron» إلى اللغة اللاتينية، وطبعت فى باريس سنة ١٨٠٢م، وهى الترجمة التى قرأها «شوبنهور Schopenhauer» وقال عنها: إنها سلواه فى حياته وعزاؤه فى مماته[٢].
وقد ذكر «راداكرشنا S. Radhakrishnan» أن الأمير محمد دارا شيكوه قد ترجم قرابة خمسين «أوبانيشاد»، وأشار إلى أن ترجمته تلك هى التى عرف الغرب من خلالها هذه الأسفار الهندوسية لأول مرة[٣].

وقد تنبهت من تلك الإشارات إلى ضرورة التعرف على الشخصية العلمية لهذا الأمير مؤلف كتاب «مجمع البحرين» الذى اتهم بالرِّدة عن الإسلام بسببه، ونفذ فيه أخوه الأصغر حكم الإعدام سنة ١٠٦٩ هـ- ١٦٥٩م:

---

(1) Juan Mascaro, The Upanishads, Penguin Books, 1988, p.8.

(٢) انظر بحثنا عن الأسفار المقدسة فى الديانة الهندوسية (تحت الطبع).

(3) S. Radhakrishnan , The Principal Upanishads, 1991, p.21.

(*) وهذا الباحث الفرنسى هو الذى اكتشف نسخة الأفستا Avesta الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية وترجمه ونشره، ومن ثم ترجم إلى لغات العالم، وقد عثر عليه فى مكتبة بودليان بجامعة أكسفورد.

ثالثًا: نبذة عن حياة المؤلف

ولد «دارا شيكوه» سنة ١٠٢٤ هـ في مدينة «أجميرAjmir» التي تضم ضريح الصوفي الكبير معين الدين ششتي(*). الذي يقصده آلاف المؤمنين، ولقد زار الإمبراطور شاه جهان ضريح الشيخ مرارًا ودعا الله في خشوع أن يرزقه ولدًا ذكرًا، ويحكي الأمير عن نفسه في كتابه «سفينة الأولياء» فيقول: «لقد ولد هذا الفقير في أجمير المطلة على بحيرة «سجار تال Sagar Tal » سنة ١٠٢٤ هـ، وكان والدي المبجل قد رزق بثلاث أخوات ولم يرزق ولدًا ذكرًا، وقد ناهز جلالته الرابعة والعشرين، وانطلاقًا من عقيدته وإخلاصه للخواجه معين الدين ششتي، فقد زار مقامه وتضرع إلى الله تعالى أن يرزقه غلامًا، وبفضل من الله تعالى رزق بالعبد المسكين (محمد دارا شيكوه) الذي يتضرع إلى الله أن يوفقه إلى العمل الصالح هو وأصحابه . . . آمين يا رب العالمين».

وإنه لتوافق عجيب أن يولد هذا الأمير في تلك المدينة التي ضمت ذلكم الصوفي الرباني الكبير، لكي يصبح بدوره صوفيًّا ملتزمًا، أو قل: «رجل طريق» طوال حياته، على حد تعبير البروفيسور محمد محفوظ الحق في مقدمته(١) لترجمة كتاب «مجمع البحرين».

ولأن مؤرخي البلاط المغولي كانوا مشغولين بتسجيل الأحداث السياسية فحسب، فإنهم لم يقدموا أية معلومات مهمة عن طفولة الأمير دارا شيكوه وتعليمه، لكننا نتوقع أن والده قد أتاح له تربية ممتازة طبقًا للتقاليد المغولية

(*) إنه معين الدين محمد ششتي، الذي يعد من أكابر صوفية الهند، أو أكبرهم بلا منازع، ولد سنة ٥٣٣هـ، وتوفي سنة ٦٣٣ هـ (١١٤٢م ، ١٢٣٦م) في مدينة أجمير AJmir ، وكان قد رحل إلى خراسان وبغداد ودلهي، ويقصد آلاف المحبين ضريحه سنويًا في أجمير، وهو مؤسس الطريقة الششتية التي تضم اليوم أكبر عدد من المريدين في الهند، وينسب إليه ديوان مطبوع طباعة حجرية، وهو ذائع بين مريديه، وإن كان من الأصح نسبته إلى معين الدين المسكين داعية هراة المعروف صاحب كتاب «معارج النبوة».

(١) ونشرة الأستاذ محفوظ الحق - هي مرجعنا الأساسي في كتابة هذه السطور - قد أنجزت سنة ١٩٢٨م في (كلكتا بالهند) وأعيد نشرها ١٩٩٠ في كراتشي بباكستان، مع تصدير بقلم جون فان من J. V. Manen مدير الكلية الرئاسية في كلكتا، كتبه سنة ١٩٢٠م وكان الأستاذ محفوظ الحق يعمل أستاذًا للغات بنفس الكلية، وهو يتقن الفارسية والعربية والإنجليزية.

المعروفـة، ولقد كان دارا أثيراً لدى والده، ومن ثـم لم يقره على أن يسافر بعـيداً عنه، وفي الوقت الذى عـين إخوته الثـلاثة شجـاع ، ومراد، وأورنزيب حكـامًا للأقاليم أبقاه إلى جـانبه فى البلاط الإمبراطورى، وقد تسـبب ذلك فى إثارة غيرة إخوتـه ضده، كمـا أنه حرم الأمـير من اكـتسـاب خبـرة الجندية والإدارة، ومن المعروف أنه قد عين حاكمًـا لإقليم (الله آبار والبنجاب) وقد سمح له بأن يقيم فى العاصـمة ويحكم من خلال مندوبيـه، كما أنه قـد عُين قائداً لحـملة قندهار سنة ١٠٥٣ هـ، لكنه لم يتم مهمته لأن والده قد استدعاه إليه.

وقد نشبت معركة على خلافـة الإمبراطور شاه جهان بين الأبناء الأربعة دارا شيكوه مـن جانب، والأمراء الثـلاثة الآخرين فى جـانب آخر، ولكن مـاذا يفعل شيكوه أمـام دهاء أخيـه «أورنزيب» وطموحه، لقـد هزم دارا شيكوه فى المعـركة العـسكرية سنة ١٠٦٨ هـ، أمـام أخـيـه ثم فـرّ إلى (أجـرا، ولاهور، وملتـان، وبهاكـار، وجحجرات، وكوتش) ثم قـفل لمنازلة أخيه أورنزيب مرة واحـدة، فمنى بهزيمـة ساحقـة، اضطرته إلى الهروب فى رحلة فـرار بالغة القسـوة والبؤس، إذ هجره أصحابه ومـساعدوه، وبلغت مأساته ذروتها بوفاة زوجتـه الوفية له والأثيرة لديه «نادرة».

لقد مثل الأمير دارا رمزاً للبؤس المأسـاوى، فقد أصبح رجلاً محطمًا تمامًا، إلا أنه أسلم نفسه لإرادة الله تعـالى، وسرعان ما وضعت نهـاية لمعاناته، إذ قبض عليـه مضيـفه الأفـغانى مـالك جوان داردار، وأحـضر إلى «دلهى» تحت حـراسة جنرالات أورنزيب، ثم وضع على ظهر فيل ضخم ودار به شوارع المدينة إمعانًا فى إهانته والتـشهير به، وقـد عقد له علمـاء أورنزيب ، محاكـمة صورية سرعـان ما أعلنت حكمها بردته عن الإسلام، وأصدر أخوه الأصغر أورنزيب أمراً بإعدامه(*)، وقد تم تنفـيذ الحكم بأسـرع ما يمكن فى الحادى والعـشرين من ذى الحـجة سنة ١٠٦٩ هـ، «وهكذا أعدم دارا الابن الأكبر للإمبراطور شاه جهان الوريث الشرعى الذى كان ينبغى أن يصبح إمبراطوراً على الهند Hindustan»(١).

(*) لمزيد من التفصيل انظر : S.F. Mahmud, AConcise History of indo Pakistan, Oxford university press, 1988- 167 Oxfor.

(١) من مقدمة. أ. محفوظ الحق . ص٤.

لقد أزهقت روح دارا شيكوه من أجل الطموحات الإمبراطورية لأخيه، وقد جاء في نص الحكم كما أورده التاريخ الرسمي للإمبراطور «أورنزيب علم جير»[1] المسمى بـ «مآثر علم جير» ما يلي:

«لقد عانت كل من الشريعة والعقيدة مصاعب جمة منه، ولذلك فإن الإمبراطور أورنزيب - من أجل حماية الشريعة - ومن أجل رعاية مصالح الدولة أيضًا and also for reasons of state أمر بإعدام دارا فورًا، باعتباره يشكل تهديدًا للأمن العام.

«وهكذا يمكن لأى واحد أن يزيح كل من يعترض طريق تحقيق طموحاته السياسية وأن يصبح بطلاً للإسلام»[2]. فما أحقر أن يسخِّر الإنسان تعاليم الدين في سبيل إزاحة خصومه السياسيين!!.

(١) كان الإمبراطور أورنزيب يلقب بهذا اللقب (أورنزيب علم جير).

(٢) السابق ص ٢٩ ، ٣٠.

رابعًا : محمد دارا شيكوه صوفيًا ومؤلفًا

إن تأمل مؤلفات دارا شيكوه يوقفنا على حقيقة واضحة ومبهمة فى نفس الوقت، تلك هى أن الأمير قد تلقى تعليمًا أو دراسات صوفية منذ وقت مبكر من حياته، لقد درس الأعمال المعروفة لصوفية الإسلام الكبار وتعمقها، واقتبس منها نصوصًا كثيرة فى مؤلفاته المتعددة، كما أنه قد استنبط بنفسه لمحات وإشارات صوفية من القرآن الكريم ومن السنة المطهرة مباشرة، كما يبدو استقلاله عن غيره واضحًا فى تلك الاستنباطات. فإنه لم يبحث عن الآراء المسلَّمة النمطية ليقلدها، أو الطرق المعبَّدة ليسير فيها، لقد قادته دراساته الصوفية إلى نتيجة هى: «أن الحقيقة ليست وقفًا على جنس مختار أو مخصوص بعينه، ولكنها يمكن أن توجد فى كل الأديان وفى جميع الأوقات»[1].

إنه لم يصل إلى تلك النتيجة فى يوم واحد، لكنها كانت ثمرة البحث العميق والمشاركات المتواصلة مع علماء الأديان المختلفة، والصوفية على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم، إن هذا التطور التدريجى فى الموقف الفكرى للأمير ليعد أمرًا مثيرًا للاهتمام، ويمكننا أن نتابع دارا شيكوه فى تطوره الفكرى من خلال النظر فى مؤلفاته مرتبة حسب تاريخ تأليفها.

١ - كتاب : «سفينة الأولياء»:

إنه الكتاب الأول الذى ألفه دارا، وعندما كان عمره يناهز الخامسة والعشرين (سنة ١٠٤٩ هـ). وقد أكد فى مقدمة كتابه هذا على تبجيله واحترامه لشيوخ الصوفية المتألهين، كما نص على أنه قد درس بعمق سيرهم وتواريخهم، وأظهر أسفه على أن تفاصيل حياتهم مبعثرة فى أمهات مخطوطات كثيرة جدًا، علاوة على أن تواريخ ولاداتهم ووفياتهم يصعب الحصول عليها دون مراجعة عدد كبير من كتب طبقات الصوفية مثل (نفحات الأنس) و(تاريخ اليافعى) و(الطبقات السلطانية) إلخ.. ومن هنا جاءته فكرة أن يجمع فى كتاب صغير واحد تواريخ

(١) الأستاذ : محفوظ الحق.

ميلاد ووفاة مشايخ الصوفية وأماكن دفنهم، وما يتعلق بهم من معلومات مهمة، وهكذا جمع الأمير دارا شيكوه في كتاب من مائتي صفحة معلومات تتعلق بأربع مائة وأحد عشر صوفيًا، موزعين على النحو التالي:

- الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون، والأئمة من آل البيت.
- مشايخ الطريقة القادرية.
- مشايخ الطريقة النقشبندية.
- مشايخ الطريقة الشِّشتية Chishti order .
- مشايخ الطريقة السهروردية.
- مشايخ الطرق الصغيرة الأخرى.
- زوجات الأنبياء.
- بنات الأنبياء.
- المتصوفات من النساء . (ذكر منهن أربعًا وعشرين متصوفة).

وقد وصف الأمير نفسه في مقدمة هذا الكتاب - كما فعل في كتبه الأخرى- بأنه حنفي قادري، ودعا الله تعالى أن ينفعه بفضل هؤلاء المشايخ.

٢ - كتاب «سكينة الأولياء»:

هذا كتابه الثاني الذي فرغ منه سنة ١٠٥٢ هـ عندما كان في الثامنة والعشرين من العمر، وهو كتاب مكرس لبيان سيرة الشيخ ميان مير(*) Miyan Mir ، أو ميان جيف Miyan Jiv كما كان يسمى أيضًا، وهو المرشد الروحي لمعلمه وشيخه (مُلاَّ شاه الملقب بلسان الله)، كما تحدث فيه عن بعض مريدي الشيخ ميان كذلك.

(*) هو : مير محمد بن سعيد داتا، المعروف بـ (ميان مير) أو (ميان جيف) ولد سنة ٩٣٨ هـ، رحل إلى لاهور ومكث بها ستين سنة، وقد كان مبجلاً لتقواه وديانته، وقد زاره مرارًا شاه جهان ودارا شيكوه، وقد عُمر حيث توفي سنة ١٠٤٥ هـ، وقد كرس دارا شيكوه كتابه (سكينة الأولياء) لبيان سيرته وتلاميذه، كما أشار إليه في كتابه «سفينة الأولياء».

يحكى الأمير فى مقدمة كتابه هذا: أنه رأى فى المنام ملاكًا يخبره أن الله تعالى سيمنحه فضلاً لم يمنحه مَلك قبله، وقد تحققت البشارة فى ٢٩ ذى القعدة سنة ١٠٤٩ هـ ، عندما انضم إلى الطريقة القادرية على يد الشيخ (مُلاً شاه)(*) الذى كان - فى رأى دارا- أعظم صوفية زمانه.

ومع أن الكتاب - فى الأصل سيرة ذاتية للشيخ ميان جيف وتلاميذه ومنهم أخته جمال خاتون، ومُلاً شاه وغيرهم- فإنه قد ناقش فيه مسائل صوفية ودينية مثل الحاجة إلى مرشد روحى، وكيفية الوصول إليه، والرغبة فى السماع الصوفى، ومشكلة رؤية الله تعالى، ويذكر الأستاذ محفوظ الحق: أن الكتاب يتضمن مناقشات مهمة عن الطريق الصوفى ، ويمكن أن تكون مفيدة لدارسى التصوف الإسلامى[1]. ولقد رجع الأمير إلى أمهات كتب الحديث النبوى ومراجع التصوف الأساسية مما يعطى فكرة واضحة عن اتساع دراساته وعمقها. ومن هذه الكتب: (كشف المحجوب) و(تاريخ اليافعى) و(بحر الحكم) و(تفسير العرايس) و(تفسير الكبشرى) و(بحر الحقائق) و(فصل الخطاب) و(التكملة) و(التفسير الحسينى) إلخ.

ويطلعنا الأمير فى هذا الكتاب على تفاصيل العلاقة بينه وبين الشيخ (ميان جنيف) والشيخ (مُلاً شاه)، فقد زار الأمير الشيخ (ميان جيف) مع والده الإمبراطور (شاه جهان) سنة ١٠٤٣ هـ، وكانت نتيجة هذه الزيارة أن شفاه الله من مرض قد ألم به لمدة أربعة أشهر، كما كانت الزيارة الثانية فى صحبة والده الإمبراطور أيضًا، وقد كان لتلك الزيارة أثرها النفسى العميق على الأمير، وقد أظهر الأمير للشيخ توقيراً ومهابة عظيمة، حيث خلع نعله عند الدخول عليه ونظف بنفسه مقر الشيخ (كما كان يصنع علماء الأوبانيشاد) وهكذا فتحت عليه الأسرار الإلهية، وتلقى دروسًا فى المشاهدة، وشهد ليلة القدر فى السابع والعشرين من رمضان سنة ١٠٥٠ هـ، وقربه الشيخ منه وأنزله منه منزلاً عاليًا.

(*) هو مُلاً شاه محمد بن مُلاً عبد محمد، المعروف بـ (مُلاً شاه أو لسان الله) رحل من بدخشان إلى لاهور سنة ١٠٢٣ هـ- ١٦١٤ م، وأصبح مريدًا للشيخ (مان مير) شيخ وقته، ويكن له دارا شيكوه تبجيلاً كبيرًا لأنه أدخله إلى الطريقة القادرية، ورحل بعد وفاة شيخه ١٠٤٥ هـ إلى كشمير حيث عاش بقية أيامه فى رباط صوفى Monastery أقامه له دارا شيكوه وأخته جهان آرا، وتوفى سنة ١٠٧٢ هـ، ١٦٦١م، وقد كان مؤلفًا حسن التأليف حيث ترك ديوانًا شعريًا، وبعض الكتب فى حقل التصوف.

(١) مقدمة مجمع البحرين ص٧.

أما علاقة الأمير بمرشده الروحى وشيخه (مُلاً شاه) فقد كانت حميمة جداً واستمرت إلى أن انتقل الشيخ إلى جوار ربه سنة ١٠٧٢ هـ، ويصعب الإلمام هنا بكل جوانب علاقة الشيخ بالأمير، ولكننا نقتبس بعض عبارات من خطابات الشيخ التى أرسلها إلى الأمير، ومنها: «إنى واثق فى حكمتك... وعقلك ...» «إنك عليم بالأسرار الصوفية الربانية...» «... يا ملك الوقت Temporal والروح..» وأكثر من ذلك فإن الشيخ قد كتب تقريظًا شعريًا يمتدح فيه المواهب الروحية التى تمتع بها الأمير، وقد طلب منه أن يقوم بتعليم وتربية المريدين لكنه اعتذر عن ذلك، وعشية رحيله إلى كشمير حثه على تقديم النصائح للأصحاب Yaras لأنه أسدّهم وأحكمهم، وقد رجاه دارا أن يدعو له بحسن العاقبة.

ويظهر أن الشيخ كان يرى أن نشر الطريقة القادرية فى الهند سوف يكون على يدى الأمير دارا، كما يذكر محفوظ الحق، ويشير الأمير فى كتابه إلى واقعة «حبس الأنفاس» ذلك أن الشيخ قال ذات مرة: إن ممارسة حبس الأنفاس الموجودة فى الطريقة القادرية دون سواها أمر بالغ الصعوبة، وقد علمه الشيخ هذه الطريقة وتدرب عليها حتى أنه كان يمر عليه الليل كله أحيانًا ولا يتنفس إلا مرتين، إلى حد أن حياته كانت توشك أن تزهق.

٣ - رسالة (دلالة الحق) أو بوصلة الحق : The Compass of the Truth

إنها المؤلف الثالث للأمير، وهى رسالة صغيرة الحجم، تتكون من ثلاثين صفحة، وتعالج المراحل المتعددة للتطور الروحى، وتناقش الطرق والوسائل التى يصل بها السالك إلى ذروة الكمال الروحى، وقد كتب الأمير فى مقدمة رسالته يقول: لا يقرأ واحد من الناس هذه الرسالة ما لم يكن قد رزق بصحبة أحد الكُمّل من الأولياء، ويضيف أن هذه الرسالة خلاصة Compendium من الفتوحات، وفصوص الحكم، واللوائح واللمعات، واللوامع. ويقول: لو أن أحد رجال الله قد تأمل هذه الرسالة سيلاحظ بحق الفتوحات التى فتح الله بها على هذا الفقير، على الرغم من أنه لم يزل فى زيه الأميرى Garp وما فتح له من أسباب الولاية Saintliness والمعرفة الإلهية؛ لأن الناس يجب أن يعلموا أن فضل

الله يسبغه بلا حساب، ولا أسباب، وأنه سبحانه يقرب إلى حضرته من يشاء من عباده، كيف يشاء، بقطع النظر عن زيه ولباسه ووضعه ومكانه، وإن ما أنعم به عليه من المعرفة الإلهية لم ينعم به على كثيرين ، ويذكر دارا أن كتابه الأول (السفينة) كتبه فى مرحلة «البحث» عن الطريق، وألف كتابه الثانى (السكينة) بعد أن بلغ الصحبة وتعلم منها طرائق السلوك والمقامات، والآن - وقد فتحت له أبواب التوحيد والمعرفة بالله من الله عز وجل، الذى أنعم عليه من فضله وكرمه نعمًا- كثيرة يكتب هذه الرسالة، وهى تتكون من ستة فصول تتناول العوالم الأربعة الناسوت، والملكوت، والجبروت، واللاهوت، وقد ختم الرسالة برباعية شعرية تبين أن الكتاب قد كتب سنة ١٠٥٦ هـ ، بتأييد إلهى.

٤ - الشطحيات ، أو : «حسنات العارفين»:

وهو مجموعة من أقوال الصوفية التى نطقوا بها تحت تأثير حالة الوجد الصوفى Ecstatic التى قد تبدو فى ظاهرها مخالفة للمبادئ الإسلامية المسلمة Orthodox ويشير المؤلف فى مقدمة كتابه إلى أن الأقوال الصوفية والتعبيرات عن الحقائق العليا أثناء لحظة الوجد، قد أثارت اعتراضات خطيرة فيقول:

لم أعد راضيًا بكتب القوم من رجال الطريق، حيث اعتدت أن أنطق بكلمات تتضمن الحقيقة العليا فى لحظات وجدى، لكن بعضًا من ضعاف النفوس (من ذوى الطبيعة المريضة) وغير المخلصين، الذين لا يتمتعون إلا بمعرفة ضحلة بدأوا يسخرون منى ويتهموننى بالابتداع والهرطقة Heresies مما دفعنى إلى جمع أقوال - أطلق عليها أنها «شطحيات»- لرجال من ذوى الهمم العالية والمقام الرفيع فى الولاية Sanctity لكى تكون مرجعًا وسندًا لأقوالى الوجدية (شطحاتى)، ولكى تقنع أولئك النفر الذين يلوموننى، وإن بعض شطحيات الصوفية قد جمعها من قبل الصوفى الشيخ روزبان البقلى ٦٠٦ هـ، ولأن تلك الأقوال الشطحية قد صبغت بلغة مجازية Allegorical، فإننى قد بسطت من تلك اللغة لكى يستوعبها الناس، كما أضفت مزيدًا من تلك الأقوال.

ومن الواضح أن الأمير المتصوف قد قطع شوطًا بعيدًا فى سلوكه إلى الله تعالى، وقد ذاق التجربة الصوفية وعرف مواجيدها وصدرت منه شطحات، وأنه قد رمى من أصحاب الرسوم والظواهر بالابتداع مما دفعه إلى إيراد أقوال كبار الصوفية مثل بايزيد، وذى النون المصرى، وسهل التسترى، وأبى سعيد الخراز، والجنيد البغدادى، ورويم، وأبى بكر الواسطى، والغزالى، وعبد القادر الجيلانى، وابن العربى وآخرين، ولكن الغريب أن الأمير لم يقف عند هؤلاء فحسب لكنه ذكر أقوالاً للرسول ﷺ والخلفاء الأربعة والإمامين زين العابدين وجعفر الصادق، وعندما طلب من بعض أصحابه أن يذكر فى الكتاب عباراته الشطحية قال: «كل ما ذكر فى الكتاب من شطحات إنما هى شطحاتنا نحن أيضًا».

يتضح من مقدمة الكتاب أن دارا قد بدأ كتابه هذا سنة ١٠٦٢ هـ عندما كان عمره ثمانية وعشرين عامًا، وقد أتمه سنة ١٠٦٤ هـ، وقد حدد الأمير توجهه العقلى قائلاً: لاشك أنه لذو حظ عظيم من يجد لذته فى السلوك الصوفى وينتفع به، ويعتبر نفسه مريدًا لهؤلاء الأولياء، ويشغل نفسه بالبحث فى هذه المسائل ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقد أجمع المفسرون على أن المقصود من العبادة هنا: المعرفة والتوحيد ولا شىء أنبل ، ولا أجمل، ولا أكمل من التوحيد والمعرفة.

٥ - «مجمع البحرين»: The Mingling of the Two Oceans

إنه الكتاب الخامس للأمير، وقد أتمه سنة ١٠٦٥ هـ، وعندما بلغ الثانية والأربعين من عمره كما نص على ذلك فى المقدمة، ولقد كتبه دارا طبقًا لرؤيته الخاصة وذوقه العرفانى الصوفى من أجل أفراد أسرته خاصة، ولا شأن له بالعامة والدهماء من أتباع الديانتين.

ولهذه الرسالة أهمية عظيمة لأنها ربما كانت أول عمل وآخره - حسبما يرى الأستاذ محفوظ الحق- تحاول الجمع بين الإسلام والهندوسية، كما أنها آخر رسالة كتبها الأمير بقلمه، وهى الرسالة التى حكم عليه - بسببها - علماء القصر الإمبراطورى بالإعدام، ونفذ الحكم أخوه الأصغر أورنزيب بحماسة بالغة كما ذكرنا سابقًا.

وتتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة وعشرين فصلاً موجزًا حسب الترتيب التالى:

١ - العناصر .
٢ - الحواس.
٣ - الممارسات أو الأشغال التعبدية.
٤ - الصفات الإلهية.
٥ - الروح.
٦ - الهواء.
٧ - العوالم الأربعة.
٨ - الصوت.
٩ - النار.
١٠ - النور.
١١ - رؤية الله تعالى.
١٢ - أسماء الله الحسنى.
١٣ - الولاية والنبوة.
١٤- براهمند Barahmand
١٥ - الجهات .
١٦ - السموات.
١٧ - الأرضين.
١٨ - أقسام الأرض.
١٩ - عالم البرزخ.
٢٠ - القيامة العظمى.
٢١ - المكت Mukt، الخلاص.
٢٢ - الليل والنهار.
٢٣ - الأدوار.

ومما يشار إليه أن مخطوطات (مجمع البحرين) متوافرة بمكتبات شبه القارة الهندية، وقد رجع الأستاذ محفوظ الحق فى نشرته - التى اعتمدنا عليها أساسًا فى كتابة هذه السطور - على خمس مخطوطات فارسية، قابلها وأثبت الفروق والاختلافات الكثيرة بينها.

ومما هو جدير بالذكر أن هنالك ترجمة عربية لهذه الرسالة محفوظة فى Buhar library وكانت تسمى المكتبة الإمبراطورية بكلكتا، وقد وضع شمس العلماء الدكتور محمد هدايت حسين فهرسًا للمخطوطات العربية فى هذه المكتبة، وأثبت فيه ترجمة (مجمع البحرين) ص ١٥٠- ١٥٢ العربية بقلم محمد صالح ابن الشيخ أحمد المصرى، (وهو شخصية تحتاج إلى من يعرفنا بها).

وهنالك ترجمة أردية للرسالة بعنوان «نور العين» طبعت طبعة حجرية Lithographed فى لكنو سنة ١٨٧٢م ، هذا وقد ألحقنا نماذج من هذا الكتاب آخر هذا البحث، وقد ترجمناها من الترجمة الإنجليزية للكتاب كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

٦ - ترجمته لكتاب الهندوسية الأشهر «أوبانيشاد Upanishads» :

ترجم دارا شيكوه خمسين فصلاً من الأوبانيشادات الهندوسية من لغتها السنسكريتية إلى الفارسية أسماها: «السر الأكبر»، وقد فرغ منها سنة ١٠٦٧ هـ، أى قبل إعدامه بسنتين.

ويذكر الأستاذ محفوظ الحق أن الميزة الرئيسية لتلك الترجمة تكمن فى بساطة أسلوبها ورشاقته، ولا شيء أفضل للقارئ من تقدم مقتطفات من مقدمة الأمير لترجمته، تجلّى الأسباب التى دفعته للقيام بهذا العمل الشاق، وتبيِّن أنَّ المعاناة التى تحمَّلها فى قراءة العهدين القديم والجديد والمزامير (الزبور) والأسفار الأخرى من أجل أن يجد فيها ما يفيد فى تعميق مفهوم التوحيد، لم تكن مجدية، فلم يحصل منها على طلبته، ووجد ضالته أخيرًا فى كتاب «الأوبانيشاد».

يقول الأمير: «الحمد لله الذى جعل النقطة فى باء بسم الله، السِّرَّ الأزلى لجميع الكتاب الموحى بها، وجعل (الحمد لله) التى هى أم الكتاب فى قرآنه، إشارة إلى اسمه الأعظم ، الذى ضم كل ملائكته وكتبه وأنبيائه ورسله».

يقول الفقير محمد دارا شيكوه: إنه عندما زار كشمير التى تشبه أن تكون فردوسًا أرضيًّا سنة ١٠٥٠ هـ، ووفقه الله بمنه وفضله أن يكون مريدًا للولى الربانى مُلا شاه . . . . وبسبب من رغبته الحميمة أن يرى العارفين بالله من أتباع الطرق المختلفة، ويستمع إلى أقوالهم وحكمتهم فيما يتعلق بالتوحيد، فقد قرأ مختلف الكتب التى كتبت فى التصوف، كما ألَّف بنفسه رسائل، لكن وبالرغم من كل ذلك فإن تعطشه لمعرفة التوحيد الذى هو بحر محيط لا شاطئ له، كان يزداد ويزداد، ومسائل ومشاكل عديدة كانت تلح على عقله، ولا حل لذلك دون الرجوع إلى ما قاله الله سبحانه، أو الاقتباس من مرجع عقل عن الله سبحانه وتعالى.

وفوق ذلك هنالك أسرار عظيمة مكنونة Concealed والكتاب المقدس الذى يفسرها صعب المنال، لذلك فقد رغب (الأمير) فى قراءة الكتب السماوية؛ لأن أقوال الله يفسر ويشرح بعضها بعضًا؛ لأنها قد تكون مجملة Compendium فى موضع ومفصّلة فى موضع آخر، فلابد وأن يفهم المجمل على ضوء المُفصّل، ولقد

قرأت التوراة والإنجيل وزابور داود Psalms وأسفاراً أخرى، لكن ذكر التوحيد فى هذه الكتب جاء مختصراً وجيزاً، ومن خلال قراءة الترجمات اليسيرة التى وضعها رجال مهتمون لتلك الكتب، فإن الهدف (فى معرفة التوحيد) لم يتحقق له.

ثم يقول المؤلف: إنه قد فحص الكتب المقدسة الهندوسية، التى لا تنكر التوحيد ووجد أن النصوص الدالة على التوحيد المذكورة فى كتب (الفيدا) قد جمعت وشرحت فى الأوبانيشاد التى هى محيط من التوحيد زاخر، لذلك فإنه قد اضطلع بمهمة ترجمتها إلى اللغة الفارسية ترجمة أمينة دقيقة، بمساعدة بعض علماء الهندوسية Pandits and Sanyasis من بنارس (المدينة الهندوسية المقدسة Benaris)، وقد أكمل هذا العمل سنة ١٠٦٧ هـ، ويقول: إن كل المشاكل العويصة والأفكار المحيِّرة التى انقدحت فى عقله (ولم يجد لها حلاً - بالرغم من بحثه وفحصه- قد حلت وانكشفت بمساعدة هذا الكتاب القديم (Upanisshads) الذى يعد بلا ريب من أقدم الكتب السماوية، ومن ينابيع التوحيد المتدفقة، كما يعد بصورة أو أخرى شرحًا وبيانًا للقرآن الكريم، ولعل الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠] تشير إلى هذا الكتاب.

إذ من المؤكد أنها لا تشير إلى الزابور أو التوراة أو الأناجيل أو اللوح المحفوظ لأن كلمة (تنزيل لاتناسب اللوح المحفوظ، ولأن الأوبانيشاد سر مكنون، فإن معنى الآيات القرآنية يمكن أن يوجد فيه، فإن الكتاب المكنون يمكن أن يشير إلى مثل هذا الكتاب القديم[1]. ولقد علم هذا الفقير ما لم يكن معلومًا لديه، وعرف ما كان مجهولاً عنده بقراءة هذا الكتاب ، وليس لديه هدف من ترجمة هذا الكتاب سوى أن ينتفع به شخصيًّا، كما أن أصحابه وطلاب الحق يمكنهم أن

(١) كما أننا لا نجزم بأن ما جاء فى الأوبانيشاد فيه (بقية وحى وأثارة نُبوة) فإننا لا نقطع كذلك بأن هذا الكتاب لا يحتوى على شىء من ذلك، فالأمر على الجواز والإمكان، وإن كان ذلك كذلك، فمن الجائز أن يكون فيه بقية وحى وأثارة نُبوة، وبما أن الوحى كله سابقه ولاحقه من مصدر واحد، وأن الله تعالى قد ذكر فى القرآن الكريم أنه، أى أن الإشارة إلى القرآن أو إلى بعض معانيه وتعاليمه وأسراره مذكورة فى الكتب السابقة. ﴿وإنه لفى زُبُر الأولين﴾ ، ولئن جاز أن يكون فى الأوبانيشاد بقية وحى وأثارة نبوة، جاز أن تكون من (زبر الأولين) والله أعلم.

يقتطفوا من ثماره، وكل من وفقه الله وترك دواعى الهوى جانبًا وتخلص من الانحياز والتعصب، وقرأ وفهم هذه الترجمة المسماة «السر الأكبر» سوف يرى فيها آثار وحى إلهى، دون أن يخالطه قلق أو خوف أو حزن بفضل الله ومعونته.

ترجمته لكتاب بهجوات جيتا Bahagvat Gita:

يعد هذا الكتاب من أهم كتب الديانة الهندوسية، ونحن نعلم أن أبا الريحان البيرونى (ت : ٤٤٤ هـ)، قد أشار إليه مرات عديدة فى كتابه عن الهند وقد ترجم بعضه، وربما ترجمه كله إلى اللغة العربية من قبل، وربما كانت ترجمة البيرونى أول ترجمة لهذا الكتاب تنقله إلى دوائر الثقافة والفكر العالمى.

أما ترجمة دارا شيكوه فلسنا على بينة من تاريخ إتمامها، لكن الأستاذ محفوظ الحق يرجح أنها تمت سنة ١٠٦٧ هـ.

٨ - منتخبات شعرية (بياض):

نعرف من كتاب (مخزن الغرائب) وهو من أهم الكتب التى وضعت عن شعراء الفرس أن الأمير دارا شيكوه قد انتخب مجموعة قصائد شعرية، وأن مؤلف (مخزن الغرائب) قد أفاد منها وضمنها كتابه (التذكرة) حسبما يذكر الأستاذ محفوظ الحق، لكن هذه المجموعة الشعرية مفقودة، ولا يوجد لها ذكر فى مكتبات المحفوظات الشرقية.

٩ - رسائل دارا شيكوه:

للأمير عدد من المراسلات ذات القيمة الأدبية والعلمية، ويضم كتاب (فيض القوانين) ثمانية رسائل كتبها الأمير إلى الشاه محمد دلروبا، وإلى الشيخ محب الله من سكان مدينة (الله أباد)، وآخرين، طالبًا منهم توضيح بعض مسائل التصوف الغامضة Apstruse وقد حصل الأستاذ محفوظ الله على رسائل أخرى للأمير فى بعض دواوين الإنشاء والمجاميع.

١٠ - مقدمة «المرقعة» أو الألبوم Album :

وقد حفظت هذه المقدمة فى كتاب (النيجارستان المنير) ولا يعلم هل كان هذا الألبوم هو الذى قدمه الأمير هدية إلى زوجته الأميرة (نادرة) بيجم سنة ١٠٥٤ هـ.

وهنالك كتب أخرى نسبت إلى الأميـر دارا شيكوه لكن لا يوجد لها أثر فى المكتبات ومنها:

١ - رسالة المعارف:

ويقال: إنهـا رسالة فى المذهب الصـوفى، وقد نسبـها إلى الأميـر صاحب (الخزانة الآصفية) المفتى غلام سروار (نشرة لكنو الحجرية سنة ١٨٧٤م)، ثم نسبها إليه من بعد الأستاذ لطيف صاحب كتاب (تاريخ لاهور).

٢ - نادر النكات.

٣ - المثنوى.

٤ - سيرة ذاتية Autobiography.

وهنالك كتب صُنفت بناء على توجيه الأمير واقتراحه:

من تلك الكتب ما أوحى الأمير بتأليفه، ومنها ما قدمه المؤلفون وأهدوه إليه من مؤلفات اعترافًا بفضله وإحسانه، ومن النوع الأول:

١ - المحاورة بين دارا وبابا لال (مكالمة دارا شيكوه وباب لال):

وهى تحتوى على ملخص للأسـئلة التى طرحها الأمير حول مسـائل مختلفة فى الديانة الهندوسية والحياة الوجدانية الصوفية فيها، وإجابات (بابا لال Baba lal) متصوف البنجاب الهندوسى المعروف، ويظهر من دراسة (باندت شيونارين المنشورة فى مجلة جمعية البنجـاب التاريخية ج٢ رقم ١ ص٢٧ - ٢٨ بعنوان: دارا شيكوه مؤلفًا) أن بابا لال كـان يسمى (لال، ديال)، وأنه لما عرف اعتـزام الأمير الذهاب إليه فى بلدته؛ لأنه كان صـديقًا للشيخ (ميان جـيف)، وأسرع الصوفى الهندوسى بالسفـر إلى الأميـر فى لاهور، وهنالك وقعت هذه المحـاورة وقد استـمرت هذه المحاورة لعدة جلسـات، ويغلب على الظن كما يرى الأستاذ محـفوظ الحق ، أنها قد حدثت سنة ١٠٦٢ هـ بعد عودة الأمير من حملة قندهار العسكرية.

وقد كان الهندوسى الوحيد الذى اقتـبس الأمير من أقواله هو بابا لال حيث قال فى كتابه (حسنات العارفين):

«لال واحد من العارفين الكُمّل، ولم أر له مثيلاً بين الهنود، وقد أخبرني أنه يوجد فى كل جماعة عارفون وربانيون خُلَّص، ويرحم الله هذه الجماعة بسبب وجود هؤلاء الشيوخ».

وهو ينسبه إلى (جماعة كبير)[1]. ويذكر الأمير اسم هذا الصوفى مرة أخرى ويضعه إلى جانب مشايخ الصوفية المسلمين، ولعل ذكر اسم (لال) إلى جانب الأولياء المسلمين يظهر الموقع الذى احتله لدى الأمير.

وقد سجل السكرتير الخاص للأمير - واسمه شندربهان- وكان قد عين من قبل فى ديوان الإمبراطور شاه جهان للإنشاء - تلك المحاورة التى أعطيت عنوان (مكالمة دارا شيكوه وبابا لال)، كما توجد صورة زيتية تصور جلوس دارا مع بابا لال متضمنة فى سجل بنيون Binyon عن مصورى بلاط المغول العظام وغيره من المجموعات النادرة لصور المغول.

٢ - يوجف ڤاسشتها Yoga vasishtha أو يوج ڤاشسست Jug Bashist:

وهى ترجمة فارسية لهذا الكتاب السنسكريتى الذائع، قام بها أحد رجال الحاشية بتوجيه من الأمير، ويقول المترجم: إن الأمير قد أمره سنة ١٠٦٦ هـ بإنجاز هذه الترجمة إلى اللغة الفارسية السهلة؛ لأن الترجمات الفارسية الأخرى لهذا الكتاب - وعلى الأخص تلك التى قام بها الملاً صوفى أو الشيخ الصوفى - لم تلب حاجة الراغبين فى معرفة الحق.

وهناك سبب مباشر لترجمة هذا الكتاب هو أن دارا شيكوه رأى ذات ليلة كلاً من(فسستها Vasistha ورام تشندر Ram chander) فى منامه، وقد طلب الأول من رام تشندر معانقة دارا شيكوه، ففعل ، ثم طلب منه ثانية أن يقدم بعض الحلوى للأمير، فقبلها الأمير وتناولها. وقد انقدح فى ذهن الأمير كتعبير لهذه الرؤيا - أن يترجم الكتاب إلى الفارسية، فأمر أحد رجال حاشيته أن يقوم بهذه المهمة بالتنسيق مع علماء الهندوسية المعروفين فى المنطقة.

---

(١) انظر كتابنا : «الاتجاهات الحديثة فى دراسة التصوف الإسلامى» طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة وانظر:
Tara Chand, Influence of Islam on Indion Cultunre.

٣ - موجز الشاهنامة، المسمى تاريخ شمشيرخان:

كتب كما تذكر المراجع المختلفة بناء على توجيه من الأمير، ومن الكتب التى كتبها أصحابها للأمير الكتابان التاليان:

١ - طب دارا شيكوه: أو علاجات دارا:

كتبه نور الدين محمد بن عبد الله بن عين الملك الشيرازى سنة ١٠٥٦ هـ، وقدمه إلى الأمير دارا وريث شاه جهان المرتقب، وهو كتاب ضخم يتناول المبادئ الطبية العامة ومعالجة مختلف الأمراض.

٢ - ترجمة ديوان أقوال الواسطى:

وهو ترجمة فارسية لأقوال الصوفى المعروف أبو بكر محمد بن موسى الواسطى ٣٢٠ هـ والذى قام بهذه الترجمة إبراهيم المسكين، وقدمها إلى الأمير سنة ١٠٦٧ هـ، أى قبيل إعدامه بسنتين، وهنالك كتب كثيرة جداً من هذا النوع تدلنا على مدى إقبال العلماء والمؤلفين على هذا الأمير العالم.

* * *

خامساً: آراء دارا الدينية أو موقفه من الأديان الأخرى

يوقفنا الفحص الدقيق لمؤلفات دارا شيكوه طبقًا لترتيبها التاريخى على أن دراساته المبكرة كانت صوفية خالصة، ولم تكن لديه فرصة متاحة لفحص النظم الصوفية للأديان الأخرى.

ومن المسلَّم به أن الأمير قد تلقى دراساته الأولى فى القصر على الطريقة النمطية القديمة وطبقًا للاتجاه السنى النمطى، وقد توافرت لديه شجاعة أن ينبذ التعصب وأن يدرس الأمور فى سياقها الصحيح، وأن يتعرف على حقائق الأديان الأخرى وأن يقدرها تقديرًا صحيحًا، وهو يصرح فى مقدمة ترجمته للأوبانيشاد بأنه بعد أن أصبح مريدًا للشيخ مُلاًّ شاه سنة ١٠٥٠ هـ أصبح على اتصال مع متصوفة الأديان المختلفة، ودرس الزبور والتوراة والإنجيل، ومن هنا نتبين دراسة الأمير للأديان الأخرى، لكنه لم يعلن رأيه فى كتبه ورسائله التى ألفها قبل سنة ١٠٦٢ هـ - فى الأديان المختلفة عمومًا وفى الهندوسية على وجه الخصوص.

ونجده قد اقتبس فى (شطحياته) فقط أقوالاً للمتصوف (بابالال)(١) تبين أن الحقيقة ليست مقصورة على ديانة واحدة بعينها.

وقد كان كتابه التالى لذلك هو (مجمع البحرين) الذى كتبه سنة ١٠٦٥ هـ وعبّر فيه عن آرائه بوضوح، وأنه لا توجد فى المستويات العليا من إدراك الحقيقة، أى لدى العارفين، أية اختلافات أساسية بين الهندوسية والإسلام.

ولقد كان الأمير على وعى أن مثل هذه التصريحات المباشرة قد لا تكون مقبولة فى الوجدان الدينى لطائفة كبيرة من أتباع الديانتين، لذلك فإنه قد كتب مبينًا أن كتابه هذا لم يكتبه للعامة، ولكنه كتبه لخاصته وأهل بيته، ولا شأن له بالعامة من أتباع الطائفتين.

ويعد هذا الكتاب الصغير - فيما يذكر الأستاذ محفوظ الحق- محاولة للجمع بين الهندوسية والإسلام، وقد اجتهد المؤلف أن يبين أن مفاهيم العناصر،

(١) ويسمى فى بعض المراجع باولال بيراجى: Bawa lal Bairagi

والألوهية، والحــواس، والروح، والاتحاد بالمطلق، والقــيامة العظــمى، والعوالم، والكواكب، والأدوار.. إلخ، متماثلة لدى الموحِّدين فى الهندوسية والإسلام.

لكننا نلاحظ أن هذه المحاولة الـتوفيقــية قد قصــرت نفسهــا على إبراز نقاط التمــاثل بين الديانتين دونما إعــلاء أو حط من شأن أى منهمــا، فقد كــان مهتــماً بالحقائق وسوقها كما هى، أى أن محاولته قد تعد دراسة مقارنة لكل من الديانتين بهدف استكــشاف نقاط الالتقاء العــديدة، لكن الأمر المدهش أنه وبدافع حمــاسته يسعى إلى إيجــاد تشابه وثيق بين الديانتين، فيــركز على بيان وجوه التــماثل رغم كونه تماثلاً سطحيًا أحيانًا- كما أنه يغفل جوانب الاختلاف العديدة بين الديانتين.

ويرى الأستاذ محفوظ الحق أنه ينبغى أن نقر - في الوقت نفسه - بأن الأمير لم يتخل بذلك عن عــقيدته الإسلامــية ليصــبح هندوسياً كمــا شنع وشغَّب بذلك عليه بعض الناس، وأن مقدمــته لهذا الكتاب التى يحمد فــيها الله تعالى، ويصلى على رسوله، وأصــحابه، وأتباعــه قد تدحض هذا الافتــراء عليه، كمــا أن قراءة الفصل الأخير من كتابه يبين عمق تمسكه بالإسلام ورسوله الخاتم ﷺ.

لقد أصبح الأمير منذ سنة ١٠٦٥ هـ مهــتمًّا بدراسة الهندوسية، وقد تُرجم له كــتاب (يوجــا) سنة ١٠٦٦ هـ، ثم ترجــم هو نفســه فى العــام التــالى كتــاب الأوبانيشاد، وفى قريب من ذلك الوقت ترجم كتاب (بهــجوات جيتا)، ولا يوجد فى جميع تلك المؤلفات أدنى ذكر أو إشارة تبين أنه قد تخلى عن الإسلام، واعتنق الهندوسية، بل هى تظهر أنه مسلم عميق التمسك بإسلامه.

لقد كان دارا شيكوه يــرى أن فى «الڤيدا» ما يبعث على الاعتــقاد بأنه كتاب موحى به فى الأصل، لكن ذلك ليس ســببًا كافيًا لإعــلان ردته عن الإسلام، وقد كان مؤمنًا بالقــرآن، وبأنه كتب الفيدا على اتفاق مــع القرآن فى بعض المسائل، أو أنها تفــسير له، فهل يمكن أن يكون ذلك الرأى دليــلاً على الارتداد عن الإسلام؟ فإذا رأى الأمير دارا فى الفيدا توضيحًا وتفسيرًا لمسائل معينة عويصة فى القرآن فهل يكون ذلك سببًا للحكم عليه بالردة؟!!.

ولقد ذكر - من بعد - ميرزا جان جنان مظهر شاهد ١١٣٠ هـ/ ١٧١٧م ، وهو من الأولياء المعــروفين فى الهند - ذكر مثل هذه الآراء ولم يحكم عــليه أحد بالارتداد عن الإسلام، وقد كان مما قاله:

«. . . يظهر من الكتب القديمة للهنود أن العناية الإلهية فى بداية خلق النوع الإنسانى- قد أنزلت كتابًا يسمى الڤيدا (Bed) من أربعة أجزاء لكى يرشدهم فى أمور دنياهم وأخراهم، وأن جميع الفرق الهندية تتفق على الاعتقاد بوحدانية الله تعالى، والإيمان بأن هذا العالم مخلوق، وأنه سوف يفنى، وفى الجزاء والبعث والحساب، كما أن قوانين ولوائح عقيدتهم فى غاية التنظيم، وذلك برهان على أن ديانتهم فى أصلها منزلة لكنها قد حُرِّفت abrogated، وفى الشرع الإسلامى لايوجد ذكر للأديان التى حُرفت خلا اليهودية والمسيحية، بينما فى الواقع هنالك أديان كثيرة خضعت كتبها للتحريف، وينبغى النظر إلى ذلك فى صور الآيات القرآنية: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقد بعث الله رسلاً لبلاد الهند ولا ريب، وقد ذكرت قصصهم فى كتب الهند».

وإن لم يكن فى هذه الآراء دليل على ردة قائلها، فلم قد حكم على دارا شيكوه بالردة، وهو لم يزد على هذه الأقوال والآراء، وكتبه وأعماله بين أيدينا وهى تدل على أنه صوفى مسلم متمسك بدينه؟ ولو أن باحثًا تأمل أقوال الصوفية فسيجد أن بعضها أكثر مجلبة للإدانة من تلك التى قالها شيكوه! وإن كان قد صلب الحلاج، وأعدم شهاب الدين السهروردى، وقتل سرمد، فإن التاريخ قد اعتبرهم اليوم بمثابة شهداء على الطريق الصوفى، ونفس الشىء يحدث مع دارا، حيث ينظر الناس إليه اليوم على أنه أمير قد راح ضحية الطموحات السياسية الإمبراطورية، وليس لأنه كان مبتدعًا ضد الإسلام ومرتدًا عنه، لقد كان اتهامه بالرِّدة ذريعة مكشوفة للتخلص منه كوريث شرعى لعرش أبيه شاه جيهان، الذى غلبه عليه أخوه الأصغر أورنزيب علم جير. ولقد جاءت عبارتان فى حيثيات الحكم عليه بالإعدام تظهران أن حقيقة الأمر: «من أجل مصالح الدولة. . .، ولأنه يعكر صفو السلام العام»، إنها حقًّا مأساة أمير نبيل صوفى شاعر عالم متفتح العقل، مرهف الذوق، إنسانى النزعة.

* * *

سادساً : التقاء الإسلام والهندوسية فى الهند

ينبغى لكى نفهم ونقيِّم محاولة الأمير فى كتابه (مجمع البحرين) تقييمًا صحيحًا أن ندرك خصوصية الحالة الهندية فى الالتقاء والتأثير والتنافذ المتبادل بين الديانتين؛ الإسلام والهندوسية، ومن جانبى أحيل القارئ الكريم إلى كتاب مهم كتبه مؤرخ ومفكر هندوسى هو Tara Chand، بعنوان: Influence of Islam On Indian Culture"

أى: «تأثير الإسلام فى الثقافة الهندية[1] فقد كرس المؤلف هذا المجلد لمناقشة هذه المسألة المهمة التى لا يعرف بعض الباحثين فى العالم العربى كثيراً من تفاصيلها، يقول (تاراشند): بعد أن تلاشت الصدمة الأولى للفتح (الإسلامى للهند) أعد المسلمون والهنود أنفسهم للبحث عن طريق وسط Via Media للتعايش معًا، وقد هداهم بحثهم عن نمط جديد للحياة إلى تطوير ثقافة جديدة ليست هندوسية خالصة، ولا هى إسلامية خالصة، لقد كانت حقًا ثقافة هندية إسلامية، ولم يكن يتشرب الدين الهندوسى، والفن الهندى، والأدب الهندى، والعلم الهندى، عناصر إسلامية فحسب، لكن الروح الثقافية الهندية ذاتها، بل ونسيج العقل الهندى قد تغير، ولقد أجابهم المسلمون فى قبول التغيير فى كل جوانب الحياة، ولقد ترك القادة الدينيون الهندوس - منذ القرن الرابع عشر فى شمال الهند- عناصر معينة فى عقائدهم المقدسة، وأكدوا على عناصر أخرى.

وقد كانت تلك محاولة للتقريب بين الهندوسية والإسلام، وفى نفس الوقت أظهر رجال الطرق الصوفية المسلمون والكتاب والشعراء اتجاهًا قويًا نحو التقارب مع الممارسات والمذاهب الهندية، إلى حد قبول بعض البسطاء والسذج بتبجيل بعض آلهة الهنود[2].

ويصور تاراشند النفوذ الإسلامى إلى الديانة الهندوسية ذاتها قائلاً:

«لقد أصبح التوحيد Montheism - فى العصور الوسطى الديانة المسيطرة

---

(1)Tara chand, Influence of Islam on Indian Cultuure , India, 1922, Lahore, 1979.

(2) Ibid, 1/3.

على الهند كلها، وقد يسمى الإله الواحد بأسماء عديدة مثل شيفا وفشنو أو بأى اسم آخر، وربما وجدت نظريات مختلفة عن وجوده وخلقه وصلته بالإنسان، لكنه إله واحد فوق الجميع»[1] ونسوق - أيضًا - ما كتبه حديثًا باحث هندى مسلم هو الأستاذ أصغر على، من بومباى بالهند[2] تناول فيه موقف المسلمين المتسامح من الهند والهندوسية بشكل عام، ويتحدث أولاً عن دلالة مصطلح (كافر) فى علم الكلام الإسلامى، وعلى من تطلق، وهل يصح إطلاقها على أتباع الديانة الهندوسية أم لا؟ ، ويحاول أن يصل -مستندًا إلى الآيات القرآنية الكريمة التى تثبت أن الله تعالى قد أرسل فى كل أمة رسولاً[3] ، وأنه تعالى لم يذكر فى القرآن أسماء أو قصص جميع الرسل الذين أرسلهم إلى جميع الأمم، فأمة الهند بناءً على ذلك قد أرسل الله إليها رسولاً أو رسلاً، وأنزل إليهم وحيًا أبلغوه إلى قومهم، وأن آثار هذا الوحى محفوظة فى كتبهم التى تتشابه فى جوانب كثيرة مع القرآن الكريم، ويحاول أن يصل بذلك إلى أن إطلاق وصف (الكافرين) على أتباع الكتب الهندوسية غير مسلم به، وغير متفق عليه بين المسلمين.

ويحكى الأستاذ أصغر واقعة حدثت إبان فتح محمد بن القاسم ٦٩٤ - ٧١٦ م للهند، فقد جمع العلماء واستفتاهم فى الوضع الدينى للهندوس Relrg-ious status، فلم يتفق العلماء على رأى واحد بشأنهم، لكن غالبيتهم رأوا أنهم «من أهل الكتاب»، وليسوا من «الكافرين حقًّا»، قياسًا على الصابئة والمجوس[4] والبارسيين Parsis ، وقياسًا على اعتبار قبائل البربر فى شمال أفريقيا زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه أهل كتاب، وهم قبائل غير متحضرة وهمجية، على حد وصف ابن خلدون لها.

---

(1) Ibid 137- 138.

وقارن كتاب راداكرشنا. The Hindu View of Life.

فصل: Conflict of Religions, The Hindu Attitude, London, 1940, pp. 26-44

(٢) نشره فى مجلة Islam and Muslim Christian Releations (الصادرة فى لندن ١٩٩٠ م ص ١٠٥).

وعنوان البحث: The Hindu - Muslim Problem, A cooperative Approach

(٣) قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر:٢٤].

(٤) انظر: الفصل لابن حزم، والملل والنحل للشهرستانى.

ويشير إلى أن كبار المفكرين المسلمين قد نظروا إلى الهنود منذ وقت مبكر نظرة تقدير واحترام ، ويستشهد على ذلك بأقوال المسعودى والجاحظ والشهرستانى، كما أن بعض المفكرين المسلمين قد حاولوا فهم ديانة الهند بطريقة غير عدائية تنم عن تقدير واحترام، منهم «محمد الشبسترى» من علماء القرن الرابع عشر (الثامن الهجرى) فى كتابه (جلشان راز Gulshan - i Raz) حاول أن يتفهم وجهة نظر الهندوس فى عنايتهم بالأصنام والأوثان ويفلسف عبادتهم لها.

ومهما يكن رأينا فى تحليلات الأستاذ أصغر، فإنه يصل بنا إلى نقطة مهمة جدًا هى أن الفرق كان كبيرًا جدًا بين موقف كل من الصوفية والفقهاء من الهندوسية، فقد جاءت وجهات نظر الجماعتين متباينة فى كثير من الأحيان ، ونظرًا لأن الصوفية - كما يرى - لم تكن لديهم طموحات سياسية للوصول إلى السلطة أو السلطان، فإنهم قد وجدوا حظوظًا متوازية متشابهة فى الممارسات الروحية الإسلامية والهندوسية متمثلة فى اليوجا Yogis، ويحكى أن الشيخ نظام الدين أوليائى (١٣٢٥م) أحد كبار أولياء الصوفية فى زمن السلطنة كان يسير على شاطئ نهر جامو مع تلميذه ومريده أمير خسرو (١٣٢٥م) فرأى امرأة قد اغتسلت فى النهر وتوجهت نحو الشرق (مشرق الشمس) لتصلى، فوقف وقال: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

ويرى أصغر أن مفهوم (الفناء فى الله) الذى انتشر بين الصوفية المسلمين قد اشتق من المفهوم الهندوسى للنرفانا Nirvana ، هذا بالإضافة إلى أن الصوفية لم يترددوا ولم يجدوا حرجًا فى استخدام العبارات والحكم والأمثال الهندوسية الشائعة فى التعبير عن أفكارهم ومفاهيمهم الإسلامية الخاصة بهم، ولقد استخدم الصوفى الشيخ محمد من (مهارشترا) اللغة المارتية Marathi، والسنسكريتية فى صياغة كتابه الذى أسماه (يوجا سنجاراها) Yogasangraha كما استخدم مصطلحات باتنجلى Patanjali لشانكارا Shankara المتوفى سنة ٧٠٠ م ومفسرى القيدانتا Vedanta(١) لقد اقتنع هؤلاء الصوفية أنهم مختلفون مع صوفية الهندوس الموحدين ظاهرًا أما الباطن أو المضمون والمحتوى فهو ليس كذلك.

---

(١) للتعرف على هذه المصطلحات والأسماء راجع:

Penguin Dictionary of Riligions . USA, 1984.

ولقد رأى واحد من صوفية منطقة ججرات Gujarat فى سيدنا محمد ﷺ تجسدًا Avtara لكرشنا Krishana، ونظم قصيدة فى ذلك المعنى، كما أن مذهب وحدة الوجود الصوفى قد يتفهم إلى حد بعيد الفلسفات والمذاهب والأديان الأخرى، ويشار هنا إلى أن الصوفى المعروف عبد الرحيم جان جنان (اغتيل سنة ١٧٨١م) كان يؤمن أن الله تعالى قد أرسل رسلاً إلى الهندوس، وكان يرى أن براهمن Brahman يشبه آدم عليه السلام- وقد أقر بأن كتب الفيدا كان موحى بها فى الأصل.

ويرى أصغر على أن الإمبراطور أكبر Akbar (جد دارا شيكوه) عندما انتهج سياسة مرنة متسامحة تجاه الهندوس، استاء من ذلك علية القوم من المسلمين (الأرستقراط أو البلاد القادمين من وسط آسيا على الأخص) وقد وجد هؤلاء النبلاء فى الشيخ أحمد السرهندى النقشبندى مجدد الألف الثانية زعامة روحية ودينية مناسبة للوقوف فى وجه هذه السياسة الإمبراطورية المتسامحة، هذا كلام الأستاذ أصغر على، والواقع أن حركة مقاومة سياسة أكبر بدأها الشيخ الصوفى النقشبندى الخواجة محمد الباقى بلا Billah (١٦٠٣م) فى دلهى، وقد بدأ فى الاتصال بالنبلاء، ثم استمال أخيرًا الشيخ المجدد أحمد السرهندى إلى رأيه، لقد كان السرهندى متأثرًا بآراء شيخه المتصوف أبو الفضل المتسامحة والعقلانية.

وفى رأينا أن ملاحظة الأستاذ أصغر عن موقف الصوفية والعلماء من الديانة الهندوسية صحيحة، ولكن ليس على إطلاقها، فإن الشيخين الخواجة باقى بلا وأحمد السرهندى اللذين واجها سياسات الإمبراطور أكبر[1] كانا صوفيين

(١) الحق أن اتجاه الإمبراطور أكبر جد دارا شيكوه كان مختلفًا، وأن شخصيته كانت مختلفة عن شخصية حفيده من حيث التكوين الثقافى والعلمى، ولقد تجاوز أكبر المسموح به شرعًا؛ إذ أعلن فى سنة ١٥٨٥ م ما أسماه (الديانة الإلهية) التوحيدية، وهى تلفيق مما حسبه أفضل الجوانب فى الأديان المختلفة: الإسلامية والهندوسية خصوصًا، والمسيحية والبارسية، ونصّب نفسه رئيسًا لهذه الديانة، واعتقد أن من واجبه أن يقود رعاياه فى الناحية الروحية، ولم تكن التجربة ناجحة، وكان يطل من شرفة قصره لينظر إلى أتباعه وهم يحنون هاماتهم إكبارًا له، لكنه لم يتخل عن إيمانه بالله، وعن تقديره للرسول ﷺ، والقرآن والإسلام، وقد مات وكلمة الشهادة على شفتيه

لكن الأمر المهم أنه طوال مده بدعته تلك قد سمح للهندوس بصورة غير مسبوقة فى ممارسة ديانتهم وقد

مشـهورين فى الهند وخـارجها. ويـرى الأستاذ أصـغر أن حركـة هذين الرائدين الروحيين قد وجدت دعمًا قويًا من النبلاء والأمراء الذين لم يكونوا راغبين فى أن يشـاركهم الهندوس فى السـلطة، وقد استمـرت المشكلة Tussle إلى أن تمـكن أورنزيب علم جيـر (الذى حكم من ١٦٥٨ - ١٧٠٧) من الحـصـول على دعم الأرستقـراطية الإسلاميـة فى جهوده الراميـة إلى الاستيلاء على السلطـة من أخيه الوريث الشرعى الأمير (دارا شيكوه) (١٦٥٩م- ١٦٥٩م)، فأعدمه لأسباب سياسية متذرعًا بأحكام دينية .

لا ريب أنه قد كـان هنالك تشابه وتداخل ثقافى واجـتماعى بين الطائفـتين الهندوسيـة والإسلاميـة ليس على المستـوى الصوفى، أو على مـستوى الطبـقات الشعبـية، لكن التأثيـر المتبادل كان أعمق مـدى مما يتصور الملاحظون والبـاحثون، وهذه ظاهرة عامة أعنى بهـا (التداخل أو التنافذ بين الأديان) The Symbiotics of Riligions ويضرب الأستاذ جـون فان ماتن T. V. Manen فى تصديـره لكتاب

= شجـعهم على ذلك بـينما وقع اضطهـاد ضد المسلمـين تمثل فى حظر اداء فريضـة الحج ومنع أداء بعض الشعائر الإسلامية، لقد مال إلى جانب أداء بـعض الشعائر الهندوسية. لقد مال إلى جانب الهندوس على حسـاب المسلمين، ولـقد شجع هذا الـهندوس على التطلع إلى تحقـيق فكرة القومـية الهندية التـى كانت تراودهم فى تلك الأيام، بعد أن أيقظتهم حركة بهكتى Bhakti روحيًا ، ولقد أثارت سياسته غير المتعاطفة مع الإسلام ردود فعل نحو التمسك بالسُّنية التى بلغت ذروتها فى عهد أورنزيب.

لقد أقلق الإمبراطور أكبـر توزع رعاياه على ديانات متعددة هى الهندوسية والإسلام والمسيـحية والبارسيّة، فأراد جمعهم والـتأليف بينهم ، لكنه أخطأ الطريق ووقع فى بدعة سيئة أثارت ضده الناس وجـعلتهم غير متـحمسـين لدراسات وبحـوث حفيـده دارا شيكوه، ولا شك أن علمـاء السنة ونبلاء المغـول كان لديهم الاستعداد النـفسى لمعاونة أورنزيب فى خطته الرامية إلى التـخلص من أخيه شيكوه، لقد جمـعهم الهدف وإن تباينت البواعث، بقى أن نذكر أن أكبر كان يجمع علماء الإسلام وعلماء الهندوس Pundits ورهبان الجزويت Jesuits ، والزرادشتيين للتبـاحث والتناظر والنقاش، فى قاعة بالقصر الإمـبراطورى بحضوره شخصيًـا، إلى أن أصبح مقتنعًا أن الحقـيقة ليست حكرًا Monopoly ، على ديانة بعينها، وأن الحـقيقة موزعة على الملل كلها، وأن العقائد جميعها طرق للوصول إلى الله تعالى وخلاص الإنسـان.

See: A Concise History of Indop pakistan, by S. F. Mahmud, Oxford univ. press, . pp. 143- 144.

مجمع البحرين سنة ١٩٢٠ -مثالاً لذلك من الواقع فيقول: إن التقاء المسيحية والوثنية فى أوربا قد غمر الوثنية وحجبها دون أن يقضى عليها أو يدمرها، والتقاء الأرواحية Animism، والهندوسية والإسلام- فى جاوة بأندونيسيا- قد أوجد مركبًا للنفاذ والتداخل دونما قهر أو إفناء Permeation with out suppression، ونفس الشيء يقال عن تلاقى الهندوسية والإسلام - وتلاقى البوذية والكنفشيوسية، والبوذية، والطاوية... إلخ.

ويشير الأستاذ أصغر إلى أمثلة كثيرة لهذا التلاقى والتنافذ بين الإسلام والهندوسية فى الهند ثقافيًا واجتماعيًا ودينيًا، ويرى أنه لولا أن السياسة قد أفسدت الأمر فى كثير من الأحيان لكانت الصورة غير ذلك فى شبه القارة الهندية.

* * *

سابعًا: نماذج من كتاب «مجمع البحرين»

يقول دارا شيكوه فى فصل بعنوان: (بيان صفات الله الحسنى):

«يرى الصوفية المسلمون أن لله تعالى صفة الجمال Beauty وصفة الجلال Majesty، وهما محيطتان بجميع الخلائق، بينما يرى عُبّاد الهنود أن لله ثلاث صفات ويطلقون عليها (ترجونا) وهى: سات، راج، وتام، وهى تعنى: الخلق، والحفظ، والإفناء.

ولقد قبل الصوفية صفة الحفظ أو الدوام على أنها صفة جمال، ولأن تلك الصفات يشتمل بعضها على بعض، فإنهم أسموها: (ترى مورتى)، أو (براهان)، و(فشنو) و(مهيش فارا)، وهؤلاء يتماثلون مع (جبرائيل) و(ميكائيل) و(إسرافيل) فى اصطلاح الصوفية. فـ(براهما) أو جبرائيل ملك الخلق، و(فشنو) أو ميكائيل ملك الحفظ والدوام، و(مهيش) أو إسرافيل ملك الإماتة والإفناء.

وكذلك فإن الماء والهواء والنار وثيقة الصلة بهذه الملائكة الكرام، فالماء مع جبرائيل والنار مع ميكائيل، والهواء مع إسرافيل، وهذه العناصر الثلاثة متجلية فى الكائنات الحية.

وبذلك يكون براهما الذى يبدو وكأنه ماء (أو رطوبة) اللسان، ومن ثم فهو سبب الكلمات الإلهية، وهو إلى جانب ذلك مصدر لقوة الكلام، و(فشنو) الذى يشبه النار فى العيون، فإنه مصدر الضوء، والتألق ونظر العين، و(مهيش) الذى هو هواء النفس - المسئول عن إيجاد الصُّورين أو (قرنى النفخ)، أى النفختين أو النفس الذى إذا ما توقف، توقفت الحياة.

والآن فإن (ترى جونا) - الذى هو مجموع الصفات الإلهية الثلاث: الخلق، والحفظ، والإفناء- متجلية من خلال - بواسطة- براهما، وفشنو، ومهيش، الذى تتجلى صفاته بدورها فى كل المخلوقات فى هذا العالم، وعلى ذلك فإنه عندما يولد مخلوق فإنه يعيش لمدة معينة، ثم يموت.

(شاكتى) أو القوة الكامنة للصفات الإلهية الثلاث المذكورة تسمى (ترى ديفى) ومما يذكرها أن (ترى مورتى) قد تمخض عن براهما وفشنو ومهيش، وفى

حين أن (ترى ديفى) قد كان بمثابة الأم لهذه الثلاث التالية: سراسفتى، وبرفاتى، ولاكشمى، والسراسفتى يتعلق بـ راجوجيونا Rajoguna وبراهما برفاتى Parvati يتعلقان بـ تاموجيونا Tamoguna ومهيش ولكشمى Lakshmi يتعلق بـ ساتيوجونا Satuguna وبيشون Bishun.

فصل : فى بيان الروح:

تطلق الروح على معنيين:

١ - المعنى العام المعروف للروح.

٢ - ما يطلق عليه روح الأرواح، أو أبو الأرواح ، فى اصطلاح عُباد الهنود: آتما Atma وبرامتا Paramat على التوالى.

وعندما تصبح الذات الخالصة: Pure self معينة ومقيدة، سواء فى جانب اللطافة أو الكثافة، فإنها تعرف بالروح Soul (ATMA) فى جانبها اللطيف، وبالجسد أو السرير فى جانبها الكثيف، أما الذات أو النفس التى تعينت فى الأزل الماضى فإنها تعرف بالروح الأعظم، ويقال: إنها متحدة مع الذات كلية العلم (مع الله تعالى).

والروح التى تندرج فيها كل الأرواح تسمى Paramatama أو أبو الأرواح، (روح الأرواح) ، والعلاقة الداخلية بين الماء وأمواجه هى نفس العلاقة بين الجسد والروح، أو بين السرير وآتما، ومجموع الأمواج فى صفتها الكلية تشبه أن تكون بمثابة (روح الأرواح) أو Paramatama ، فى حين أن الماء فحسب (بدون أمواجه) يشبه أن يكون بمثابة الوجود المهيب أو Sudha وCetana.

فصل فى بيان رؤية الله تعالى:

يطلق الموحِّدون الهنود على رؤية الله تعالى كلمة Schtkar، وهى رؤية الله بعينى الرأس، ونحن نعلم أن رؤية الله تعالى سواء فى حق الأنبياء عليهم السلام، أو فى حق الأولياء الربَّانيين قدس الله سرهم، سواء فى هذا العالم أو فى العالم

الآخر، وسواء أكان بالعين الظاهرة أم بالعين الباطنة، أمر مسلم وليس مثاراً للشك أو النزاع، وأهل الكتاب والصوفية الكمل والملهمون من كل الأديان، سواء أكانوا من المؤمنين بالقرآن أم الفيدا أم كتاب داود، أم التوراة أم الإنجيل، فإن لديهم جميعًا عقيدة مشتركة فيما يتعلق برؤية الله تعالى.

ومن لا يؤمن برؤية الله تعالى لا عقل له ولا نظر عنده بين أهل جماعته، والدليل على ذلك أنه إذا كانت الذات العليا، كلية القدرة، فكيف لا يكون لديها القدرة على إظهار ذاتها؟ وقد أفاض علماء أهل السنة والجماعة فى بيان هذا الأمر، وقد قيل: إن رؤية الذات اللطيفة أمر مستحيل؛ لأن الذات اللطيفة بهية وغير متعينة، وإذا لم يكن تعينها ممكنًا ، فإنها تتجلى فى حجاب البهاء فحسب، وبالتالى فلا يمكن رؤيتها، فرؤيتها أمر مستحيل.

كما أن القول بأن رؤية الله تعالى تكون فى الآخرة فقط، وليس فى هذه الدنيا قول لا أساس له ؛ لأن الله تعالى لا حد لقدرته، ويقدر سبحانه على إظهار نفسه بالطريقة التى يختارها سبحانه والمكان الذى يختاره، وفى الزمان الذى يختاره، وإنى أومن أن الذى لا يمكنه أن يرى الله هنا فى هذه الحياة (بعينه الظاهرة أو الباطنة)، فلن يراه هناك فى الآخرة ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٢].

وعلماء المعتزلة والشيعة الذين أنكروا رؤية الله تعالى قد ارتكبوا خطأ عظيمًا فى هذا الأمر؛ لأنهم أنكروا إمكانية رؤية الذات اللطيفة فحسب، وقد يكون لديهم بعض العذر فى ذلك، لكن إنكارهم لكل صور الرؤية خطأ كبير، والدليل على ذلك أن كثيراً من الأنبياء والأولياء قد رأوا الله بعيونهم وسمعوا كلامه القدسى بلا واسطة Intermediary ، وإذا كان هؤلاء يستطيعون الاستماع لكلامه سبحانه، فلم لا يستطيعون رؤيته؟ ولا ريب عندى أنهم يستطيعون ، وكما أنه يجب علينا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والمصير، والخير والشر، والأماكن المقدسة . . . إلخ، فإنه يجب علينا أن نؤمن برؤية الله تعالى.

وعلماء السنة الذين يتنازعون فى معنى وألفاظ الحديث الذى سألت فيه عائشة الصديقة رضى الله عنها الرسول ﷺ قائلة: هل رأيت ربك ؟ فقال: «نورٌ أنى أراه؟» وقد قرئ هذا الحديث هكذا: «نور أنِّى أراه!!» وهذا الحديث لا يمكن أن

يكون دليلاً على عدم رؤية الله حتى ولو أخذنا التفسير السابق في اعتبارنا فإنه يشير إلى «الرؤية التامة» في حجاب النور... إلخ، لكن لو أخذنا بقراءة (نور أنّى أراه؟) فإنه يشير إلى ذاته تعالى في تمام صفاتها وإطلاقها وعدم تلونها بالألوان، واختلاف العبارة يدل على معجزة لنبينا حيث عبر ﷺ عن مسألتين مشكلتين في حديث واحد، أما الآية القرآنية الكريمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣] فهي دليل قاطع على رؤية الله تعالى، بينما آية: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] فإنها تشير إلى عدم تشكل ذاته سبحانه بالألوان، وعليه فإن العين لا يمكن أن تراه في هذه الحالة من انعدام اللون والإطلاق التام، بينما هو سبحانه يدرك الأبصار مهما تكن حالتها وهو اللطيف الخبير، كما أن كلمة (هو) الواردة في الآية الكريمة تشير إلى عدم رؤية اسمه الأعظم.

وتنقسم رؤية الله تعالى إلى خمسة أقسام : هي:

١ - في المنام وتكون بعين القلب.

٢ - رؤيته بالعين الباصرة.

٣ - رؤيته في حالة هي بين النوم واليقظة التي هي حالة من الفناء عن الذات.

٤ - رؤيته في حالة من التعيُّن الخاص.

٥ - رؤيته في حالة من التعيُّنات المتكثرة في العالم الظاهر والباطن، وفي مثل هذه الطريقة نرى نبينا ﷺ، الذي اختفت ذاته من الوسط، بينما يتوحد الرائي والمرئي في كل واحد. وكذلك فالرائي في نومه يبدو إدراكه وفناؤه عن ذاته كلاً واحدًا، أي: قد توحدت عينه الظاهرة والباطنة في كل واحد، وكذلك تكون الرؤية التامة، وهي ليست مقصورة على هذه الحياة الدنيا أو في الآخرة، لكنها ممكنة في كل زمان ومكان.

أسماء الله الحسنى Discourse of the Names of God, The Most High

اعلم أن أسماء الله تعالى كثيرة جدًا تفوق العد والحد والحصر ويطلق في

اصطلاح العُباد المتألهين الهنود على المطلق البحت والصرف وغيب الغيب ، وحضرة واجب الوجود : أسانAsanga، ترى جونTriguna، نيراكار Triguna نيرانجانا Niranaa، سات SATUN، وشتChit.

وحين يوصف سبحانه بالعلم يسميه فقراء الهندوس (شتان: ناهفشرش ، فى حين يطلق عليه المسلمون « عليم » ، ويطلقون على « الحق » أنانتاAnanta، ويطلقون على القادر شمارت Samarthaوعلى السميع يطلقون كلمة سروتا Sarota، وعلى البصير يطلقون لفظ دراشتا Drasta، وحين ينسبون الروح إلى الذات المطلق يقولون واكتا Wakta, Vykta، أما اسم « الله » عندهم فهو UmOm . ويطلقونه ساه Sah على (هو)، ويسمون الملاك أو فرشتاFirishta بـ ديفاتاDevata.

كما يطلقون فى لغتهم السنسكريتية على الظهور الأتم لله تعالي أوتارAvatrar وهو الذى يتجلى الله من خلاله بصورة لم يتجل بها فى أى فرد من أفراد طبقته أو صنفه فى تلك الفترة المعينة ، والوحى الذى أوحى إلى الأنبياء يسمى أكاص بانى Akas bani.

وسمى بهذا الاسم (أكاص بانيAkasaavani) لشدته ، وقد ذكرنا رسولنا ﷺ شدة حال تنزل الوحى عليه ، وأنه ﷺ كان يسمع ساعة نزول الوحى عليه مثل صلصلة الجرس أو أزيز النحل ، لهذا فإن الصوت أو الكلام الذى يتنزل من السماء يسمى أكاسافى ، وأنهم يطلقون على كتبهم السماوية (فيد Vedas) ويطلق على الطيبين من الجن (Geniis) وهم الـ Paris، ويدعون (أشرانتApsars) ، بينما الشريرون منهم الذين همDemons، أى أبالسة فيطلق عليهم (راكاسRakasas) .

(١) «Om» كلمة من مقطع واحد (Monosyllable) ينطق بها الهندوس عند ذكر اسم الذات العليا، ولقدسية هذه الكلمة لا يرفع بها الهندوسى صوته، بل يضع يديه على فيه عندما ينطق بهذه الكلمة O`m، كما أن البرهمى Brahman عندما يقرأ شيئًا من الفيدا أو من كتاب مقدس، يبدأ محاضرة، أو يختمها لابد أن ينطق بكلمة O`m .

وهناك عدة اجتهادات من علماء الأديان لمحاولة اشتقاق هذه الكلمة، وماترمز إليه وهى فى رأى دارا شيكوه تقابل اسم الجلالة: الله.

(٢) (أوتار) .

Penguin Dictionary of Religions.

ويطلق على الآدميين لديهم (مَنُشيا) Manushya، بينما يطلق على الصوفى منهم (ريشى Rishi) ، ويطلق على الرسول (مهاسودها Maha sudha)[1] .

فصل فى بيان الخلاص (مُكْت Mukt):

الـ «مُكت Mukt» ويعنى: الفناء والمحو أو عدم ظهور تعيّنات الذات الإلهية، كما يؤخذون الآية الكريمة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فالدخـول إلى «الرضوان الأكـبر» أو الفردوس الأعلى من الجنـة يسمى فى السنسكريتية (مُكت).

والمُكت على ثلاثة أنواع عندهم:

الأول: (جوان مُكت Jivan Mukt) أو الخلاص فى الدنيا، وطبقًـا لما يعتقده الهنود، فـ (الجوان مُكت) يعنى تحقق الخلاص والحـرية، عن طريق التحقق بمعرفة الله تعـالى وإدراك الحقـيقـة، أى رؤية كل شىء على أنه واحـد بالنسبـة إلى الله تعالى، وليس بالنسبة للشخص نفسه، فكل أفعال الإنسان، وتصرفاته، وحركاته، وسكناته، وسلوكه، سواء أكان حسنًا أم سيئًا، تعتبر مع جميع الموجودات الأخرى شيئًا واحدًا فى تماثل كامل مع الحقيقة الإلهية.

وفوق ذلك عليـه أن يعتبر أن الحق قد أظـهر نفسه فى كل الموجـودات كما ينبغى أن يعتـبر براهماند Brahmand - الذى يسميـه الصوفية المسلمـون «العالم الأكبر» - الصورة التامة أو التـجلى التام للحق، أى كما لو كانت الصورة الظاهرة للحق Coporeal.

وعليه أن ينظر إلى «العنصر الأعظم» - المسمى (مها أكاسا Maha AAkasa) على أنه سوكام سرير Suckma sarira) ، أى بمثابة البدن اللطيف للحق، وأن يعتبر ذات الله هى الروح لهـذا البدن، ويعـتبر الكـل ذاتًا واحدة ولا يتأمـل ولا يعرف سوى ذاته الأحدية التى لا مثيل لها فى عالم الظهور أو الخفاء.

---

(١) وهذه الكلمة تحمل معنى الصفاء المطلق.

وكما أن الإنسان يطلق عليه / (العــالم الأصغر) وهو فرد واحد على الرغم من كونه مـركبًا من عـدد لا حصر له من الجـوارح والأعضاء، ويبـقى شخصـية واحدة، ليست مـتكثرة، بناء على تكثر أعضائهـا فكذلك الذات الأحدية لا تتكثر بتكثر تعيناتها التى لا حد لها.

ثم يسوق الأمـير شـعرًا: «الوجـود كله بأرواحه وأبدانه ذات واحـدة تسمى العالم» .

(ويسوق رباعية شعرية Quatrain للشيخ سعد الدين الحمومى[1] ت ٦٥٠).

وكذلك يرى موحدو الهنود مـثل فياسا Vyasa وآخـرين (براهمند) على أنه (العــالم الأكـبر) وهو ذات واحــدة فـردة، ووصفـوا كـذلك جـوارح أو أعضــاء (براهمند)، وسبب هذا الوصف أن الصوفى الخالص عندما تقع عينه على أى شىء يدرك أنه ينظر إلى مظهر خـاص من تجليات ماهابورا Mahapurusha، أى: ذات الحق سبحانه وتعالى.

* * *

(١) لسعد الدين الحمـوى بحوث صوفية كثيرة مكتوبة بـالفارسية، مجموعة فى كتـابه (كشف الحقائق)، انظر (فهرس المخطوطات الفارسية للجمعية الأسيوية A.S.B.

الفصل الخامس

تعريف وجيز بأسفار العهدين

١ - العهد القديم

٢ - العهد الجديد

لا ريب أن الحديث عن سَنَد «الـكتاب المقدس!!» ومَتنه يقتضـينا أن نعرِّف تعريفًا وجيزًا بأسفار هذا الكتاب بعهديه: القديم والجديد. . .، ونأمل أن نكون قد تمكنا من ذلك فى هذه العجالة المركزة.

أولا: أسفار العهد القديم[1]: Old Testament

يؤمن اليهود ـ على اختلاف بين فرقهم ـ بأسفار «العهد القديم» ويزعمون أن هذه الأسفار قـد وصلت إليهم بواسطة أنبيائـهم الذين بعثوا إليهم قـبل عيسى ابن مريم عليه السلام، فـهى عندهم وحىٌ وتنزيل، يستمدون منها عقيـدتهم وشريعتهم ونظمهم وأخلاقهم، ويستندون إليها فى معرفة تاريخهم وأيامهم.

ويتكون العـهـد القـديم من تسـعـة وثلاثين كـتـابًا أو سـفـرًا حـسب رأى البروتستانت؛ يقسّمها علماء الأديان إلى أربع مجموعات[2] هى:

---

(١) يراد بكلمة العـهـد Testament: الميثـاق، أى أن هذه الأسفار تمثل مـيثاقـا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معـه سبحانه، وهذه التسـمية (العهد القـديم) قد أطلقت على مجموعـة الأسفار النصرانية التى اعتـمدها النصارى لأنفسهم من بين عشرات الكتب التى وضـعت وزعم لها القداسة والعصمة، وقد أطلق النصارى على أسفارهم الخاصة بالعصر المسيحى: «العهد الجديد New Testament»، أى: الميثاق الذى واثق الله به الناس فى العهد العيسوى.

(٢) يقسم علماء دائرة المعـارف البريطانية Encyclopeadea Britanica أسفار العـهد القديم إلى ثلاث مجموعات فحسب، وذلك طبقًا للتقاليد اليهودية، وهذه الأقسام كما يلى:

(أ) التوراة Torah أى الشريعة أو القانون Law ويطلقون عليها Pentateuch

(ب) أسفار الأنبياء Prophets وهى تضم بعض الأسفار التاريخية التى تكمل قصة بنى إسرائيل فى الأرض الموعودة (فلسطين)، وتأسيس دولتهم التاريخية ونحوها.

(جـ) المجمـوعة الثالثة ويطلق عليـها The Haigiographa أو المكتـوبات The writings وهى تسجل بعض التقـاليد الإسرائيلية والوقائع التاريخـية وقصة تفلتهم من الشريعة وتـنكبهم صراطها المستقيم إلى الوثنيات المنتشرة حولهم آنئذٍ . . .إلخ.

جاء فى دائرة المعارف البريطانية جـ٣ صـ ٥٧١ طبعة ١٩٦٧م مايلى:

(Traditionally, the Jews have divided the scriptures into three parts: the Pentateuch, the Prophets, and the Haigagha).

=

١ ـ **المجموعة الأولى**: التوراة[1]، أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وتسمى: البنتاتيك، Pentateuch وهى كما يلى:

١ ـ سفر التكوين، ويسمى سفر الخليقة أيضًا	(Genesis)
٢ ـ سفر الخروج	(Exodus)
٣ ـ سفر الأحبار، ويسمى سفر اللاويين أيضا.	(Leviticus)
٤ ـ سفر العدد.	(Numbers)
٥ ـ سفر التثنية أو الاستثناء.	(Deuteronomy)

وبالنظر إلى مضمون هذه الأسفار الخمسة نرى أن سفر التكوين يقص ـ كما هو واضح من اسمه ـ قصة خلق العالم، وبناء السماء والأرض، ونشأة الإنسان الأول: آدم وحواء، ثم قصة نوح والطوفان وأبناء سام بن نوح؛ وهو الذى ينتمى إليه الإسرائيليون، وقصة إبراهيم وابنيه عليهم السلام، وقصة يعقوب الملقب بإسرائيل وأبنائه الاثنى عشر (أسباط بنى إسرائيل) ورحيلهم إلى مصر حيث دعاهم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كما يضم هذا السفر بعض الإشارات إلى قضايا جزئية متناثرة.

= والواقع أن كثيراً من العلماء المتخصصين يأخذون بالتقليد اليهودي فى تقسيم أسفارهم إلى ثلاث مجموعات مثل:

- B.S. Childs, Introduction to the Old Testament as Scripture, SCM Press, London.
- Andre Robert Guide to the Bible, 2 vol. 1951 - 1955.
- John Joseph Laux, Introduction to Bible, 1932.
- Henru Daniel - Ropes, what is the Bible? 1958.
- Erust wurtheain, The Text of Old testament, 1957.
- W. Owen Cole: six Religionsin the Twentieth century, G. Britain 1984.

(١) والتوراة لفظ عبرانى بمعنى: التعليم والشريعة راجع: «قاموس الكتاب المقدس» الدكتور فرنسيس دافيدسن، وانظر كذلك: قاموس الكتاب المقدس، تأليف جماعة من اللاهوتيين بإشراف الدكتور بطرس عبدالملك والدكتور جون طمسون، وانظر:

- James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963.
- Curt Kuha, The old Testament, its Original Composition, 1961.

ـ ويعرض سفر الخروج تاريخ بنى إسرائيل فى مصر، وقصة أعظم رسلهم موسى عليه السلام، ودعوته فرعون إلى توحيد الله، وخروجه مع بنى إسرائيل[1] من مصر قاصدين أرض فلسطين، وعصيانهم إياه وتمردهم عليه وعلى أخيه هارون، وفيه قصة عبورهم البحر وانفلاقه ويبسه لهم وإغراق فرعون مصر فيه، والمن والسلوى وتظليل الغمام وتفجر المياه من الصخر لهم، وفيه وصف لتصليب رقابهم على موسى وعلى شريعة الله، وتهديد الله لهم . . . ثم قصة التيه الذى قضوه فى أرض سيناء واستمر أربعين سنة حرم الله عليم فيها دخول الأرض المقدسة[2] التى كانت مقصدهم وموعودهم من الله تعالى . . كما يحتوى هذا السفر على متفرقات من أحكام شريعة موسى عليه السلام.

ـ أمّا سفر التثنية[3]: فقد احتوى على الأحكام المتعلقة بمسائل العبادة وطقوسها خاصة مايتعلق بأحكام المعاملات والحروب والاقتصاد. . إلخ.

ـ وأمّا سفر اللاويين أو الأحبار: فقد احتوى على الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادة والذبائح والقرابين، وطقوس تقديمها، والمحرقات ودور الكهنة فى أداء رسومها وطقوسها، وأحكام المذبح، والمحّرمات من الذبائح . . إلخ.

واللاويون: هم نسل (لاوى) Levi أحد أبناء يعقوب؛ ومنهم موسى وهارون عليهما السلام، وقد كان اللاويّون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون الذبح والقرابين، وأحبار الشريعة الموسوية وكهنتها، وعلى الجملة فقد أناطت بهم التوراة مهام دينية رفيعة؛ ومن ثم سمى السفر باسمهم؛ وذلك لأنهم قد رجعوا من تلقاء أنفسهم إلى عبادة الرب بعد فتنة بنى إسرائيل بعبادة العجل ونقض عهد الرب؛ هذا،وقد كانت مكانة أبناء هارون أرفع من مكانة بقية أبناء لاوى.

ـ وسفر العدد قد شغل معظمه بإحصاءات لقبائل بنى إسرائيل ورؤوسهم وجيوشهم وأموالهم، وإحصاء مايمكن إحصاؤه مما يتعلق بهم، واحتوى السفر على طائفة غير يسيرة من شئون المعاملة والعبادة وما يتعلق بها من أحكام.

---

(١) ومن هنا سمى السفر: بالخروج Exodus

(٢) انظر الآية ٢٦ من سورة المائدة﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ . . ﴾.

(٣) يذكر أنه سمى التثنية؛ لأنه يعيد ويثنى ويكرّر التعاليم التى تلقّاها موسى عن ربه.

هذه هى الأسفار الخمسة التى تسمى «التوراة» وينسبها اليهود والنصارى إلى موسى عليه السلام، وهى تشكل المجموعة الأولى فحسب من مجموعات العهد القديم.

ب ـ المجموعة الثانية: الأسفار التاريخية، وهى اثنا عشر سفراً كما يلى:

١ ـ سفر يوشع[١] بن نون.	**(Joshua - Josue)**
٢ ـ سفر القضاة[٢].	**(Judges)**
٣ ـ سفر راعوث[٣].	**(Ruth)**
٤ ـ سفر صموئيل الأول[٤].	**(Samuel)**
٥ ـ سفر صموئيل الثانى.	
٦ ـ سفر الملوك الأول[٥].	**(Kings)**
٧ ـ سفر الملوك الثانى.	
٨ ـ سفر أخبار الأيام الأول[٦].	**(Chronicles)**
٩ ـ سفر أخبار الأيام الثانى.	

---

(١) هو خليفة موسى عليه السلام وفتاه، وهو الذى قاد الجيش الإسرائيلى ـ بعد موسى ـ فى إغارته على بلاد كنعان ودخولها.

(٢) أتى على إسرائيل حين من الدهر لم يكن لهم مُلْك أو سلطان؛ فحكم أو سير أمورهم فى هذه الفترة قضاتهم إلى أن عين لهم النبى صموئيل ملكا هو جالوت أو شاؤول وقصته واردة فى القرآن الكريم (البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٤٨، ٢٤٩ ـ ٢٥١)

(٣) راعوث جدة داود لأبيه.

(٤) أشرنا إليه فيما سبق على أنه أوّل من عينّ لهم ملكا.

(٥) هم الذين حكموا بعد القضاة وأولهم شاول أو طالوت ثم داود وسليمان . . إلخ.

(٦) يعرض السفران: شجرة نسب بنى إسرائيل، ثم تاريخ سليمان، ثم تاريخ إسرائيل لفترة ما بعد سليمان عليه السلام.

١٠ ـ سفر عزرا [١]. (Esdra - Esra)

١١ ـ سفر نحميا [٢]، ويسمى السفر الثانى لعزرا. (Nehmea)

١٢ سفر أستير [٣]. (Esther)

وموضوع هذه الأسـفار عرض تاريخ بنى إسرائيـل لفترة مابعد مـوسى عليه السلام، وقـصة حروبهم ودخولهم الأرض المـقدسة، واستـقرارهم بها، كمـا أنها تقصّ تاريخ قضاتهم وملوكهم، وأبرز أيامـهم وحوادثهم . . فهى قصة تاريخ بنى إسـرائيل فى هذه المرحلة كـما يظهـر ذلك من عنوان المجـموعـة، ومن النظر فى محتواها كذلك.

---

(١) عزرا شخصية إسرائيلية غريبة: . . إليه تُنسب التوراة الحالية أكثر مما تنسب إلى موسى كما يذكر الحبر اليهودى الذى أسلم: السّموأل بن يحـيى المغربى المتوفى سنة ٥٧٠هـ فى كتابه: «إفحام اليهود». وهو الذى ينسب إليه بناء بيت المقدس بعد أن خرّبها بخت نصرّ سنة ٥٨٦ق.م وقد رأت بعض فرق اليهود أنه ابن الله. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠) هذا وإن السّموأل يرى أن عزرا هذا ليس عزيراً المشار إليه فى الآية الكريمة، وعلى كل حال فهنالك رأى راجح بين العلماء يذهب إلى أن عزرا هذا هو عزرا الوراق أو عزرا هو سفيـر أى: الناسخ الذى أعاد كتابة التوراة بعد أن فقدت واندرست آثارها تمامًا، وكذلك كتابة بعض أسفار العهد القديم الأخرى، وسنفصل القول فى ذلك إن شاء الله.

(٢) نحميا كان معاونًا لعزرا، ويطلق على سفره هذا سفر عزرا الثانى.

(٣) هى امرأة يهـودية كانت زوجة لأحد ملوك فـارس، وقد استطاعت أن تحبط مؤامرة دبرها وزير الملك ضد اليـهود بمساعـدة إسرائيلى يدعى مـردخاى، والسفـر عبارة عن قـصة دراميـة لهذه الواقعة. . ويسمى سفر أستير ومـردخاى، ويلاحظ أن العلامة رحمة الله الهندى الكيرانوى المتوفى سنة ١٣٠٨هـ ـ ١٨٩١م صاحب كـتاب: «إظهار الحق» قـد أسقط (سفر أسـتير) من قـوائمه التى ذكرها فى صفحة ٩٦ جـ ١ طبـعة قطر بتحقيق عمر الدسوقى؛ هذا واليهـود والنصارى ـ حتى فرقة البروتستانت ـ يسـمونه إلهاميًا، ويعتبرونه قـانونيًا، انظر مثلا طبعة البروتسـتانت لكتابهم المقدس لسنة ١٩٨٠م بالقـاهرة تجد أن هذا السـفـر يشغل من ص ٧٧٩ ـ ص ٧٩٣، ويحـتوى على عـشرة إصحاحات أو فصول.

جـ ـ المجموعة الثالثة : الأسفار الشعرية، أو أسفار الأناشيد، وعددها خمسة أسفار، هي:

١ ـ سفر أيوب : (Job)

٢ ـ مزامير داود : (Psalms)

٣ ـ أمثال سليمان : (Proverbs)

٤ ـ الجامعة من كلام سليمان : (Song of Solomon)

٥ ـ نشيد الإنشاد لسليمان : (Conticle of Canticle)

وموضوع هذه الأسفار مواعظ وأناشيد بعضها دينى، وبعضها غزلى فاحش، وهى مصوغة صياغة منظومة.

د ـ المجموعة الرابعة: أسفار الأنبياء، وعددها سبعة عشر سفراً، وهى:

١ ـ سفر أشعياء: (Isaiah- Isaias)

٢ ـ سفر أرمياء: (Jerermias Jermiah)

٣ ـ سفر مراثى أرمياء: (Lamentaions)

٤ ـ سفر حزقيال: (Ezechiel - Ezekiel)

٥ ـ سفر دانيال: (Daniel)

٦ ـ سفر هوشع: (Hosea - Osee)

٧ ـ سفر يوئيل: (Joel)

٨ ـ سفر عاموس: (Amos)

٩ ـ سفر عوبديا: (Obadiah - Abadias)

١٠ ـ سفر يونان: (Jonah - Jonas)

١١ ـ سفر ميخا: (Micah - Micheas)

١٢ ـ سفر ناحوم: (Nahum)

١٣ ـ سفر حبقوق: (Habacuc - Habakkuk)

١٤ ـ سفر صُفُنيا: (Zephaniah Sophonias)

١٥ ـ سفر حجاى: (Haggai Aggeus)

١٦ ـ سفر زكريا: (Zechariah)

١٧ ـ سفر ملاخيا أو ملاخي: (Malachi)

هذه الأسفار التسعة والثلاثون تشكل مايسمى بالعهد القديم طبقًا للأصل العبراني، وهي التي ارتضاها جمهور البروتستانت من النصارى، وهنالك مجموعة أسفار يهودية أخرى تسمى: «الأسفار الخفية» Apocrypha بعضها زادت به الترجمة اليونانية السبعينية[1] عن الأصل العبري؛ وأقرّ بها ـ من بعد الكاثوليك، وأقرّ ببعضها الأرثوذكس.

---

(١) والترجمة السبعينية اليونانية تعد أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم من نسختها الأصلية العبرية إلى اللغة اليونانية السائدة في مصر آنئذ، وهي قد تمت في الإسكندرية بأمر من الحاكم بطليموس فيلادلف سنة ٢٨٢ ق.م ـ ٢٨٣ ق.م، وسميت سبعينية لأنه قام بها سبعون أو اثنان وسبعون حبرا يهوديًا، وننقل هنا ماساقه البطريرك أفتشيوس الملقب بسعيد بن البطريق المتوفى ٣٢٨هـ والذي شغل كرسي البطريركية في الإسكندرية سنة ٣٢١ هـ في كتابه المسمى: «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» ص ٨٥ جـ ١ من نشرة الأب اليسوعي لويس شيخو في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م، جاء فيه:

«.. وفي العشرين سنة من ملكه (بطليموس) بعث إلى أورشليم، فشخص منها سبعين رجلا من اليهود إلى الإسكندرية، وأمرهم أن يفسروا له التوراة وكتب الأنبياء من العبرانية إلى اليونانية، وصير كل واحد منهم في بيت على حدة وحده؛ لينظر كيف يكون تفسير (ترجمة) كل واحد منهم، فلما فسروا الكتب نظروا إلى تفاسيرهم فكان التفسير واحدًا ليس فيه اختلاف، فجمع الكتب وضمها تحت خاتمه وصيرها في هيكل صنم يقال له سرابيون».

وانظر قصة هذه الترجمة السبعينية في كتاب جريجوريوس المعروف بابن العبري: «تاريخ مختصر الدول» صـ ٩٨ ـ ١٠٠ نشرة الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد بيروت. ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ويطلق على هذه الترجمة Septuagint واختصاراً (LXX) انظر صـ ٥٧٩ جـ ٣ من دائرة المعارف البريطانية.

وبالرغم من كلام ابن البطريق هذا فإن النسخة السبعينية لم تكن مطابقة للأصل العبري تمامًا، بل زادت عليه أسفارًا، ولم يلتزم التراجمة الدقة في النقل، انظر دائرة المعارف البريطانية صـ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ جـ ٣، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٦٨ (بإشراف الدكتور جون طمسون): ويوجد في الترجمة السبعينية أسفار لم تجمع ضمن أسفار العهد القديم العبرية وهذه الأسفار تعرف بلابوكريفا». وانظر للدكتورة سلوى ناظم: (الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة (بدون بيانات).

والأسفار التى زادت بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبرى هى:

١ ـ سفر طوبيا (Tobias)

٢ ـ سفر الحكمة (Wisdom)

٣ ـ سفر المكابيين الأول (Machabees)

٤ ـ سفر المكابيين الثانى.

٥ ـ سفر المكابيين الثالث.

٦ ـ سفر المكابيين الرابع.

٧ ـ سفر يهوديت (Judith)

٨ ـ سفر الكهنوت أو سفر الحكمة ويسمى إيكليزيا سيتكس: (Ecclesiasticys) لعيسى بن سيراخ.

٩ ـ نشيد الأطفال الثلاثة.

١٠ ـ سفر سوزان.

١١ ـ سفر بل والتنين.

١٢ ـ أسفار ثلاثة منسوبة إلى عزرا.

١٣ ـ بعض الزيادات فى سفر دانيال(١).

---

(١) سفر طوبيا عبارة عن سيرة رجل يدعى طوبيا وابنه كانا أسيرين فى نينوى فى القرن السابع قبل الميلاد.

ـ سفر الحكمة يتضمن أمثالا وحكما وينسب إلى سليمان.

ـ والمكابيون هم الحكام الوطنيون الذين حكموا فلسطين زمان الرومان فى القرن الثانى قبل الميلاد، وأخذ اسمهم من شعارهم الذى كانوا يكبرون به فى الحرب.

ـ ويهوديت امرأة أرملة غنية تقية ساعدت الجيش اليهودى فى الانتصار على الجيش الآشورى.

وسفر الكهنوت مجموعة أمثال ـ ونشيد الفتية أو الأطفال هى الكلمات التى قد سبح بها أصدقاء دانيال عندما قذف بهم فى أتون النار.

ـ وسفر سوزان يحكى قصة امرأة عفيفة اتهمت زوراً وبرأها القاضى العادل.

ـ و«بل والتنين» قصة ألحقت بسفر دانيال توضح كيف اقتنع كورش الملك الفارسى ببطلان عبادة الأصنام.

انظر للدكتور على عبدالواحد وافى: الأسفار المقدسة صـ ٢٠، طبعة ثانية، نهضة مصر بالقاهرة.

ويطلق اليـهود على الأسفـار التى تزيد بها التـرجمة السـبعيـنية عن الأصل العبرى، وعـلى أسفار أخرى غيـرها: «الأسفار الخفـية» وهى لاتدخل عندهم فى العهـد القديم وإن كان بعـضهـا ـ رغم أنه خفى[1] ـ مقدسا معـتمدًا عند الأحبار والربانيين[2].

ونشير هنا إلى أن الفـرقة السامرية[3] ـ من اليهـود ـ لاتسلم من بين جـميع هذه الأسفار ـ الخفى منها وغير الخفى ـ غيـر سبعة أسفار فقط وترد الباقى، وتراه مـحرفًـا أو موضـوعًا، والكتـب التى يعتـمدها الـسامـريون هى: التوراة ويشـوع

---

(١) ولسبب مـا قرر أحبارهم إخفـاء بعض هذه الأسفار التى يرون أنهـا مقدسة عند الجـمهور وعدم إدراجها فى العـهـد القديم؛ ولقد كشـف القرآن الكريم هذه الظاهرة اليـهـودية الخطيرة، فقال عز من قائل:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وكلمة Apocrypha : أى الخـفى أو المنحـول المزور تخـتـلف ـ عند إطلاقـهـا ـ بين اليـهـود والنصارى؛ فالسفر عند اليـهود يصح أن يكون خفيًا ومقدسًا، أما عند النصارى فـالسفر الخفى غير مقدس ولا مسلم، ولاموحى به مثل أسفار: طوبيا، ويهوديت، والمقابيين الأول والثانى، وباروخ، وإيكليزيا ستيكس، والحكمة عند جـمهور البروتستانت، انظر The Forgotten Books of Eden, New York, 1974.

وانظر دائرة المعـارف البريطـانية جـ ٣ ص ٤٧٣، وقـارن الدكتـور على وافى، مـصدر سـابق ص٢٤.

(٢) الربانيون هم أحبار الفـريسـيين وهى أكبر وأخطر فرق اليهـود، وهم الذين وضعوا التلمود متنًا وشروحًا.

(٣) انقسم بنو إسـرائيل بعد مـوت سليمان عليـه السلام على أنفـسـهم إلى جمـاعتين جمـاعة العبرانـيين، وجماعة السامـريين، تضم الأولى يهوذا وبنيامين وبعض بنى لاوى . . وتضم الـثانية بقية الأسباط.

ومما يجدر ذكره أن مكتبة دار الأنصار بالقاهرة قـد نشرت منذ خمس سنوات تقريبا نص نسخة عربية لـ(التوراة السامرية) مما ييسر المقارنة بينها وبين النسخ الأخرى.

والقضاة. ويرون أن السفرين الأخيرين تاريخيان فحسب، ويوافقهم على ذلك من العبـرانيين الصدوقيون، كـما أن نص الأسفار السـامرية يخالف مخـالفة بينة نص النسخـة العبرية، كمـا يخالف نص السبعـينية فى مواضع لاتحصى كـثرة؛ ومن ثم يمكن القول بأن هذه النسخ الثـلاث من العهد القديم لاتتطابق ألبتـة سواء فى عدد الأسـفار أو فى مـحتـوى هذه الأسفـار، ويتهم عـلماء كل فـرقة منهم الآخـرين بالتحريف أو الوضع.

ثم ترجمت أسفار العهد القديم من اليـونانية والعبرية إلى اللاتينية القديمة (١) ترجمـة لاتتطابق مع الأصل اليونـانى أو العبرى؛ سـواء فى عدد الأسـفار أو فى المحتـوي، فقـد اشتـملت هذه التـرجمـة على سفـرين اثنين من أسفـار المكابيين الأربعة، وحذف منها أسفار عزرا الثـلاثة، وزادت سفر باروخ، كما اشتملت على بعض زيادات سفر أستير؛ فهى ترجمة وتنقيح وتغيير للنسـخة السبعينية.

(١) يظهـر من كتابات (تـرتوليان) و(كـبريان) أنه قد ظـهرت خلال القـرنين الثانى والـثالث الميلاديين ترجمـتان لاتينيتان للكتاب المقـدس، واحدة فى شـمال أفريقيـا والأخرى فى إيطاليا؛ مما أوجد خلطًا وتضـاربًا وارتباكًا بين الترجـمتين، وقد كلف البابا ديموسـوس الأول «جيروم» St. Jerome ٣٤٧م - ٤٢٠ بتنقيح نسخـة قياسية مـعتمدة، وقد أنجـز جيروم هذه المهمـة فى عشرين سنة (٤٠٤م) وسميت هذه النسخة اللاتينية: Vulgate

انظر ص ٥٨٠ جـ ٣ من دائرة المعارف البريطانية، وانظر ص ٧٧٠ من قـاموس الكتاب المقدس (د. طمسون) وللتوسع فى معرفة نسخة «الفولجات» انظر:

- Werner, Georg Kummel, Introduction to the NT, pp. 534 - 536, Abington. 1975

وانظر Brucem. Metzger, The Text of the nt: its: Trans mission Corruption, and Restoration, pp. 75 0 79.

وانظر: R. F Collins, Introduction to the NT. p. 88 - 89, SCM Press London, 1983.

وقد جاء فى المرجع الأخـير: أما نسخة الفـولجاتا التى ترجمهـا القديس جيروم، فأقـدم نسخة خطية وجدت لها ترجع إلى سنة ٧٣١م، وكانت قـد أهديت إلى البابا جريجورى الثانى .. يعنى أن هذه المخطوطة قد دونت بعد كتابة أصلها بثلاثة قرون ونصف تقريبًا!!.

ثانيا: أسفار العهد الجديد New Testament

يؤمن نصارى الكاثوليك الروم، والأرثوذكس بما جاء في الترجمتين: اللاتينية القديمة واليونانية مع اختلاف طفيف بينهم فى عدد الأسفار التى لايقدسها الأرثوذكس ويشكون فيها، ويسلمها الروم الكاثوليك وهى: أسفار باروخ والمقابيين الأول والثانى فقط، وبهذا يسلم الكاثوليك ستة وأربعين سفرا من العهد القديم.

أما البروتستانت فإنهم لايسلمون سبعة أسفار من بين أسفار العهد القديم الذى يؤمن به الكاثوليك، هى: أسفار طوبيا، ويهوديت، والحكمة، وباروخ، والمقابيين الأول والثانى وكهنوت عيسى بن سيراخ المسمى إيكليزيا استيكس.

أى أن البروتستانت يقدسون الأصل العبرى مع بعض الاختلاف - وليس الترجمة السبعينية أو اللاتينية؛ لأن هذه الأسفار السبعة المردودة من ضمن الأسفار التى زادت بها كل من السبعينية واللاتينية على العبرية.

ويقدس النصارى جميعًا - إلى جانب أسفار العهد القديم طبقًا للتفصيل السابق - أسفارهم الخاصة بهم، ويطلقون عليها « العهد الجديد[1]». ويتكون العهد الجديد من «سبعة وعشرين» [2] سفراً أقرها علماء النصارى من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها[3]، فى القرن الخامس الميلادى، وهو - كما ترى - وقت متأخر جدًّا جدًّا. !!

---

(١) أى: الميثاق الجديد الذى أخذه الله على الناس فى زمان عيسى عليه السلام.

(٢) يلاحظ أن أسفار العهد الجديد أقل عدداً وأصغر حجمًا من أسفار العهد القديم فهى تشغل فى طبعة ١٩٧٠ للبروتستانت بالقاهرة ٤٢٢ صحيفة فقط، وفى نفس الطبعة يشغل العهد القديم ١٣٥٨ صحيفة، أى أن أسفار العهد القديم تغطى ثلاثة أرباع الكتاب المقدس Bible !! الذى يقدسه النصارى جميعًا.

(٣) «تصل هذه الكتب التى كتب بعضها فى وقت سابق عن الكتب التى أقرتها الكنيسة - إلى عدة عشرات، وقد اكتشفت فى سنة ١٩٤٥م في نجع حمادى فى صعيد مصر لفائف مخطوطة تشكل مكتبة متكاملة تحتوى على كثير من النصوص الكاملة لهذه الكتب التى لم تعترف بها الكنيسة».

«واعتبرتها غير قانونية، وقد ترجمت هذه اللفائف المخطوطة من اللغتين القبطية واليونانية إلى اللغة الإنجليزية، ونشرت فى كتاب ضخم بعنوان: The NAG Hammadi Libraryin EngLish وقد أشرف عليه James M. Robinson ، وكان نشره على نطاق واسع منذ سنة ١٩٧٨م فى دار نشر =

=Harper, ويضم الكتاب أناجيل منسوبة إلى بولس وتوماس وجيمس، ويوحنا، وفيليب، وإنجيل المصريين، ورسائل أعمال الرسل الاثنى عشر، وكتب رؤيا لبولس وجيمس، ويضم رسائل وأسفاراً أخرى تحمل قيمة تاريخية عظيمة جداً،

وهنالك مرجع آخر يضم كثيراً من هذه الكتب التى لم تقرها الكنيسة وهو:

The Lost Books of the Bible and the Forgatton of Eden وقد نشر الكتاب Maridian فى (USA) فى عدة طبعات منذ ١٩٢٦ ـ ١٩٧٤م.

ولهذا الكتاب قيمة علمية عظيمة، وهو يشكل مع سابقه مكتبة متكاملة عظيمة الفائدة للدراسات المقارنة».

«وقد احتوى الكتاب الثانى على مجموعة نادرة من هذه النصوص التى كانت مقدسة عند بعض طوائف النصارى فى القرون الثلاثة الأولى للديانة المسيحية، ولم تعترف بها المجامع النصرانية التى أقرتها الكتب؛ ورفضت بقية الأسفار، وأمرت بإحراقها وإعدامها، وتعقبها وتشددت فى ذلك الأمر، وعنفت جداً. انظر المقدمة التى كتبها الدكتور Frank Grane عن هذه المجموعة فى صدر هذا الكتاب القيم».

«ومن أبرز علماء النصارى القدماء الذين أوردوا قوائم أو فهارس للأسفار القانونية المعتمدة ـ على اختلاف بينهم فى هذه القوائم المسلمة المقبولة ـ وقد كانت هذه الفهارس المستند الوحيد للكنيسة ـ إلى جانب الرغبة فى رعاية أمور معينة ـ الذى عولت عليه واعتمدته فى القبول أو الرد والرفض. ومما يشار إليه أن بعض هذه الفهارس جمعت أسفار العهدين. وبعضها كرس لسرد أسفار العهد الجديد وحده. من أشهر هؤلاء العلماء وأبرزهم:

أوريجن (Orign) (سنة ٢١٠م) وهو قد بذل جهداً كبيراً فى التعرف على هذه الأسفار المقبولة؛ وهو يعد من أقدم علماء النصرانية وآبائها الموثوقين المعتمدين وهو قد درس الفلسفة على أستاذه (كليمان) وتعلم فى المدرسة الوثنية على أمونيوس ساكاس أحد مؤسسى الأفلاطونية الحديثة، وتعرف على أفلوطين ودرسا معاً، وقد حرمته الكنيسة وحظرت تعاليمه بسبب خروجه عن تعاليمها، ثم شرح الكتب المقدسة فى فلسطين (انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٧٤ ـ ٢٨٤)، وانظر (إيساغوجى: فرفريوس الصورى، للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى، القاهرة ٣٧١ هـ ١٩٥٢).

ومنهم يوسيبوس Eusebius (٣١٥م)، وأثنا سيوس Athanasius (٣١٥م) بطريرك الإسكندرية، ومنهم سرل Cyril بطريرك القدس (٣٤٠م)، وقائمة علماء مجمع لوديسيا Laodicea سنة ٣٦٤م، ومنهم إيفانيوس بطريرك قبرص Epiphanius سنة ٣٧٠م، ومنهم بطريرك القسطنطينية جريجورى النازيانزى سنة ٣٧٣م، ومنهم كذلك فلاستاريوس Philastarius بطريرك فينيسيا سنة ٣٨٠م، ومنهم عالمهم المعروف جيروم Jerome سنة ٣٨٢م، ومن بينهم روفائين Ruffin سنة ٣٩٠م، ومنهم =

وتنقسم هذه الأسفار إلى أربعة مجموعات كما يلى:

أ ـ الأناجيل [1] الأربعة Gospels

١ ـ إنجيل متى [2]: St. Mattaw

= كذلك عالمهم أوغسطين بطريرك Hippo فى أفريقيا سنة ٣٩٤م، وهو قد رأس مجمع قرطاجنة Carthage الثالث الذى حضره أربعة وأربعون بطريركًا، وكذلك القائمة التي وجدت فى أعمال نسبت إلى ديونيسيوس الأرباغى سنة ٣٩٠م.

Dionysius the Areopagite

انظر: The Lost Books of the Bible

(١) يذكر العلامة رحمة الله الهندى فى كتابه: إظهار الحق جـ ١ ص٩٧: أن لفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازًا على مجموع كتب العهد الجديد (مثلما نطلق كلمة «التوراة» مجازًا على جميع كتب العهد القديم)، وهذا اللفظ معرب كان فى الأصل اليونانى «إنكليون» بمعنى البشارة والتعليم ١.هـ.

أو لفظه اليونانى: «إيفانجليوس» ولفظه القبطى: «إيفانجليون» معنى البشرى أو الخبر السار المفرح، وهى تعنى عند النصارى: البشرى بموت المسيح عليه السلام على الصليب!! ـ بزعمهم ـ كفارة عن المذنبين والخطاة، وهذا خطأ فاحش وتحريف وتزييف .. وإن كان هنالك وجه لتعليل التسمية فيقال: إنه بشرى للناس لأنه بشر بقرب بعثه سيدنا محمد ﷺ فى أكثر من موضع.

قارن: التذليل الملحق بالترجمة التفسيرية للإنجيل، توزيع دار الثقافة بمصر ١٩٨٣م.

وقارن: «مقالة يحيى بن عدى من كبار علماء النصارى اليعاقبة فى إثبات صدق الإنجيل عن طريق القياس والبرهان»، ومقالة: فى اختلاف لفظ الأناجيل ومعانيها، له نشرهما القس بولس سباط فى كتابه: «مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية» ص ١٦٨ ـ ١٧٢ طبعة ١٩٢٩م وقارن كذلك رسالة أيشوعاب بن المذكور. و«محمد فى الكتاب المقدس» ص ١٣٩، تأليف عبدالأسد داود، ترجمة فهمى شما، طبعة قطر، ١٤٠٥هـ.

(٢) يرى النصارى أن هذه الأناجيل موحى بها من الله.. جاء فى صدر الترجمة التفسيرية للأناجيل ١٩٨٣م مايلى:

«شاء الروح القدس فى القرن الأول للميلاد أن يوحى إلى أربعة رجال أن يدونوا الإنجيل؛ فتولى كل منهم التركيز على جانب معين من جوانب حياة يسوع وشخصيته الفريدة».

فالإنجيل الذي دونه متى يركز على نسب المسيح، وأن المسيح هو الملك الذى كان اليهود ينتظرونه، ولكنهم لما جاء رفضوه وصلبوه، مع أنه هو ابن داود الذي تمت به نبوات العهد القديم، وأنه ابن إبراهيم الآتى بالبركة للأمم جميعًا ... وهو بانى كنيسة الرب التى افتداها بدمه والتى لاتقوى عليها قوات الجحيم.

ويتضمن هذا الإنجيل نخبة من تعاليم يسوع، ولاسيما مايختص منها بملكوت السموات، =

٢ ـ إنجيل مرقس [1]: St. Mark

٣ ـ إنجيل لوقا[2]: St. Luke

٤ ـ إنجيل يوحنا[3]: St. John

ب ـ أعمال الرسل وهو سفر واحد ينسب إلى «لوقا» صاحب الإنجيل.

جـ ـ الرسائل المقدسة Episles وهي إحدى وعشرون رسالة منها أربع عشرة رسالة كتبها بولس، كما يلي:

١ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية Romans

٢ ـ رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس Corinthians

٣ ـ رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس

٤ ـ رسالته إلى أهل غلاطية Galatians

= فيكشف أسراره عن طريق الأمثال، ويبين ماسيحدث فى نهاية العالم، وعند رجوع المسيح ملكا ممجدًا، . . وينتهى بالحديث عن آلام المسيح، وموته، وقيامته» (الترجمة التفسيرية) وعدد إصحاحات هذا الإنجيل ثمانية عشر إصحاحًا.

(١) يركز إنجيل مرقس على معجزات المسيح أكثر من تركيزه على تعاليمه، وينتهى هذا الإنجيل إلى الحديث عن نهاية العالم، وماسيحدث عند رجوع المسيح، ثم يسرد الأحداث المتعلقة بآلام المسيح وموته وقيامته وصعوده إلى المجد، ويؤكد على مساندة المسيح لتلاميذه فيما ينشرون البشارة فى العالم أجمع وعدد إصحاحات هذا الإنجيل ستة عشر، انظر: نفس المصدر ص٤٥.

(٢) المسيح فى هذا الإنجيل هو ابن الإنسان مخلص العالم أجمع، وفيه يتولى لوقا الإلمام بكثير من التفاصيل حول حياة المسيح على الأرض، فينفرد بتدوين بعض الحقائق والأحداث والأمثال مركزًا على أن المسيح هو الإنسان الكامل . . وينطلق هذا الإنجيل من الحديث عن ولادة المسيح وطفولته إلى تتبع خدمته منذ بدايتها، وينتهى بالكلام على آلامه، وموته، وقيامته، وصعوده، ومما يلفت النظر أن لوقا يولى تعاليم المسيح بالأمثال اهتمامًا خاصًا» ص ٧٣ المصدر السابق، وعدد إصحاحات هذا الإنجيل أربعة وعشرون.

(٣) «يبدأ هذا الإنجيل بالكلام على أزلية المسيح، وتجسده، ويتتبع شهادته لليهود، ورفضهم له، وينتقل إلى سرد أحاديثه الخاصة إلى تلاميذه وصلاته لأجلهم، ثم ينتهى بالكلام على آلامه وصلبه وقيامته» ص ١٢٠ من المصدر السابق، وعدد إصحاحات هذا الإنجيل واحد وعشرون.

٥ ـ رسالته إلى أهل أفسس	Eph sians
٦ ـ رسالته إلى أهل فيلبى	Philippians
٧ ـ رسالته إلى أهل كولوسى	Colossians
٨ ـ رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى	Thessalonians
٩ ـ رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى	
١٠ ـ رسالته الأولى إلى تثيماوس	Temothy
١١ ـ رسالته الثانية إلى تثيماوس	
١٢ ـ رسالته إلى تيطس .	Titus
١٣ ـ رسالته إلى فيلمون	Philemon
١٤ ـ رسالته إلى العبرانيين	Hebrews

وتوضع هذه الرسالة الأخيرة الرابعة عشرة فى ذيل قائمة [١] رسائل بولس؛ لأن بعض علماء اللاهوت النصارى يتشككون فيها ولا يقرون بصحتها، جاء فى دائرة المعارف البريطانية:

The Episle to the Hebrews is still attributed to Paul by some students of the Bible

ومما يشار إليه فى هذا الصدد أن رسالة بولس هذه لم يقرها مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥م.

والرسائل السبع الباقية يطلق عليها «الرسائل الكاثوليكية» Catholic Episles، وهى كما يلى:

---

(١) تشكل قائمة رسائل بولس ثلث حجم العهد الجديد؛ فهى مسهبة مسرفة فى ذكر التفاصيل الفرعية، والاحتفال بفتات الحوادث ونتف الوقائع. انظر:

Wayne A. Meeks, the writings of st. Paul, New York, 1972. -

Sydney Cave, The Gospel of ST. Paul, London, 1928. -

١ ـ رسالة يعقوب James

٢ ـ رسالة بطرس الأولى Peter

٣ ـ رسالة بطرس الثانية

٤ ـ رسالة يوحنا الأولى John

٥ ـ وسالة يوحنا الثانية

٦ ـ رسالة يوحنا الثالثة

٧ ـ رسالة يهوذا Jude

د ـ سفر «رؤيا يوحنا»، ويطلق عليه كذلك: «مشاهدات يوحنا» أو الأبوكاليبس

Revelation to John, or Apocalpse

وهذا الترتيب الذى ذكرناه لأسفار العهد الجديد هو الوارد فى الطبعات الحديثة عند طائفة البروتستانت . . . ، ولقد نظرت فى أكثر من قائمة لهذه الأسفار[1] فرأيتها متباينة جدا فى ترتيبها. وأورد فيما يلى قرارى مجمعى (روما) برعاية البابا ديماسوس سنة ٣٨٢م و(ترنت) سنة ١٥٤٦م، ثم قائمة أسقف الإسكندرية أثناسيوس التى قدمها بمناسبة عيد الفصح سنة ٣٦٧م.

أولا: قرر مجمع روما لسنة ٣٨٢م أن تكون أسفار العهد الجديد على الترتيب التالى:

١ ـ الأناجيل وهى: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

٢ ـ ثم رسائل بولس الأربع عشرة.

٣ ـ ثم رؤيا يوحنا.

٤ ـ ثم أعمال الحواريين.

٥ ـ وأخيرا الرسائل الكاثوليكية أو الجامعة.

---

(١) انظر: R.F. Colins, Introduction to the NT, p1-3, London, 1983

ثانيا: قرر مجمع ترنت المنعقد سنة ١٥٤٦م أن تكون ترتيب الأسفار المعتمدة للعهد الجديد كما يلى:

١ ـ الأناجيل الأربعة؛ متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

٢ ـ سفر أعمال الحواريين.

٣ ـ رسائل بولس الأربع عشرة.

٤ ـ الرسائل الكاثوليكية.

٥ ـ سفر رؤيا يوحنا.

ثالثا: وأقدم قائمة بترتيب هذه الأسفار وهى التى أوردها الأسقف أثناسيوس أسقف الإسكندرية بمناسبة عيد الفصح سنة ٣٦٧م، وهى كما يلى:

١ ـ الأناجيل الأربعة؛ متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا.

٢ ـ سفر أعمال الحواريين.

٣ ـ الرسائل السبع الكاثوليكية.

٤ ـ رسائل بولس الأربع عشرة.

٥ ـ سفر رؤيا يوحنا.

كما أن الاختلاف بين هذه القوائم الثلاث فى ترتيب رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية عميق جداً، فلا تتفق اثنتان منهما على قائمة واحدة. والعامل الوحيد المعول عليه فى ترتيب هذه الأسفار عند علمائهم ومجامعهم هو أهميتها وقيمتها، وإن كان ذلك كذلك، فقد اتضح مدى اختلاف علمائهم حول قيمة هذه الأسفار وأهمية كل سفر منها .. وأنهم لايتفقون على رأى واحد يحدد قيمة كل سفر وأهميته.

هذه جملة أسفار العهدين: القديم والجديد، ومجموعهما يشكل ما يطلق عليه عندهم: الكتاب المقدس Bible

وقد يتصوّر القارئ الكريم أن هذه الكتب أو الأسفار قد اعتمدت ـ أى أصبحت قانونية مقدسة ـ دفعة واحدة، وفى قائمة واحدة من قبل علماء النصارى

وكنائسهم ومجامعهم، لكن الواقع غير ذلك: فقد انعقد مجلس علماء النصارى أو مجمـعهم المكسونى (العالمى) الأول ـ وهو أخطر اجتـماعاتهم على الإطلاق ـ سنة ٣٢٥م، تحت رعاية الإمبـراطور الرومانى قسطنطين فى مدينة (نيـقية) [١] فى آسيا الصغرى (تركيا)؛ لتحقيـق الأمر فى الكتب المشكوك فى قداستها؛ سواء تلك التى زادت بها التـرجمة السبـعينية على الأصل العبـرى، أو غيرها من أسفـار النصارى أنفسهم.

فقـرر هذا المجـمع وجوب تسليم سـفر (يهـوديت) فقط، ويظهـر ذلك من المقدمة التى كتبها جيروم [٢] St. Jerome على هذا السفر.

---

(١) يطلق على مدينة (نيقيه) Nikaia اليوم اسم «إزنيق» وهى بلدة صغيرة فى تركيـا، عقد فيها المجمع النصـرانى الأول سنة ٣٢٥م الذى لعن «آريوس» العالم النصرانى الموحد وحـرمه وطرده من حظيرة الكنيسة، ووضعت فيه (الأمانة) أو قانون الإيمان الخاص بالنصارى الذي أقر بألوهية عيسى، كما أقـر هذا المجمع عددا من الموضوعات منهـا اعتماد بعض الكتب المشكوك فى صحـتها . . . ثم عقـد مجمع آخر فى نيـقيه سنة ٧٨٧م لعن فـيه العلماء الذين حـاربوا عبادة الصور والتـماثيل فى الكنائس، وقد أصبحت هذه المدينة عاصمة للإمبراطورية البيزنطية ١٢٠٤ ـ ١٢٦١م.

وانظر خـبر هذا المجمع فى تـاريخ ابن البطريق جـ ١ ص ١٢٦، وانظره فى تاريخ ابن العـبرى ص١٣٦.

(٢) القديس جـيروم هو الذى ترجم الكتاب المقـدس من النسخة السبـعينية إلى اللغـة اللاتينية القديمة سنة ٤٠٤م، وسميت نسخته (Vulgate)، وكانت الكتاب المقدس الوحيد المعروف والمستخدم فى الكنائس الغربية فى العصور الوسطي، والتـرجمة التى أقرها مجمع (ترنت) Trent سنة ١٥٤٦م مأخـوذة عن Vulgate ، وهى أصـبحت الكـتاب الرسـمى Official Bible للكنيسـة الكاثوليكية الرومانية.

انظر: دائرة المعارف البريطانية حـ٣ ص٥٨٢ وقارن كذلك:

- Ray, and F. Collins. Introduction to the Testament. SCM, 1983.
- Hugh Pope, English Veraions of the Bible, 1952.
- E. A. Nida, God's word in man's Languages, 1952.
- R. Kilgour, The Bible throughput the world, 1939.

وظلت الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هى غير مسلمة من علماء مجمع نيقيه، إلى أن انعقد مجمع «لوديسيا» سنة ٣٦٤م فأقر حكم المجلس الأول وزاد عليه وجوب تسليم سبعة أسفار أخرى، هى:

١ ـ سفر أستير.

٢ ـ رسالة يعقوب.

٣ ـ رسالة بطرس الثانية.

٤ ـ رسالة بطرس الثالثة.

٥ ـ رسالة يوحنا الثالثة.

٦ ـ رسالة يهوذا.

٧ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين.

وقرر علماء هذا المجمع إبقاء سفر «رؤيا يوحنا» مشكوكًا فيه وغير مسلّم من الكنيسة.

ثم انعقد مجمع «قرطاج Carthage» سنة ٣٩٧م، وكان من جملة الحاضرين عالمهم المعروف «أكستاين» ومائة وستة وعشرون من كبار لاهوتييهم، وقد أقر هذا الاجتماع حكم المجالس السابقة بشأن الأسفار المقدسة المعتمدة والمشكوك فيها، وزاد عليها [1] وجوب تسليم سبعة أسفار أخرى هى:

١ ـ سفر الحكمة.

٢ ـ سفر طوبيا.

٣ ـ سفر باروخ.

٤ ـ سفر إيكليزيا ستيكس.

٥ ـ سفر المقابيين الأول.

---

(١) ولقد عاد مجمع قرطاج Carthage للانعقاد مرة أخرى سنة ٤١٩م برئاسة القديس أوغسطين St. Ougustine

٦ ـ سفر المقابيين الثانى.

٧ ـ سفر رؤيا يوحنا.

وقد عـد علماء هذا المجـمع سفـر «باروخ» جزءًا من سـفر «إرمـياء»؛ لأن باروخ قد كـان بمنزله نائب إرمياء وخليفـته، فلم يكتبـوا اسم باروخ على حدة فى فهرست أسماء الأسفار.

«فبـعد انعـقاد هذه المجـامع صارت هذه الكتب المـشكوك فيـها مسلـمة بين جمهور المسيحيين، وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين من وقت اعتمادها، إلى أن ظهرت فـرقة البروتستـانت، فردوا حكم هؤلاء الأسلاف فى باب: كـتاب باروخ، وكتاب طوبيـا، وكتاب يهوديت، وكتـاب وزدم، وكتاب إيكليزيا استـيكس وكتابى المقابيين».

وقالوا: إن هذه الكتب واجبة الرد، وغير مسلمة، وردوا حكمهم فى بعض أبواب كتاب أستير، وسلموا البعض؛ لأن هذا الكتاب كان ستة عشر بابًا، فقالوا: إن الأبواب التسعة من الأول وثلاث آيات من الباب العاشـر واجبة التسليم، وستة أبواب باقية واجبة الرد، وتمسكوا فى هذا الإنكار والرد بوجوه منها:

١ ـ أن هذه الأسـفـار كـانت فى الأصل فى اللغـة العـبـرانيـة والجـالدية، وغيرهما، ولاتوجد الآن فى تلك اللغات (يعنى قد فقدت أصولها وبقيت ترجماتها فحسب).

٢ ـ لأن علماء النصارى القـدماء لم يسلموها، وقد قال جيـروم بأنها ليست كافية لتـقرير المسائل الدينية وإثباتها، وصـرح (كلوس) بأن هذه الأسفار لاتقرأ فى كل موضع، وقد صرح (يوسيبوس) Eusebius (فى القرن الثانى الميلادى) بأن هذه الأسفار محرمة؛ سيما سفر المقابيين الثانى.

٣ ـ كما أن اليهود لايسلمونها الهامية[1].

ويعلق الشيخ رحمه الله على ذلك قائلا:

---

(١) «المناظرة الكبرى بين الشيخ رحـمة الله والدكتور القسيس فندر» ص ٤٢٢ بتحـقيق الدكتور محمد عبدالقادر خليل طبعة الرياض ١٤٠٥هـ.

«انظروا إلى هذه الوجوه . . كيف أقروا بعدم ديانة أسلافهم، وأن الوفًا منهم أجمعوا على أن الكتب التى فقدت أصولها وبقيت ترجماتها وكانت مردودة عند اليهود، وكانت محرفة سيما كتاب المقابيين الثانى، واجبة التسليم!!

فأى اعتبار لإجماعهم واتفاقهم على المخالف؟!![1]»

(١) «إظهار الحق» مصدر سابق ص١٠٠ جـ١ .

وإتمامًا للفائدة نذكر أن تقسيم نص الكتاب المقدس! إلى فصول (إصحاحات).

- الذى يبدو شائعًا اليوم - قد ظهر لأول مرة سنة ١٢٠٠م، وهو يرجع إلى أسقف كانتربرى Canterbury ستفن لانجتون (ت ١٢٢٨م). أما تقسيم الإصحاحات إلى عبارات مرقمة فهو يرجع إلى الناشر الباريسى روبرت ستيفنون، وظهر لأول مرة فى طبعة سنة ١٥٥١م» انظر: W.G. Kummel, Introduction to the N. T, P 517, Abengdon

ويرى محررو قاموس الكتاب المقدس (ص ٧٦٥) «أنه قد وقع كثير من الأخطاء في هذه التقسيمات مما جعلها لاتتناسب تمامًا مع المعنى الموجود فيها».

جدول

يضم قوائم أسفار العهد القديم المسلمة المعتمدة عند الروم الكاثوليك، والأسفار المعتمدة عند الأرثوذكس، والبروتستانت، واليهود العبرانيين.

اليهود العبريون	الروم الكاثوليك	الأرثوذكس	البروتستانت
سفر التكوين	سفر التكوين	سفر التكوين	سفر التكوين
سفر الخروج	سفر الخروج	سفر الخروج	سفر الخروج
سفر اللاويين	سفر اللاويين	سفر اللاويين	سفر اللاويين
سفر العدد	سفر العدد	سفر العدد	سفر العدد
سفر التثنية	سفر التثنية	سفر التثنية	سفر التثنية
سفر يوشع	سفر يوشع	سفر يوشع	سفر يوشع
سفر القضاة	سفر القضاة	سفر القضاة	سفر القضاة
سفر راعوث	سفر راعوث	سفر راعوث	سفر راعوث
سفر صموئيل	سفر الملوك الأول	سفر الملوك الأول	سفر صموئيل الأول
	سفر الملوك الثانى	سفر الملوك الثانى	سفر صموئيل الثانى
سفر الملوك	سفر الملوك الثالث	سفر الملوك الثالث	سفر الملوك الأول
	سفر الملوك الرابع	سفر الملوك الرابع	سفر الملوك الثانى
سفر أخبار الأيام	سفر أخبار الأيام الأول	سفر أخبار الأيام الأول	سفر أخبار الأيام الأول
	سفر أخبار الأيام الثانى	سفر أخبار الأيام الثانى	سفر أخبار الأيام الثانى
سفر عزرا نحميا	سفر عزرا الأول	سفر عزرا الأول	سفر عزرا
	سفر عزرا الثانى	سفر عزرا الثانى	سفر نحميا
سفر غير معتمد×	سفر طوبيا	سفر طوبيا	سفر غير معتمد×
سفر غير معتمد×	سفر يهوديت	سفر يهوديت	سفر غير معتمد×
سفر إستير	سفر إستير	سفر إستير	سفر إستير
سفر أيوب	سفر أيوب	سفر أيوب	سفر أيوب
سفر المزامير	سفر المزامير	سفر المزامير	سفر المزامير
سفر الأمثال	سفر الأمثال	سفر الأمثال	سفر الأمثال
سفر الجامعة	سفر الجامعة	سفر الجامعة	سفر الجامعة

اليهود العبريون	الروم الكاثوليك	الأرثوذكس	البروتستانت
سفر نشيد الإنشاد	سفر نشيد الإنشاد	سفر نشيد الإنشاد	سفر نشيد الإنشاد
سفر غير معتمد×	سفر الحكمة	سفر الحكمة	سفر غير معتمد ×
سفر غير معتمد×	إيكليزيا ستيكس	إيكليزيا ستيكس	سفر غير معتمد ×
سفر إشعياء	سفر أشعياء	سفر أشعياء	سفر إشعياء
سفر إرمياء	سفر إرمياء	سفر إرمياء	سفر إرمياء
سفر مراثى إرمياء	سفر مراثى إرمياء	سفر مراثى إرمياء	سفر مراثى إرمياء
سفر غير معتمد×	سفر باروخ	سفر غير معتمد ×	سفر غير معتمد ×
سفر حزقيال	سفر حزقيال	سفر حزقيال	سفر حزقيال
سفر دانيال	سفر دانيال	سفر دانيال	سفر دانيال
---	سفر هوشع	سفر هوشع	.سفر هوشع
---	سفر يوئيل	سفر يوئيل	سفر يوئيل
---	سفر عاموس	سفر عاموس	سفر عاموس
---	سفر عويديا	سفر عويديا	سفر عويديا
---	سفر يونان	سفر يونان	سفر يونان
سفر ميخا	سفر ميخا	سفر ميخا	سفر ميخا
----	سفر نوحام	سفر نوحام	سفر ناحوم
-----	سفر حبقوق	سفر حبقوق	سفر حبقوق
-----	سفر صفنيا	سفر صفنيا	سفر صفنيا
-----	سفر حجاى	سفر حجاى	سفر حجاى
-----	سفر زكرياء	سفر زكرياء	سفر زكرياء
-----	سفر ملاخى	سفر ملاخى	سفر ملاخى
سفر غير معتمد×	سفر المكابيين الأول	سفر غير معتمد ×	سفر غير معتمد ×
سفر غير معتمد×	سفر المكابيين الثانى	سفر غير معتمد ×	سفر غير معتمد ×

ملاحظاتنا على الجدول:

١ ـ تلاحظ أن أكبر قائمة هى قائمة الروم الكاثوليك، فهم يؤمنون بستة وأربعين سفراً من أسفار العهد القديم، أى أنهم يسلمون عدداً من الأسفار أكثر مما يسلمه اليهود أنفسهم، ومما يذكر ـ هنا ـ أن هذه القائمة الكبرى من أسفار العهد القديم قد أقرها مجلس علمائهم المنعقد فى (ترنت Trent) من سنة ١٥٥٤م إلى سنة ١٥٦٣م.

٢ ـ قائمة الأسفار التى يؤمن بها الأرثوذكس تعتبر ثانى أكبر قائمة ـ بعد الكاثوليك ـ إذ تبلغ عدتها ثلاثة وأربعين سفراً، فهى أكثر مما يؤمن به اليهود أيضا. وهم لايسلمون ثلاثة أسفار فقط من جملة مايسلم به الكاثوليك، وهى: سفر باروخ والمقابيين الأول والثانى كما أسلفنا. ولقد كان لمجمع بيت المقدس القرار الحاسم الذي قبل فيه الأرثوذكس أربعة أسفار لم تكن من قبل عندهم وهى (طوبيا، ويهوديت، والحكمة، وكهنوت عيسى بن سيراخ المسمى: إيكليزيا استيكس)، وقد انعقد هذا المجمع المعروف بـ : (Synod of Jerusalem) سنة ١٦٧٢م.

٣ ـ ويلاحظ أن كل ماهو غير معتمد من الأسفار عند البروتستانت أو الأرثوذكس فهو غير معتمد عند اليهود.

٤ ـ ويلاحظ كذلك أن النسخة اليهودية العبرانية تدمج كثيراً من الأسفار بعضها فى بعض، وعدة أسفارها أربعة وعشرون سفراً، كما أن ترتيبها فى نسختهم يختلف عن ترتيب قوائم فرق النصارى الثلاث المذكورة. وتزيد قائمة البروتستانت ـ لأنها لاتدمج الأسفار بعضها فى بعض ـ عن قائمة اليهود العبرانيين خمسة عشر سفراً. (انظر: دائرة المعارف الأمريكية، المجلد الثالث، مادة Bible، طبعة سنة ١٩٨٤م).

٥ ـ ومما يذكر كذلك أن القائمة اليهودية العبرانية هذه، هى التى أقرتها لجنة من أحبار اليهود وربانييهم سنة ٩٠ ميلادية أو سنة ١٠٠ بعد الميلاد، وكانت اللجنة برئاسة Rabbi Akiba فى Jamnia، وقد نقحت فيما بعد. والذى دفع أحبار اليهود إلى جمع هذه القائمة وإقرارها الظروف العسيرة التى حاقت بهم بعد حادث تدمير أورشليم المعروف سنة ٧٠ ميلادية، وظهور الديانة النصرانية.

هذا، وقد ألقت لفائف البحر الميت The Dead Sea Scrolls التى اكتشفت فى كهوف جبال البحر الميت بالأردن سنة ١٩٤٨ اتفاقًا ـ ألقت الضوء على أن ثمة مجموعة كتب كانت قد جمعت وضمت معًا فى القرن الرابع قبل الميلاد؛ بينما وضعت لجنة Jamnia الصورة شبه النهائية لهذه القائمة [1] اليهودية العبرانية. أما قوائم اليهود الصدوقيين والحسديين والسامريين والعنانيين فلها حديث آخر إن شاء الله.

(١) راجع ص ٥٧٦ من الجزء الثالث من دائرة المعارف البريطانية، وانظر للقس. باول ديفز كتابه «مخطوطات البحر الميت» وانظر للسير آثر فندلاى: «الكون المنشور» و«صخرة الحق» ترجمة د. على عبدالجليل راضى طبعة القاهرة، ويرى الفيلسوف اليهودى المحقق سبينوزا أنه «يظهر بوضوح أنه لم تكن هناك مجموعة مقننة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين، أما الكتب المقننة الموجودة الآن فقد اختارها فريسيو الهيكل الثانى ـ بعد إقامته مرة أخرى إثر تخريبه ـ من بين كثير غيرها؛ وذلك بقرار منهم وحدهم، وهؤلاء هم أيضا واضعو الصلاة».

وعن السبب الذى يجعله يسلم بأن الفريسيين وحدهم بين طوائف اليهود ـ هم الذين اختاروا أسفار العهد القديم، ووضعوها فى المجموعة المقننة، فهو:

أولا: نبوءة دانيال ببعث الموتى (الإصحاح الأخير: ٢) والفرق اليهودية الأخرى لاتؤمن بالبعث.

وثانيا: ما أشار إليه الفريسيون أنفسهم فى التلمود، وينقل شواهد لذلك من رسالة السبت التلمودية (الفصل ٢ الورقة ٣٠، الفصل الأول، الورقة١٣).

[سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، من الترجمة العربية للدكتور حسن حنفى، طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م].

مراجع للتوسع فى معرفة أسفار العهدين

قد آثرنا أن يكون تعريفنا بأسفار العهـدين ـ فى هذا المبحث ـ وجيزاً ومركزاً جداً، ومن ثم ارتأينا أن نقـدم للقارئ الكريم قـائمة وافـية من المصـادر والمراجع للتعمق والتوسع فى دراسة أسفار العهدين.

أولا: المراجع العربية

- الفصـل فى المـلل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسى، طبـعة عكاظ، ١٩٨٢م.
- إظهار الحق، لـرحمة الله الهندى، طـبعة قطر، مـصورة عن طبـعة عـمر الدسوقى.
- محـاضرات فـى النصرانيـة، للشيخ مـحمـد أبى زهرة، طبعـة دار الفكر العربى.
- الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام، الطبعة الثانية، نهضة مصر.
- قاموس الكتاب المقدس، بإشراف الدكتور جون طمسون، والدكتور بطرس عبدالملك، وإبراهيم مطر.
- قاموس الكتاب المقدس، بإشراف الدكتور فرنسيس دافيدسون.
- الأسفار الخمسة السامرية، نشرة دار الأنصار بالقاهرة.
- «الكتـاب المقـدس». الترجـمـة الكاثوليكيـة نشـرة بيـروت. والتـرجمـة البروتستانتية نشرة القاهرة ١٩٧٠م.

هذا، وسنشـير فى قـائمـة المراجع التى سنذكـرها فى آخر هذا الكتـاب إلى مراجع مفيدة أخرى إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس

أقدم مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها

يشكو علمـاء الأديان من ندرة المخطوطات القـديمة الكاملة للكتاب المـقدس بعهـديه؛ فهى لاتكاد تجاوز عـدد أصابع اليد الواحدة. كـما أن الباحـثين الغربيين المتخـصصين قد اخـتلفوا فى تقـدير زمان تدوينها اخـتلافـا شاسعًـا؛ إذ تأرجحت تقديراتهم مابين نهاية القرن الرابع الميلادى والقرن الحادى عشر . . وهو بون بعيد إن دل على شىء فهو يدل على عـدم كفاية القرائن والمرشحات التى اعـتمدوها فى هذا التقـدير، أو قل: يدل على ضعـفهـا ونقصانهـا، وأن بعضـهـا يسقـط البعض الآخـر. وعلى أى حال نحـن نسأل: إلى أى قـرن يرجع تاريخ أقـدم المخطوطات المعروفة للكتاب المقدس؟ وماهى المدة الزمنية بين تاريخ التدوين وتاريخ النزول؟

نسوق للإجابة على هذين السؤالين نتائج بحوث علماء الأديان الغربيين، وقد نقل العـلامة رحـمة الله الهندي عن قـامـوس ريس للكتاب المقـدس، من المجلد الرابع، مايلى:

«قال الدكتور كنى كات (وهو واحد من أبرز علماء فرقة البروتستانت، وكان عليه اعتمـادهم فى تصحيح أسفار العهد القـديم): إن نسخ العهد القديم التى هى موجودة كتبت مابين ألف، وألف وأربعمائة ميلادية، واستدل على هذا بقوله: إن جميع النسخ الـتى كانت كتبت فى المائة السابعـة أو الثامنة قد أعدمت بأمـر محفل الشورى لليـهود؛ لأنهـا كانت تخـالف مخالفـة كثيـرة النسخ التى كانت مـعتـمدة عندهم. ونظراً لذلك قـال والتن: إن النسخ التى مضى عليـها سـتمائة سنـة قلما توجـد، والتى مضى عـلى كتـابتهـا سـبعـمـائة سنة، أو ثمانمائـة سنة ففى غـاية الندرة»[1].

يصرح الدكتور كنى كات أن نسخ العهد القديم التى وصلت إليه قد كتب بعد ألف سنة من مـيلاد المسيح عليـه السلام، ويؤيده فى ذلك والتن. مـعنى ذلك أن مصححى العهد القديم يعترفون أن أقدم نسخة عبرانية موجودة قد كتبت بعد القرن السابع أو الثامن؛ بل لم تصل إليهم نسخة عبرانية كاملة قبل المائة العاشرة.

وأقدم نسخة عبرانية مخـطوطة هى التي حصل عليها الدكتور كنى كات وهى

(١) إظهار الحق، جـ ١ ص ٤٥٩.

نسخة سكودكس لاديانوس. وقال عنها: إنها كـتبت في المائة العاشرة، وقال عنها موشيدى الروسـى: إنها كتبت فى المائة الحادية عشـرة ولما طبع واندرهوت النسخة العبرانيـة زاعما تصحيـحها تصحيـحا كاملا، خالف نسـخة كودكس لاديانوس فى أربعة عشر ألف موضع[1].

هذا عن النص العبـرى للكتاب المقدس، أما عن النسخ المخطوطة الـتى عثر عليها باللغة الإغريقـية فتصل إلى خمسة آلاف مخطوطة حسبـما يذكر الدكتور R. Collins (أستاذ العهد الجـديد فى الجامعة الكاثوليكية فى Louvain) [2]، والدكتور Bruce M.Metzger أستاذ العهد الجديد في جامعة برنستون) [3].

ويقسمها علماؤهم[4] إلى ثلاث مجموعات حسب المادة التى كتبت عليها هذه المخطوطات:

---

(١) قارن ص ٥٠١ جـ ١ من إظهار الحـق، ويرى الدكتور Owen Cole أن أقدم نسخة توراتية هى المحفوظة فى مكتبة لينتجراد بالاتحاد السوفيتى، وترجع - فى تدوينها - إلى سنة ١٠٠٨م، انظر له: Six Religions, Hulton, 1984, P. 66

ويرى محررو قامـوس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ أن أقدم النسخ الكاملة للعهـد القديم - فى اللغة العبـرية - ترجع إلى القرن العـاشر الميـلادي؛ واحدة كانـت فى حلب لقرون عديـدة، ثم سربت مؤخرا إلى إسرائيل، والأخرى هى نسخة لينتجراد. أما أقدم نصوص مفردة وصلتنا فهى ماعثر عليه فى لفائف البحر الميت فى وادى قمران. والنسخـة الموجودة حاليًا من العهد القديم هى المأخوذة عن النسخة الماسورية التى أعـدها جماعة من علماء اليهود فى طبرية من القـرن السادس إلى الثانى عشر للميلاد.

(٢) انظر: Introduction to the New Testament, P. 80. SCM. press London, 1983.

(٣) انظر: The Text of the New Testament: its Transmission. Corruption, and Restoration, OXfrd Univ Press, 7 th Ed. 1980 P.36.

(٤) تخصص فى دراسة هذه المخطوطات وتصنيـفها جماعة كبـيرة من علمائهم، من بينهم على سبيل المثال:

Caspar R. Gregory (١٨٤٦ - ١٩١٧م) Johann J. wattstien (١٦٩٣ - ١٧٥٤م) Karl Lachmann (١٧٩٣ - ١٨٥١م) - Johann J. Grisbach (١٧٥٥ - ١٨١٢م) Johann S. Semler ١٧٩١م Hort

النوع الأول:

مخطوطات البردى، إذ إن أقدم المخطوطات الموجودة قد كتبت على أوراق البردى، وتوجد قرابة ثمانين قطعة مخطوطة من هذا النوع. ويعود تاريخ بعض هذه القطع الصغيرة من هذا النوع إلى القرنين الثالث والرابع، على أن أقدم قطعة مخطوطة للعهد الجديد الإغريقى على الإطلاق ترجع إلى القرن الثانى الميلادى، وهى قطعة صغيرة للغاية تضم عبارتين اثنتين من إنجيل يوحنا (١٨ : ٣١، ١٨ - ٣٧ - ٣٨) وهى محفوظة فى مكتبة: John Ryland فى منشستر.

وهناك قطعة بردى أخرى ترجع إلى القرن الثالث حسبما يذكر الدكتور كولينز، وهى تضم عبارتين من إنجيل متى (١ : ١ - ٩، ١٢ : ١٤ - ٢٠).

وأهم هذه القطع «بردية شستربتى» فى مجموعة Bodmer، وهى محفوظة فى متحف دبلن، وتحتوى على بضع عبارات من إنجيل مرقس، ولوقا، وأعمال الحواريين، ومتى، ويوحنا، . . وقد اكتشفت هذه القطعة مابين سنتى ١٨٩٧، ١٩٠٧ فى : Oxyrhnchus بالقرب من البهنسا فى صعيد مصر، على يد Hunt, Grenfell

وهناك قطع أخرى صغيرة تضم عبارات أو مقاطع من العهدين توجد فى مكتبات فيينا، وكولونيا، ودبلن، ويفترض علماؤهم - مجرد افتراض - أن هذه القطع ترجع إلى القرون الستة من الثانى إلى السابع.

النوع الثانى:

وهنالك نوع آخر من مخطوطات العهدين باللغة الإغريقية، وهو ماكتب على رقوق الحيوانات، وهذه طريقة لم تعرف إلا بعد القرن الرابع، ويوجد عدد من هذه المخطوطات، وقد اختلف علماؤهم كثيرا فى تقدير زمن تدوينها مابين القرن الرابع والثانى عشر.

ولهذه النسخ أهمية خاصة عندهم، لأن بعضها شبه تام تقريبا، وبعضها يضم أسفار العهدين معًا مع بعض النقص فيهما والاختلاف فى الترتيب، وقد حشد فى بعضها الأسفار المعترف بها وتلك التى لم يعترف بها.

وهنالك طريقتان لتصنيف هذه المجموعة، **أولاهما**: طريقة وتستين التى يرمز فيها إلى كل نسخة بحرف أبجدى لاتينى أو إغريقى، **وثانيهما**: طريقة جريجورى التى يرمز فيها إلى كل نسخة برقم حسابى عربى مسبوق بصفر . . . ونقدم فيما يلى فكرة موجزة عن أهم هذه المخطوطات.

(١) النسخة السينائية The Codex Sinaiticus، ويفترض علماؤهم أن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الرابع، ويرى بعضهم أن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الخامس أو السادس أو العاشر الميلادى. وهى تضم نص العهدين معًا، مع اختلاف فى ترتيب الأسفار وبعض النقص فى المحتوى، وبعض الأسفار غير المعترف بها مثل رسائل القديس برنابا وغيرها.

وقد اكتشفها ـ فى دير سانت كاترين بسيناء ـ الباحث المغامر الدكتور G. Thischendor F سنة ١٨٤٤م [1]. وقد أهداها إلى قيصر روسيا، وحفظت فى بطرس بورج، ثم نقلت إلى المتحف البريطانى سنة ١٩٣٣م (ولعل تأخر زمن اكتشاف هذه النسخة هو السبب فى عدم إشارة العلامة رحمة الله الهندى إليها فى كتابه: إظهار الحق).

وقد قيد عليها تسعة من المعلقين تصويبات وحواشي، وترجع بعض هذه التعليقات إلى القرن الثانى عشر، وهى قد نسخت فى مصر. . ويرمز لها بالرمزين (٪)، (01) حسب تصنيف كل من وتستين وجريجورى.

(٢) النسخة الإسكندرانية The Codex Alexandrinus، ويخمن علماؤهم بأن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الخامس، وهى تضم نص العهد الجديد الإغريقى، وهو ناقص . . ، ولم تكن هذه النسخة معروفة قبل القرن السابع عشر الميلادى، وقد أحضرها إلى جيمس الأول ملك إنجلترا Crilucaris، وحفظت فى

---

(١) انظر: Ian Mohr Thıschedrf and the Codex Sinatıtcus, Nt Studıes 23 (1976) 108-115 -

وانظر: B.M. Metzger The Text of the new Testament, pp 42 - 45.

وقد تواطأ رهبان الدير مع تشنيدورف على تسريب هذه النسخة إلى قيصر روسيا لقاء بعض الهدايا الزهيدة.

المتحف البـريطاني فى لندن، ويرجح العلماء أن تكون قد دونت فى مـصر التى قد اكتشـفت فيها . . ، ويرمز لـها بالرمزين (A)، (02). وهى تضم رسـالتى كلمنت Clement، وهما ناقصتان جدا.

(٣) النسخة الفاتيكانية The Codex Vaticanus، وهى تضم نص العهدين، مع نص بين فى كثـير من المواضع، كمـا تضم أيضا بعض الكتب غـير المعتـمدة، ويقترح علماؤهم أن تكون قد دونت فى القرن الرابع، ومن المحتمل أن تكون هذه النسخة قد كـتبت فى الإسكندرية، وهى محفوظة فى مكتـبة الفاتيكان، ولم تكن معروفة للعلماء قبل سنة ١٤٨١ . ويرمز لها بالرمزين (B)، (03).

(٤) نسخة أفريمى The Codex Ephraemi، ويخمن علماؤهم أنهـا قد كتبت في القـرن الخامس، وهى تحـوى نصًّا يونانيًّا ناقصًا جدًّا، وإن كانـت لها أهمـية خاصة بـالنسبة لأسفـار العهد الجديد، . . وهى مـحفوظة فى المكتبـة الوطنية فى باريس، ويرمز إليها بالرمزين (C)، (04)

(٥) نسخة بيزا The Codex Bezae، ويفترض علمـاؤهم أنها قد دونت فى القرن الخـامس، وهى تضم الأناجـيل وسفـر الأعمال؛ مع خلـوها من كثـير من النصوص مثل صدر إنجيل يوحنا، وهى محفوظة فى مكتـبة جامعة كمبردج، وكان قد قدمها إليها رجل الدين البروتستانتى الكالفنى The odore de Beze (١٥١٩ - ١٦٠٥) ويرمز لهـا بالرمزين (D)، (05). ولم يشـر إليـها رحـمـة الله الهندى، وباحثون آخرون.

(٦) النسخـة الكلارمونية وتحوى رسـائل بولس فقط كما تضم رسـالته إلى العبرانيين، وقـد كتبت باللغتين الإغـريقية واللاتينية، وهى محـفوظة فى باريـس، ويفترض علماؤهم أنها كتبت فى القرن الثامن.

(٧) النسخة البازلية The Codex Basileensis فى القرن الثامن افـتراضا، وهى تضم الأناجيل الأربعة مع النقص الواضـح فيها، وهى محفوظـة فى جامعة بازل بسويسرا.

(٨) نسخـة لاديانوس The Codex Laudianus، وهى تضم الحـواريين ومحفوظة فى بودليانا فى أكسفورد، وهنالك أربع مخطوطات أخرى من هذا النوع

أقل شأنًا لنقصها وتأخر زمان كتابتها، فهى ترجع إلى القرن التاسع حسب أكثر افتراضاتهم تفاؤلا، وهى محفوظة فى باريس. وواشنطون، وسويسرا وتفليس بالاتحاد السوفيتى.

النوع الثالث

وهى أقل أهمية وأدنى قيمة لأنها ترجع إلى وقت متأخر جدا .. فهى تعود إلى القرن الثالث عشر، وأكثرها ناقص جداً، وقد وصف البروفسور كولينز[1] سبع مخطوطات من بينها، محفوظة فى بازل وباريس ودبلن وألينوى.

وهنالك دراسة مفصلة للمفسر اللاهوتى المعروف (هورن) - حول ظروف أقدم النسخ الخطية للكتاب المقدس والتاريخ المقترح من قبل العلماء الغربيين لتدوينها - أوردها فى المجلد الثانى من تفسيره لأسفار العهدين[2]، واقتبسها العلامة رحمة الله الهندى فى كتابه «إظهار الحق».. يقول هورن عن نسخة كودكس إسكندريانوس:

«تقع هذه النسخة فى أربعة مجلدات .. فى المجلدات الثلاثة الأولى: الكتب الصادقة والكاذبة من كتب العهد القديم .. ويوجد فى المجلد الرابع: العهد الجديد والرسالة الأولى لكليمنت إلى أهل كورنثوس، والزبور الكاذب المنسوب إلى سليمان، وتوجد قبل الزبور رسالة اتهانى سيشن، وبعده فهرست ما يقرأ فى صلاة ساعات الليل والنهار، وأربعة عشر زبوراً إيمانيًا .. الحادى عشر

---

(١) Introduction to the NT, p. 84 - 85.

وانظر للباحث إبراهيم خليل أحمد: محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٢٠١ - ٢٠٢ الطبعة الخامسة، مكتبة الوعى العربى بالقاهرة.

وانظر: A. Deedat Is The Bible God's word? p 20, Durban, 1982

وانظر: Bruce. MET zger, The Terxt..., p. 60 - 61

وانظر: Wemer G. Kummel, Introduction to the NT, PP. 513 - 533

(٢) الطبعة الثالثة فى لندن سنة ١٨٨٢م، ومما يشار إليه أن هنالك موسوعة تضم دراسات نقدية باسم العالم هورن T. H Horne's encyclopedic نشرت فى لندن سنة ١٨٥٦م، وقد اشترك فيها علماء كبار مثل Tregelles وغيره.

منها فى نعت مريم . . وبعضها كاذبة وبعضها مأخوذة من الإنجيل، ودلائل يوسى بيوس مكتوبة على الزبورات، وقوانينه على الأناجيل . . وقد بالغ البعض فى مدح هذه النسخة، وبالغ البعض الآخر فى ذمها، ورئيس أعدائها وتستين».

ونسترعى نظر القارئ الكريم إلى أن رتبة هذه النسخة ـ التى تحتوى على الكتب الصادقة والكاذبة، وعلى الغث والسمين . . وهى نسخة ناقصة جدا كما مر وقد بالغ بعض علمائهم برئاسة المحقق واتستين فى ذمها ـ المقام الأول فى تحقيق كتبهم وتوثيقها وتأصيلها!!، وعن زمان تدوين هذه النسخة يقول (هورن):

«وفى قدمها كلام !!، فقد ظن كريب وشلز أن هذه النسخة قد كتبت فى آخر المائة الخامسة.

ـ وقال ميكايلس: هو حد قدمها، ولايمكن أن يفترض زمان أقدم منه؛ لأن رسالة أتهانى سيشن توجد فيها.

ـ وفهم أودن أنها كتبت فى القرن العاشر.

ـ وقال واتستين أنها كتبت فى القرن الخامس، وافترض أن هذه النسخة من تلك النسخ التى جمعت فى الإسكندرية سنة ٦١٥م من أجل تصحيح الترجمة السريانية.

ـ وقال مونت فاكن: لايمكن أن تكون مكتوبة قبل القرن الثامن الميلادى.

ـ وفهم وايد أنها كتبت فى وسط القرن الرابع أو فى آخره، ولايمكن أن يكون أقدم من هذا لأنه توجد فيها الأبواب والفصول ويوجد فيها نص قانون يوسى بيوس.

ـ واعترض إسباين على دلائل وايد على كونها مكتوبة فى القرن الرابع بثلاثة اعتراضات:

الأول: أنه لايوجد التقسيم إلى أبواب وفصول فى رسائل بولس.

الثانى: يوجد فيها رسائل كليمنت التى منع قراءتها محفل لوديسيا ومحفل كارتهيج.

الثـالث: اسـتدل شلز بدلـيل جديد هو أنه يـوجد فى الزبور الـرابع عشـر الإيمانى ـ الوارد فيها ـ فقرة كانت توجد سنة ٤٤٤م، وسنة ٤٤٦م.

ـ وظن واتستين أنها كتبت قبل زمن جيروم وأنه ترجم عنها المتن اليونانى إلى اللاتينية.

ـ وقال مـيكايلس: لايثبت بهذا شىء؛ لأن هذه النسـخة منقولة عن نسـخة أخرى بالضرورة.

ـ وقد دلل أودن على أنها كـتبت فى القرن العاشر؛ لأن بهـا رسائل منحولة منسوبة إلى اتهانى سـيشن ولايمكن أن تكون قد نسبت إليـه زورا فى حياته؛ ولأن الوضع أو الإلحـاق أو الانتـحال كـان ـ فى القـرن العـاشر الميـلادى ـ على غـاية القوة[1].

هذه خلاصة وجيزة تظهر تفـاوت تقديرات علمائهم بشأن تحديد زمن تدوين نسخة كودكس إسكندريانوس كما سجلها المفسر اللاهوتى المعروف هورن.

أما نسخة كودكس فاتيكانوس فقد اضطرب علماؤهم فى تحديد زمن كتابتها، ويسجل هورن موجزا لاجتهاداتهم كما يلى:

«كتب فى مـقدمة التـرجمة اليـونانية التى طبعت سنة ١٥٠٩م: كـتبت هذه النسخة فى القرن الرابع.

ـ وقال مونت فاكن وبلين جينى: كتبت فى القرن الخامس أو السادس.

ـ وقال ديوبن: فى القرن السابع.

ـ وقال هك: فى القرن الرابع.

ـ وقال جون مارش: في القرن الخامس.

ولايوجـد الاختـلاف بين نسـختـين من نسخ العهـد العـتيـق والجديد مـثل الاختـلاف الذى يوجد بين كـودكس إسكندريانوس، وهذه النسخـة. كما اسـتدل

---

(١) هورن. المجلد الثالث من تفسـيره للكتاب المقدس. الطبعة الثالثـة. لندن. نقلا عن «إظهار الحق» جـ١ ص ٥٠٣.

الدكتور كنى كـات على أن هذه النسخة وكذا نسـخة إسكندريانوس ليستـا منقولتين عن نسخة آرجن، ولا عن نقول منها قرب زمانها[1].

وعن نسخة كودكس أفريمى يقول هورن:

«ظن واتسـتين أن هذه النسـخـة من النسـخ التى جـمعـت فى الإسكندرية لتصحيح التـرجمة السريانية، لكن لادليل على هذا الأمر، واستـدل بالحاشية التى على الآية السابعـة، من الإصحاح الثـامن، من الرسالة العـبرانية أن هذه النسـخة كتبت قبل ٥٤٢م. لكن ميكايلس يرى أن استدلاله غير قوى .. وقال مارش: إنها كتبت فى القرن السابع».

ويعلق العلامة رحمة الله الهندى على ذلك قائلا: ظهر لك أنه لايوجد دليل قطعى على أن هذه النسخ كتـبت فى القرن الفلانى، وليس مكتوبا فى آخـر كتاب من كتبها أن كاتبه فرغ فى السنة الفلانية.. وعلماؤهم يقولون بالظن الذى نشأ لهم عن بعض القـرائن: لعلها كـتبت فى قـرن كذا أو كذا. وأدلة الـقائلين بأن نسـخة إسكندريانوس قـد كتـبت فى القرن الرابع أو الخـامس ضعـيفـة ومنقـوصة ..، والأغلب كما دلل (أودن) أن هذه النسخة قد كتبت فى القرن العاشر ..، وعرفت قول ديـوبن فى حق كودكس فـاتيكانوس، وقول مـارش فى حق كودكس أفـريمى أنهما كتبتا فى القرن السابع[2].

هذا، ومن المعلوم أن أحبار اليهود فى بابل وفى فلسطين قد كرسوا جهودهم فى القرن الثامن والتاسع والعـاشر لتنقيح نسخة توراتية وتثبيت قـراءتها وتخليصها من الأخطاء والشوائب بغرض نقل نص توراتى صحيح إلى الأجيال القادمة. وقد اكتسبت النسخة الفلسطينية التى أشرف عليهـا الحبر ابن عاشر قبولا عاما .. وأقدم نسخة توراتية ماسورية[3] هى النسخة المحفـوظة فى مكتبة لينـنجراد، ويرجع تاريخ تدوينها إلى القرن أول الحادى عشر (سنة ١٠٠٨م).

---

(١) هورن نقلا عن إظهار الحق حـ١ ص ٥٠٥.

(٢) إظهار الحق حـ١ ص ٥٠١ ـ ٥٠٧.

(٣) الماسوريون : لقب يطلق على الأحـبار الذين عكفوا على تنقيح النص التوراتى، ونسـختهم المنقحة تسمى النسخة الماسورية.

ويتساءل الدكتور Owen Cole ومساعدته الباحثة Peggu Morgan قائلين: هل يوثق بنص كتب وضعت بعد وضع آخر كتب العهد القديم (وهو كتاب دانيال) بألف ومائة سنة؟!.

ويضيفان قائلين: إن ثمة تغييرات قد أحدثت!!. ويقال: إن مخطوطات البحر الميت[1] التى ترجع إلى زمان ثورة اليهود ضد الرومان سنة ٦٦م ـ تفيد بأن النسخة الماسورية لاتختلف كثيرًا عن تلك التى كانت شائعة فى زمان كتابة لفائف البحر الميت؛ لأن محاولة تصحيح نسخة توراتية كانت قد بدأت فى تلك الفترة[2]..، ويذكر كذلك أن النسخة الماسورية لاتختلف كثيرا عن النص الذى ترجمه القديس جيروم من اليونانية إلى اللاتينية، وعلى كل حال فإن أقدم نسخة ماسورية ـ سواء وافقت غيرها أم خالفته ـ تعود إلى صدر القرن الحادى عشر (سنة ١٠٠٨م) كما أسلفنا.

ويلاحظ أن أبعد تاريخ لتدوين أقدم نسخة خطية للكتاب المقدس ـ حسب تقدير المتساهلين من علماء الأديان الغربيين ـ هو نهاية القرن الرابع الميلادى، وهذا يعنى أن أقدم نسخة خطية مدونة للتوراة قد كتبت بعد نزول التوراة بأكثر من ألفى سنة !!، وأن أقدم نسخة خطية موجودة للعهد الجديد قد كتبت بعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ بأكثر من أربعة قرون!! ومن أجل ذلك ـ وغيره من الأسباب التى سنشرحها فى المباحث التالية ـ قال باحثون غربيون: إن ثمة تحريفًا قد وقع ولابد.

يتأكد ذلك إذا عرفنا أن اليهود والنصارى لايحفظون كتبهم إلا فى السطور، أى أنهم لايحفظونها فى صدورهم مثلما يفعل المسلمون فى حفظ القرآن الكريم على صحائف قلوبهم.. أما اليهود والنصارى فحالهم ما ذكرنا، كانوا ولايزالون كذلك. وأنت إذا ماعثرت فى شرق الدنيا وغربها على عشرة من رؤساء علمائهم

---

(1) مخطوطات أو لفائف البحر الميت The Dead Sea Scrolls كان قد اكتشفها راع فى إحدى المغارات المطلة على البحر الميت سنة ١٩٤٧م، وقد عكف العلماء على دراستها واستخلاص النتائج من مقارنة النصوص التى وردت بها ـ وهى تعود إلى القرن الأول الميلادى ـ بالنصوص الحالية للكتاب المقدس، وسنقدم بحثًا وافيًا عنها فى أحد أجزاء هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى

(2) Owen cole, six Religions in the Tewentieth Century, pp. 66 -67 Hulton, 1984.

يحفظون نصوص الكتـاب المقدس ـ عن ظهر قلب كل منهم يحفظ عشـرا فهو أمر بعيـد نادر جدا، وإن وجـدت واحدا مـفردا يحفظ الـكتاب المقدس كلـه عن ظهر قلبه، فهو أمر بعيد في غـرابته، غريب في بعده. !! ومن هنا ندرك خطورة الفجوة بين تاريخ تدوين أقدم مخطوطة وتاريخ نزول الكتب.

(١)

ϹΘΑΙΠΑΝΤΑ ΟΔΕΙϹΗΡ
ΞΑΤΟΛΕΓΕΙΝΑΥΤΟΙϹ
ΒΛΕΠΕΤΕΜΗΤΙϹΥΜΑϹ
ΠΛΑΝΗϹΗΠΟΛΛΟΙΕΛΕΥ
ϹΟΝΤΑΙΕΠΙΤΩΟΝΟΜΑ
ΤΙΜΟΥΛΕΓΟΝΤΕϹΟΤΙ
ΕΓΩΕΙΜΙΚΑΙΠΟΛΛΟΥϹ
ΠΛΑΝΗϹΟΥϹΙΝΟΤΑΝΔΕ
ΑΚΟΥϹΗΤΕΠΟΛΕΜΟΥϹ
ΚΑΙΑΚΟΑϹΠΟΛΕΜΩΝ
ΜΗΘΡΟΕΙϹΘΕΔΕΙΓΕΝΕ
ϹΘΑΙΑΛΛΟΥΠΩΤΟΤΕΛΟϹ
ΕΓΕΡΘΗϹΕΤΑΙΓΑΡΕΘΝΟϹ
ΕΠΙΕΘΝΟϹΚΑΙΒΑϹΙΛΕΙΑ
ΕΠΙΒΑϹΙΛΕΙΑΝΕϹΟΝΤΑΙ

(١) قطعة مـن إنجيل مرقس من المخطوطة المسماة كودكس فـاتيكانوس، وهى مـحـفـوظـة فى مكتـبـة الفـاتيكان. وهـى باللغـة اليونانية القديمة.

ΚΑΙΕΞΕΛΘΩΝΕΚΙ
ΘΕΝΟΙϹΑΝΕΧΩΡΗ
ϹΕΝΕΙϹΤΑΜΕΡΗΤΥ
ΡΟΥΚΑΙϹΙΔΩΝΟϹ
ΚΑΙΙΔΟΥΓΥΝΗΧΑ
ΝΑΝΑΙΑΑΠΟΤΩΝ
ΟΡΙΩΝΕΚΙΝΩΝ
ΕΞΕΛΘΟΥϹΑΕΚΡΑΖ
ΛΕΓΟΥϹΑΕΛΕΗϹΟΝ
ΜΕΚΕΥΙΕΔΑΔΗΘΥ
ΓΑΤΗΡΜΟΥΚΑΚΩ
ΔΑΙΜΟΝΙΖΕΤΕ

(٢) قطعة مـن إنجيل متى من النسخـة المعروفة بـ (كـودكس سـينـيـاتيكوس) باللغـــة اليـــونانيـــة، وهى مــحـــفـــوظة بـالمتـــحف البريطاني.

(٣)

(٣) قطعة من مخطوطة : كودكس إسكندريانوس من سفر أعمال الحواريين، فى المتحف البريطانى. باللغة اليونانية.

(٤)

(٤) قطعة من نسخة: كودكس بالمبستوس سيناتيكوس باللغة السريانية القديمة، وتضم نصا من إنجيل لوقا. وهى محفوظة بمكتبة الكونجرس الأمريكى.

الفصل السابع

النقد العلمى لسند التوراة ..
وبقية أسفار العهد القديم

السؤال الذى يطرحه هذا المبحث هو:

هل هذه الأسفار الخمسة ـ المسماة التوراة، والتى يؤمن بها اليهود والنصارى معًا، وينسبوها إلى موسى عليه السلام ـ هى التى أنزلها الله تعالى على موسى؟!

ويمكننا أن نحرر غرضنا فى هذا المبحث على النحو التالى، وهو أنه: لابد لكون هذا الكتاب سماويًا واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام قاطع أن هذا الكتاب وضعه أو أملاه موسى عليه السلام، ثم وصل إلينا ـ بعد ذلك ـ بالسند المتصل، بلا تغيير ولاتبديل.

ومعنى ذلك أن الإقرار بأن كتابًا ما من الكتب قد كتب بوحى سماوى، ومن ثم أصبح واجب التسليم عند الناس يتوقف على أمرين مهمين، هما:

١ ـ أن يثبت ثبوتًا قطعيًا أن نبيًا من الأنبياء قد كتبه أو أملاه بناء على وحى إلهى.

٢ ـ أن يكون الكتاب قد وصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل المتواتر الذى تتلقاه الكافة من الناس عن مثلها، بلاتغيير ولاتبديل.

ولابد أن يعتمد كل هذا على اليقين، ومجرد الوهم أو الظن أو التخمين، ومجرد ادعاء فرقة من الفرق ـ دونما برهان ـ أن هذا الكتاب من وضع فلان النبى فغير كاف[1]؛ بل غير جدير بالالتفات إليه.

ألا ترى أن هنالك كتبًا كثيرة جدًا قد ادعت فرق دينية مختلفة أنها وضعت بواسطة الأنبياء، ومن ثم نسبوها إليهم، ثم جاءت فرق أخرى وادعت أن هذه الكتب مكذوبة موضوعة منحولة؛ فالفيصل إذا هو البرهان القاطع والدليل التام.

ومن الكتب التى نسبت إلى موسى عليه السلام وإلى غيره من أنبياء بنى إسرائيل قبل عيسى عليه السلام زورًا أو بلا برهان قاطع: سفر المشاهدات، والسفر الصغير للتكوين وكتاب المعراج وكتاب الأسرار والسفر الرابع لعزرا المنسوب إلى عزرا، وكتابا معراج إشعيا ومشاهدات إشعيا المنسوبان إلى إشعيا، وعدة أقوال منسوبة إلى حبقوق، وعدة زبورات منسوبة إلى سليمان عليه السلام .. إلخ.

---

(١) قارن: إظهار الحق جـ ١ ص ١٠١.

وهذا ثبت كامل أوردته موسعة إكسيهومو بالكتب التى ذكر القدماء من علماء النصارى أنها نسبت إلى عيسى عليه السلام، ومريم، والحواريين، والتابعين زوراً، منها سبعة أسفار منسوبة إلى عيسى عليه السلام، هى:

- رسالة إلى إيكرس ملك أديسه، - رسالته إلى بطرس وبولس، - كتاب التمثيلات والوعظ، - كتاب الشعبذات والسحر، - كتاب مسقط رأس المسيح، - رسالته التى سقطت من السماء، - زبوره الذى كان يعلمه الحواريين والمريدين خفية.

ومنها ثمانية كتب نسبت إلى مريم عليها السلام، هى:

- رسالتها إلى أكناشس، - رسالتها إلى سى سيليان، - كتاب مسقط رأس مريم، - كتاب مريم وظئرها، - تاريخ مريم وحديثها، - كتاب معجزات المسيح، - كتاب السؤلات الصغار والكبار لمريم، - كتاب نسل مريم والخاتم السليمانى.

ومنها أحد عشر كتابا منسوبة إلى بطرس الحوارى، هى:

- إنجيل بطرس، - أعمال بطرس، - مشاهدات بطرس، - مشاهدات بطرس الثانية، - رسالته إلى كليمنس، - مباحثة بطرس، - تعليم بطرس، - وعظ بطرس، - آداب بطرس وصلاته، - كتاب مسافرة بطرس، - كتاب قياس بطرس.

ومنها تسعة كتب منسوبة إلى يوحنا، هى:

- أعمال يوحنا، - الإنجيل الثانى ليوحنا، - كتاب مسافرة يوحنا، - حديث يوحنا، - رسالته إلى حيدروبك، - كتاب وفاة مريم، - تذكرة المسيح ونزوله من الصليب، - المشاهدات الثانية ليوحنا، - آداب صلاة يوحنا.

ومنها كتابان منسوبان إلى أندريا الحوارى، هما:

- إنجيل أندريا، - أعمال أندريا.

وكتابان منسوبان إلى متى الحوارى، هما:

إنجيل الطفولة، - وآداب صلاة متى.

وكتابان منسوبان إلى فيليب الحوارى، هما:

- إنجيل فيليب، - وأعمال فيليب.

وكتاب واحد منسوب إلى برتولما الحوارى، هو: إنجيل برتولما.

وخمسة كتب منسوبة إلى توما الحوارى، هى:

- إنجيل توما، - أعمال توما، - إنجيل طفولة المسيح، - مشاهدات توما، - كتاب مسافرة توما.

ومنها ثلاثة كتب منسوبة إلى يعقوب الحوارى، هى

إنجيل يعقوب، - آداب صلاة يعقوب، - كتاب وفاة مريم.

ومنها ثلاثة كتب منسوبة إلى متياه الذى دخل فى الحواريين بعد عروج المسيح، هى:

- إنجيل متياه، - حديثا ميتاه، - أعمال متياه.

وثلاثة كتب منسوبة إلى مرقس، هى:

- إنجيل المصريين، - آداب صلاة مرقس، - كتاب بى شن برنيار.

وكتابان منسوبان إلى برنابا، هما:

إنجيل برنابا، - رسالة برنابا.

وكتاب واحد منسوب إلى تهيودوشن، هو: إنجيل تهيودوشن.

ومنها عشرة كتب إلى بولس: هى:

- أعمال بولس، - أعمال تهكله، - رسالته إلى لادوقيين، - رسالته الثالثة إلى أهل تسالونيكى.

- رسالته الثالثة إلى أهل كورنثوس، - رسالة أهل كورنثوس إليه وجوابها من جانبه.

- رسالته إلى سنكيا - مشاهدات بولس - المشاهدات الثانية لبولس - وزن

بولس، ـ أنابى كشن بولس، ـ إنجيل بولس، ـ وعظ بولس، ـ كتـاب رقية الحية ـ برى سبت بطرس وبولس(١).

نسبت فـرق مخـتلفة من النصـارى هذه الكتب إلى هؤلاء المذكوريـن آنفا، والنصارى اليوم مجمعون على أن هذه الكتب مصنوعة مكذوبة، يتفق على ذلك: الكاثوليك والأرثوذكس، والكنائس الشرقية، والبروتسـتانت . . . فادعاء فرقة من الفرق أن نسبة كـتاب ما إلى الوحى لاتقبل ألبتة مالم تثبت تلك الفـرقة هذه النسبة بالبرهان، وتصلنا بالسند المتصل دون تغيير أو تبديل فى النص.

ولعل القارئ يذكـر ماسقناه فـى المبحث الأول من أن أسفـار باروخ وطوبيا ويهوديت والحكمة . . .، وغـيرها، كانت مسلمة عند أكثر فـرق النصارى على أنها وحى سـماوى، إلى أن ظـهرت فـرقـة البروتسـتـانت فردت تـسليمُ هذه الكتب، واعتـبرتها موضـوعة مكذوبة، وخطأت أسلافهـا فى إيمانهم بها. وتسليـمها كتـبًا سماوية.

وبناء على ذلك فـأمـر نسبـة كتـاب مـا إلى الوحى واتصـال سنده بنبى من الأنبياء، لابد أن يبرهن عليه بالدليل الـقطعى، ولا يلتفت فى ذلك إلى ادعاء فرقة ما مهما بلغ عدد أتباعها، كما لايلتفت فيه إلى التخمين والظن.

وانطلاقا من ذلك أيضـا فإننا ندرس سند هذه الأسفار الخـمسة التى ينسـبها اليهود والنصارى إلى موسى عليه السلام، ويجدر بنا أن ندرس هذه القضية ـ أولا ـ عند بعض العلماء الغربيين اللاهوتيين يهودا ونصارى(٢)، ثم نقصد علماء مقارنة الأديان المسلمين لندرسها عندهم.

---

(١) كتاب إكـسيهومو المطبوع فى لنـدن سنة ١٨٣١م، نقلا عن جـ١ص٤٣٦ ـ ٤٣٨ من إظهار الحق.

حيث جاء فـيه : «هذا فهرست الكتب التى ذكر المشـائخ من قدماء المسيحـيين أنها نسبت إلى المسيح عليه السلام، أو الحواريين. أو المريدين الآخرين للمسيح».

(٢) درس موضـوع صحـة نص العهد القـديم، ومدى جـواز نسبتـه إلى موسى، علمـاء يهود ونصارى كثيرون، وقد شك كل من الحبر الغـرناطى إبراهيم بن عزرا وابن جرشون فى صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى، وفى صحة نسبة سفر يشوع إلى يشوع. =

رأى سبينوزا فى سند العهد القديم:

إن أكبـر دارس ناقد للتوراة من علمـاء اليهود ـ فـيما أعلم ـ هو الفـيلسوف باروخ سبينوزا Spinoza ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م.

والنقاط الرئيسية التى طرحها تتلخص فى :

هل نسبة الأسفـار الخمسة إلى موسى صحيحة؟، أو بعـبارة أخرى هل كتب موسى هذه الأسفار الخمسة المنسوبة إليه؟ كـما بحث فى عدم صحة محتوى أسفار العهد القـديم، وهل لهذه الأسفار ـ بما فيـها التوراة ـ مؤلفون كثـيرون، أو مؤلف

= ـ وفى القرن الخـامس عشـر كشف الأسقف الأسـبانى توسـتاتوس Tostatus بعض النصـوص الموضوعة فى العهد القديم. كما أعلن بودنشتين Podnestein سنة ١٥٢٠م أن مؤلف الأسفار الخمسة مجهول.

ـ وفى القرن السـابع عشر اعتـقد بعض علماء الجـزويت مثل بريرا Perreira فى وجـود بعض النصوص الموضوعة فى العهد القديم والأسفار الخمسة خصوصا.

أما الـنقد التـاريخى للكتاب المقـدس فلم ينشـأ إلا فى القرن الســابع عشـر على أيدى كل من ريتشارد سيمون R. Simon وجان أستروك J. Austruc، وباروخ سبينوزا Spinoza . . . وكانت أعمــال ريتشارد سيــمون مبـادرة كبرى وفـاتحة طيبة للـنقد العلمى الحديث للكتـاب المقدس، وهذه الأعمال هى:

ـ «التاريخ النقدى لنصوص العهد القديم» شك فيه فى نسبة التوراة إلى موسى.

ـ «التاريخ النقدى لنصوص العهد الجديد» ، «التاريخ النقدى لترجمات العهد الجديد».

ـ «التاريخ النقدى لشروح العهد الجديد».

ثم وضع إيكهـارن Eicharane سنة ١٧٨١م نظرية البـحث عن مصـادر الكتاب المقـدس، وقد اقترح كل من جديس Geddes سنة ١٧٨٢م وفاتر Vater سنة ١٨٠٢م، وفيتة Wette سنة ١٨٠٥م مصادر له، بينما وضع فلهاوزن نظرية المصادر الأربعة للكتاب المقدس.

ـ وشك فولتير فى القرن الثامن عشر فى أسفار نشيد الأنشاد والجامعة.

ـ ونشطت الدراسات النقدية على أيدى النقاد البروتستانت الذين تأثروا بمدرسة هيجل التى روج لها إرنست رينان، وأهم كـتاب نقدى ظهر فى مطلع هذا القرن هـو «جوهر المسيحيـة» لهرناك وقد أثار جدلا واسعًا، انظر: J. Steinmann: la Critique de vant la Bible, Paris, 1956.

نقلا عن ترجمة الدكـتور حسن حنفى لرسالة سبينوزا فـى اللاهوت والسياسة، ص ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤٤.

واحد؟ كما بحث في الأسس والمبادئ التي تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس، والصعوبات التي تواجه الباحث فيه.

يرى سبينوزا أن أهم الأسس التي تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس، هي المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب المقدس، ويبين أن القدماء من علماء اليهود والنصارى قد أهملوا هذه المعرفة بالرغم من ضرورتها. وبالرغم من أنهم قد دونوها، فقد فقدت، وبالتالي ضاع منا كلية جزء كبير من هذه الأسس والمبادئ المنهجية البالغة الأهمية. . . «ولقد كان بالإمكان تحمل ذلك لو ظل الخلف - فيما بعد - ملتزما حد الاعتدال، ونقل بأمانة إلى المتأخرين، القليل - الذى وجده دون أن يدخل عليه بدعوى اختلقها هو! . فقد كانت خيانته سببًا في أن أصبحت المعلومات التاريخية عن الكتاب ناقصة، بل وكاذبة، أى أن الأسس التى تقوم عليها معرفة الكتاب ليست غير كافية فقط من حيث الكم؛ بحيث لانستطيع أن نقيم عليها شيئًا كاملا؛ بل إنها - أيضا - معيبة من حيث الكيف»[1] .

وندرك خطورة هذه الصعوبة المنهجية فى طريق معرفة الكتاب المقدس حين نقرأ شرح سبنيوزا لتفاصيلها ومايقصده بها على وجه أكثر تفصيلا ودقة؛ يقول: «يجب أن يربط هذا الفحص التاريخى كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التى حفظتها لنا الذاكرة، أعنى: سيرة مؤلف كل كتاب، وأخلاقه، والغاية التى كان يرمى إليها، ومن هو؟ وفى أى مناسبة كتب كتابه؟ وفى أى وقت؟ ولمن؟ وبأية لغة كتبه؟

كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب على حدة: كيف جمع أولا؟ وما الأيدى التى تناولته؟ وكم نسخة مختلفة معروفة عن النص؟ ومن الذين قرروا إدراجه فى الكتاب المقدس؟ . . وأخيرا: كيف جمعت الكتب المقننة[2] فى مجموعة واحدة؟

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة: ص ٢٦٥ من الترجمة التى قام بها الدكتور حسن حنفى.

(٢) المقننة من الفعل (قنن) أى الكتب التى أصبحت قانونية معترفًا بها من الجهات الرسمية اليهودية والنصرانية. . . لأن هذه الجهات قد أقرت مجموعة كتب معينة وجعلتها قانونية وردت ما سواها واعتبرته Apocryphe أى مكذوبًا أو منحولا وموضوعًا أو خفيًا.

أقول: إن الفحص التاريخي يجب أن يتضمن كل هذا . . فمن الواجب أن نعرف سيرة المؤلفين، وأخلاقهم، والهدف الذى كانوا يرمون إليه . . هذا بالإضافة إلى أننا نستطيع أن نفسر - بسهولة أكثر - أقوال إنسان ما، إذا ازدادت معرفتنا بعبقريته الخاصة، وطبيعة تكوينه الذهنى . . . ولكى نعلم أيضا إن كانت هناك يد آثمة قامت بتحريف النص - أو فى حالة كونه غير محرف - إن كانت قد تسربت إليه بعض الأخطاء!! . . يجب أن نعلم كل هذا حتى لانسير كالعميان فيسهل وقوعنا فى الخطأ، وحتى لانسلم إلا بما كان يقينا، لايتطرق إليه الشك»[1] .

هذه هى الظروف والملابسات، أو المعرفة التاريخية، التى يجب أن نعرفها عن هذه الأسفار، وعمن نسبت إليهم، فهل توافرت لنا؟ يجيب هو على هذا السؤال بقوله: «. . . المعرفة التاريخية للظروف الخاصة بكل أسفار الكتاب، لاتتوافر لدينا فى معظم الأحيان، والواقع أننا نجهل الأشخاص الذين كتبوها . . ، أو نشك فيهم!!، كما سأبين بالتفصيل فيما بعد . . ومن ناحية أخرى: لاندرى فى أية مناسبة، وفى أى زمان كتبت هذه الأسفار التى نجهل مؤلفيها الحقيقيين!!، ولانعلم فى أيدى من وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التى وجد لها عدد من النسخ المتباينة، ولانعلم - أخيرا - إن كانت هناك صياغات أو قراءات كثيرة فى مخطوطات من مصدر آخر»[2] .

هذه المعرفة التى حرمنا منها - بسبب الخيانة! - أمر ضرورى ومحتم لفهم هذه الأسفار؛ ذلك أننا «عندما نقرأ كتابًا يتضمن أمورًا لايمكن تصديقها[3]، ولايمكن إدراكها، أو نعرف مؤلفه، وزمن الكتابة، ومناسبتها، ولانستطيع مطلقا أن نعرف ماقصده المؤلف، أو ما كان يمكن أن يقصده، دون أن نعرف هذه الظروف كلها. وعلى العكس إذا عرفنا كل هذا بدقة فإننا ننظم أفكارنا، بحيث نتحرر من جميع الأحكام السابقة، أى لانعطى المؤلف أو من ألف الكتاب من

(١) الرسالة ص ٢٤٦.

(٢) الرسالة ص ٢٥٥.

(٣) مثل الذى أوردته هذه الأسفار بشأن رسل الله الكرام عليهم السلام. انظر البحث الخاص بمكانة الأنبياء فى التوراة، من هذا الكتاب.

أجله، أكثر مما يستحق، أو أقل، ولانتصور أهدافًا سوى تلك التى كان من الممكن أن يضعها المؤلف نصب عينيه» .(١).

وحيال هذا النقص الشديد فى هذه المعلومات الضرورية عن أسفار الكتاب وواضعيها يضرب الفيلسوف سبينوزا صفحًا عن أية معلومات خارجية موضوعة، ويحصر نفسه فى الكتاب نفسه، ومايمكن أن يقدم من معلومات . . أما مزاعم اللاهوتيين وحذلقاتهم حول أسفار الكتاب، فهى غير جديرة ـ عنده ـ بالقبول، ذلك «أننا نرى معظم اللاهوتيين قد انشغلوا بالبحث عن وسيلة لاستخلاص بدعهم الخاصة وأحكامهم التعسفية من الكتب المقدسة، وتأويلها قسرا، وتبرير هذه البدع والأحكام بالسلطة الإلهية!، وهم لايكونون أقل حرصًا وأكثر جرأة فى أى موضع آخر بقدر مايكونون فى تفسير الكتاب»(٢).

كما يدعى هؤلاء الأحبار المتحذلقون أن «الأخطاء الكثيرة الموجودة فى الكتاب المقدس أسرار إلهية أبقاها الله فى الكتاب بعناية؛ فيؤولون النقاط والحروف والعلامات، حتى المسافات البيضاء التى يتركها النساخ ـ بأنها أسرار!! . . كما يتنافسون بشأن النجوم الثمانية والعشرين الموجودة فى وسط إحدى الفقرات . . ؛ بل تبدو لهم أشكال الحروف ذاتها وكأنها تحتوى على أسرار كبيرة»(٣). ويسخر الفيلسوف سبينوزا بهؤلاء الأحبار قائلا: «ولست أدرى إن كان ذلك ناجمًا عن اختلال العقل!، أو عن نوع من تقوى العجائز المخرفين!، أم أنهم قالوا ذلك بدافع الغرور والخبث حتى نعتقد أنهم وحدهم الأمناء على أسرار الله؟ ولكنى أعلم أنى لم أجد مطلقا أى شىء عليه سيماء السر فى كتبهم، ولم أجد فيها إلا أعمالا صبيانية!!»(٤) وهؤلاء «بإمكانهم أن يختلقوا أى شىء بحسب هواهم!! وإنهم ليهذون بالكلية حول الكتاب المقدس!»(٥).

---

(١) الرسالة ص٢٥٥.

(٢) الرسالة ص ٢٤١.

(٣) الرسالة ص ٢٨٩ ـ ٢٩٩.

(٤) الرسالة ص ٢٩٩.

(٥) الرسالة ص ٢٩٧.

وحيال هذا النقص المريع فى المعلومات التاريخية المتوافرة التى تتعلق بسند الكتاب المقدس، ومن أجل فقدان الثقة فى الأحبار، ومايصدر عنهم، فإن سبينوزا لم يحفل في دراسته للكتاب المقدس سنداً ومتنا - إلا بما يستنتجه مباشرة من الكتاب نفسه... فماذا قدم سبينوزا فى هذا الشأن؟

إنه قد ألقى ضوءا باهرا على الفكر النقدى الذى ساقه الحبر اليهودى إبراهيم ابن عزرا مبهما وعامضا حول أسفار الكتاب.

ثم شرح فكره الذاتى عن الكتاب، فعقد فى رسالته المعروفة فصلا عنون له بالعنوان التالى: «الفصل الثامن .. وفيه تتم البرهنة على أن الأسفار الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل والملوك ليست صحيحة، ثم نبحث إن كان لهذه الأسفار مؤلفون كثيرون أم مولف واحد»[1].

ثم شرح سبينوزا خطوات منهجه قائلا: لكى أسير فى بحثى بطريقة منظمة سأبدأ بالأحكام المسبقة المتعلقة بمن قاموا بتدوين الأسفار الخمسة .. لقد ظن الجميع تقريبا أنه موسى؛ بل إن الفرنسيين أيدوا هذا الرأى بإصرار شديد، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين.

ولهذا السبب، فإن ابن عزرا - وهو رجل كان فكره حرا إلى حد ما، ولم يكن علمه يستهان به، وهو أول من تنبه إلى هذا الخطأ (خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية إلى موسى) - فيما أعلم، - ولم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة، واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة. أما أنا، فلن أخشى توضيحها وإظهار الحق ناصعًا[2].

---

(١) الرسالة ص ٢٦٥.

(٢) الرسالة ص ٢٦٦ وابن عزرا هو الحبر المفسر اليهودى الغرناطى إبراهيم بن عزرا، ولد سنة ١٠٩٢م وتوفى فى غرناطة سنة ٥٦٢هـ - ١١٦٧م ... وهو عالم إسرائيلى معروف له وزنه العلمى وتقديره . أما قول الفيلسوف سبينوزا: إن ابن عزرا كان أول من اكتشف خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام، فإن كان يقصد أنه أول عالم يهودي يكتشف ذلك أو يتحدث عنه فقد يكون كلامه صحيحًا مقبولا. أما إن كان يقصد أنه أول باحث يكتشف ذلك علي الإطلاق فكلامه غير صحيح ولا يعتمد على أسس علمية موضوعية؛ ذلك أن ابن عزرا هذا قد عاش فى الأندلس =

الفيلسوف سبينوزا يشرح الفكر النقدى للحبر ابن عزرا:

يسوق سبينوزا - أولا - الأقوال التى صاغها ابن عزرا - معتمداً - بطريقة مبهمة غامضة جدا، أقرب إلى أسلوب «الشفرة أو كلمة السر» منه أسلوب البحث العلمي؛ وذلك خوفا من بطش الأحبار الفرنسيين به، أو ملاحقتهم له، ثم يشرحها سبينوزا شرحًا مفصلا ناصعا، نستنتج ضرورة خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى - على النحو التالى:

«هذه هى أقوال ابن عزرا فى شرحه على التثنية: «فيما وراء نهر الأردن.. إلخ. لو كنت تعرف سر الاثنى عشرة... كتب موسى شريعته أيضا.. وكان الكنفانى على الأرض.. سيوحى به على جبل الله. ها هو ذا سريره، سرير من حديد، حينئذ تعرف الحقيقة .. هذه كلمات ابن عزرا، ويعلق عليها سبينوزا قائلا:

«بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت - فى الوقت ذاته - أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة؛ بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وأن موسى كتب سفراً مختلفًا.!!»[1] .

=وتوفى بها سنة ٥٦٢هـ، أى بعد مائة سنة من وفاة عالم الأندلس ابن حزم، وابن حزم قد أفاض فى هذه المسألة ودرسها بتوسع وتفصيل تامين، وما كتبه ابن حزم مسجل فى كتابه الموسوعى القيم المسمى: الفصل فى الملل والأهواء والنحل «وسنتناوله بالشرح إن شاء الله».

وإنا لنقول واثقين: إن ابن عزرا ما كان له أن يذكر ما ذكره من قدح فى سند التوراة لولا اطلاعه على ماكتبه ابن حزم ...، كما أن ابن عزرا هذا كان قنطرة - إلى جانب الحبر اليهودي المغربى الفاسى سليمان بن ميلخ الذى نشر تفسيره للعهد القديم سنة ٩٦١هـ - ١٥٥٤م فى القسطنطينية، وغيرهما - انتقل بواسطتها فكر ابن حزم النقدى إلى سبينوزا نفسه .. وقد تأثر سبينوزا به تأثرًا عميقًا. وعلى ذلك فإن سبينوزا ليس رائد هذا المجال، مجال نقد الكتاب المقدس نقداً علمياً منهجياً؛ يعتمد على دراسة النصوص ذاتها؛ لكنه سبق بكثير من الأئمة الأعلام، منهم ابن حزم المتوفى سنة ٤٦٥م وإمام الحرمين الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨هـ، والإمام القرطبى المتوفى سنة ٦٧٢هـ وغيرهم من علماء مقارنة الأديان المسلمين، أو من المهتدين إلى الإسلام من علماء اليهود والنصارى مثل: على بن ربن الطبرى (القرن الثالث الهجرى) والحسن بن أيوب (قبل القرن الرابع) والسموأل بن يحيى المغربى سنة ٥٧٠هـ، والحسن بن سعيد الإسكندرانى، وابن قوسين اليهودى.. إلخ.

(١) الرسالة ص ٢٦٦ .

هذه هى النتائج الثلاث التى استخلصها سبينوزا من كلام ابن عزرا السابق؛ وهى تلخص لنا قضية سند التوراة، من رأسها إلى إخمصها وتلخص رأى سبينوزا نفسه فى ذات الوقت؛ لأنها تشتمل على:

١ ـ أن موسى، عليه السلام، لم يكتب هذه الأسفار التى يطلق عليها اليهود والنصارى أنها التوراة وينسبونها إلى موسى.

٢ ـ أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً.

٣ ـ أن موسى عليه السلام قد كتب سفراً مختلفًا عن هذه الأسفار الخمسة المروجة المشهورة.

لكن كيف استنتج سبينوزا هذه النتائج البالغة الوضوح والقطع من كلام ابن عزرا البالغ الغموض والإبهام؟

لأن كلام ابن عزرا كان يرمز إلى جملة حيثيات صادقة تسلم إلى هذه النتائج، على النحو التالى:

١ ـ إن موسى عليه السلام، لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالى، التى جاء فيها: «فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة قائلا[1] . . . إلخ؛ بسبب واضح جدا هو أن موسى لم يعبر نهر الأردن، ومات فى البرية كما جاء فى آخر سفر التثنية ذاته[2].

٢ ـ قد نقش سفر موسى الأصلى كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد[3]، يتكون من اثنتى عشرة حجرة، حسب عدد الأحبار. ومعنى ذلك: أن سفر موسى (الأصلى) كان ـ فى حجمه ـ أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله: «سر الاثنتى عشرة».

---

(١) سفر التثنية ١ : ٥ نعبر الأردن، فى أرض مؤاب، ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة قائلا: الرب إلهنا كلما فى حوريب..».

(٢) سفر التثنية (٣٤ : ٥ ـ ٦).

(٣) جاء فى سفر التثنية (٢٧: ٢ ـ ٨): «تبنون مذبحًا للرب من الحجارة . . .، وتكتبون على الحجارة جميع كلام هذه التوراة كتابة واضحة». وانظر سفر يشوع (٨: ٣٢) «وكتب هناك تثنية اشتراع موسى التى كتبها بحضرة بنى إسرائيل».

٣ ـ يذكر الحبر كـذلك أنه قد ورد فى سفر التثنية : «وقـد كتب موسى هذه التوراة»[١] . . . ويستـحيل أن يكون موسى قـد قال ذلك؛ بل لا بد من أن يكون قائلها كاتبًا آخر يروى أقوال موسى وأعماله.

٤ ـ يذكـر ابن عزرا نصًّـا من سـفر التكـوين (١٢ : ١) يقص فيـه الراوى (يصقـد سبينوزا بالراوى: جـامع الأسفـار الحالية من مـرويات تاريخية ومـصادر مختلفـة مختلطة) رحلة إبراهيم عليـه السلام، فى بلاد الكنعانيين، ويعلـق عليها الراوى (مؤلف التوراة الحالية) بقوله: «والكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض».

وهذا التـعليق يدل بوضـوح على أن الأمـر ـ عندمـا كـان يكتب ـ لم يكن كذلك . . فلابد أن هذه الكلمـات قد كتبت بعد مـوت موسى بزمن ليس بالقليل، بعد أن طرد بنو إسرائيل الكعنانيين من هذه المناطق.

ويشير ابن عزرا إلى هذا المعنى فى شرحه لهذا النص نفسه، فيقول: «وكان الكنعانيون حينئذ فى هذه الأرض» قد يعنى هذا أن كنعان حفيد نوح، استولى على هذه الأرض التى كان يحـتلها من قبـل شخص آخر «والأمـر ليس كذلك فى واقع الأمر). فإن لم يكن الأمر كذلك: فهناك سر على من يعرفه ألا يبوح به!!». ولم يكن هنالك شـخص قبل كنعان يـحتل هذه الأرض، لأنه حسب مـاجاء فى سـفر التكوين: الإصحاح العاشر: كنعان هو أول من فلح هذه البقاع وقطنها.

فـقد الراوى (مـؤلف الأسـفار الحـاليـة) إذا أن وضع هذه الأرض لم يكن كذلك وقـتما كـان يكتب، وإذا فالراوى (واضع التـوراة الحالية) لـم يكن موسى قطعا؛ لأن الكعنانيين ـ فى زمـان موسى ـ كانوا لايزالون يملكون هذه الأرض . . وهذا هو السر الذى يلوح به ابن عزرا، وينصح بكتمانه!!

٥ ـ ذكر الحبر أنه جاء فى سفر[٢]: أن جبل موريا سمى جبل الله، ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع فى بناء الهـيكل، وهذه التسمية

---

(١) جاء فى التثنية (٣١: ٩ ـ ١٠): «وكتب مـوسى هذه التوراة وسلمها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب. وأمرهم موسى قائلا. . ».

(٢) (٢٢ : ١٤): «وسمى إبراهيم ذلك الموضع يهـوه يراه؛ حتى أنه يقال اليـوم ' جبل الرب يرى».

متأخرة جدا عن زمان موسى عليه السلام. واضح أن الراوى هو الذى يحكى أن هذا المكان يسمى اليوم جبل الله.

٦ ـ وأخيراً يذكر ابن عزرا أن مؤلف سفر التثنية يدخل بعض الكلمات فى الرواية الخاصة بـ (عوج: ملك باشان[١] على النحو التالى: «ولقد بقى عوج ملك باشان وحده من بين الرفائيين الآخرين، وها هو سريره.. سرير من حديد، هذا السرير الذى طوله تسعة أذرع الموجودة فى الرباط عند بنى عمون.. إلخ»[٢].

هذه الإضافة تدل بوضوح تام على أن من كتب هذه الأسفار، عاش بعد موسى، عليه السلام، بمدة طويلة.. وطريقته فى الحديث عن الأشياء طريقة مؤلف يروى قصصًا قديمة جدًا، ويذكر بعض الآثار التى مازالت باقية من هذا الزمن البعيد؛ ليجعل كلامه موثوقًا به.. وفضلا عن ذلك، الذى استوى على الرباط المذكور، كما ورد فى سفر صموئيل الثانى: (١٢ : ٣٠).

وليست هذه هى الوحيدة، إذ يضيف الراوى ـ بعد ذلك بقليل ـ إلى كلمات موسى عليه السلام، التى يرويها، هذا الشرح:

«وقد مد يائير بن منسى حكمه على عرجوب حتى حدود الجشوريين والمعكيين، وأطلق اسمه على هذه المناطق، كما أطلق عليها اسم باشان، وهناك قرى حتى الآن باسم يائير»[٣] أقول: ـ والكلام لسبينوزا ـ إن المؤرخ (يقصد كاتب التوراة الحالية) أضاف هذه الكلمات ليشرح بها كلمات موسى التى أوردها قبل ذلك بقليل.

«وقد أعطيت مابقى من جلعاد وكل مملكة باشان التى كان يملكها عوج إلى نصف قبيلة منسى، وسيمتد حكم عرجوب على باشان كلها التى كانت تسمى بأرض العمالقة».

ولاشك أن العبرانيين المعاصرين لهذا الكاتب كانوا يعرفون بلاد يائير التى تنتمى إلى قبيلة يهوذا، ولكنهم لايعلمون أنها تحت حكم عرجوب، وأنها أرض

(١) أحد الملوك الذين حاربهم الإسرائيليون وأخذوا أرضهم.
(٢) انظر: سفر التثنية ٣ : ١١.
(٣) انظر (٤) سفر التثنية (٣ :١٣: ١٤).

العمالقة؛ لذلك اضطر إلى أن يشرح ماهى هذه البلاد التى كان يطلق عليها قديما هذا الاسم، وأن يخبرنا - فى الوقت نفسه - لم سماها سكانها فى هذا الوقت باسم يائير، مع أنهم ينتمون إلى قبيلة يهوذا وليس إلى قبيلة منسى[1].

بهذا الفكر الواضح الواثق شرح سبينوزا ألغاز وأحاجى ابن عزرا التى قدمها على أنها حيثيات دالة على خطأ نسبة الأسفار الخمسة الحالية (التكوين، والخروج، والأحبار، والعدد والتثنية) المسماة بالتوراة - إلى موسى عليه السلام، وعلى أنها - أى هذه الأسفار - روايات تاريخية جمعها مؤلف أو أكثر من مأثورات أو محفوظات أو تواريخ موضوعة لانعرف عنها شيئا، ثم نسبها الأحبار الفرنسيون إلى موسى زورًا وافتراء.

ويحسن بنا أن نوجز للقارئ الكريم هذه الحيثيات في نقاط على النحو التالي:

١ - أشارت الأسفار الخمسة إلى وقائع لم تحدث إلا بعد موسى عليه السلام يقينًا، وجعلته شريكًا فى صنعها.

٢ - أن توراة موسى الحقيقية كانت - بنص الأسفار الحالية - أصغر - فى الحجم - بكثير من هذه الأسفار الخمسة المعروفة.

٣ - أسلوب صياغة هذه الأسفار الحالية يجزم بأن موسى، عليه السلام يكن واضعها؛ وذلك من طريقة إسناد الضمائر، أو التعليق على نص الرواية وشرحها. . . إلخ.

٤ - تشير هذه الأسفار إلى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء إلا بعد موت موسى عليه السلام بزمن طويل؛ ولم يكن ذلك على سبيل التنبؤ الإعجازى من موسى، ولكن كان على سبيل القص الروائى.

---

(٢٥) رسالة سبينوزا فى اللاهوت والسياسة ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

تمثل جهد سبينوزا نفسه - إلى جانب شرحه التحليلى لفكر ابن عزرا - فى إضافة حيثيات أخرى فاتت الحبر ابن عزرا، ثم تعميق بعض أفكاره بأمثلة أخرى لم يتطرق لها، ومشروحات أخرى. وإن كان المفسر اليهودى ابن عزرا قد وقف عند الأسفار الخمسة فى نقده، فإن الفيلسوف اليهودى سبينوزا، قد طبق منهجه النقدى الرصين على أهم أسفار العهد القديم الأخرى، ثم أعلن النتيجة التى انتهى إليها فى لغة واثقة قاطعة، فقال:

«من هذه الملاحظات كلها يظهر واضحا وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة؛ بل كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بقرون عديدة!!»[1] .

علينا إذا أن نتتبعه فى ملاحظاته تلك التى أوصلته إلى هذه النتيجة الحاسمة، فنراه أولا ينقد سلفه ابن عزرا، لأنه «قد فاته أن يذكر أهم الأمور؛ إذ يمكن إبداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على هذه الأسفار» . . . ثم يقدم أربع ملاحظات جديرة بالتأمل، هى:

١ - لاتتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب، وإنما تعطى عنه شهادات عديدة، لايصح ألبتة أن يكون هو الذى أعطاها عن نفسه؛ ومن ثم لايسوغ قطعًا أن يكون هو كاتبها. . . وهذه الشهادات مثل:

«تحدث الله مع موسى»

«وكان الله مع موسى وجهًا لوجه».

«وكان موسى رجلا حليمًا جدًّا أكثر من جميع الناس»[2] .

«فسخط موسى على وكلاء الجيش»[3] .

«موسى رجل الله»[4] .

---

(١) الرسالة ص ٢٧١.

(٢) سفر العدد ٢٥ : ٣.

(٣) سفر العدد ٣١ : ١٤.

(٤) سفر التثنية ١٣ : ١.

«لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده فى بنى إسرائيل كموسى»[1].

وعلى العكس من ذلك، فإن موسى يتحدث ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى سفر التثنية التى كتبت فيها الشريعة، التى شرحها موسى للشعب، والتى كتبها بنفسه، فيقول مثلا:

«كلَّمنى الرب»

«رجوت الرب» . . إلخ [2].

إلا فى آخر السفر، حيث يستمر المؤلف بعد أن نقل أقوال موسى ـ يحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة، التى شرحها موسى كتابة، ثم أعطاهم تحذيرًا أخيرًا، وبعد ذلك انتهت حياته.

«كل ذلك (أعنى: طريقة الكلام، والشواهد، ومجموع نصوص القصة كلها) يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار، بل كتبها شخص آخر»[3].

٢ ـ يجب أن نذكر أيضا أن هذه الرواية ـ الواردة فى الأسفار الحالية ـ لاتقص فقط موت موسى. ودفنه، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه؛ بل تروى ـ أيضا ـ أنه فاق جميع الأنبياء، إذا ماقورن بالأنبياء الذين جاءوا بعده:

«ولم يقم من بعده نبى فى إسرائيل كموسى الذى عرفه الرب وجهًا لوجه»[4].

---

(١) يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى هو السفر الوحيد الذى يمكن نسبة محتواه إلى موسى؛ لأنه قد احتوى على الشريعة التى شرحها موسى لبنى إسرائيل. ومن جانبنا نقول: إن هذا السفر قد احتوى على وصايا خلقية، وآداب شرعية لا ريب أن فيها بقية وحى وأثارة نبوة؛ لأنها من معدن التعاليم والآداب التى يدعو الأنبياء إليها، ولا بأس برأى سبينوزا هذا؛ لأن مثل هذه التعاليم قد حث عليها القرآن الحكيم والسنة المطهرة، ومن ثم فهى صادقة فى ـ سفر التثنية ـ فى جزء كبير من مضمونها ومحتواها.

(٢) التثنية ٢: ١/١٧.

(٣) الرسالة ص ٢٦٩

(٤) التثنية ٣٤: ١.

هذه شهادة لم يكـن من الممكن أن يدلى بها موسى نفســه، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة؛ بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة، وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى . . ولاسيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرة:

«ولـم يقم من بعده نبى فى إسرائيل».

ويقول عن القبر:

«ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا».

٣ ـ يجب أن نذكـر ـ أيـضـا ـ والكلام للفـيلسـوف سـبـينوزا ـ أن بعض الأماكن، لم تـطلق عليهـا الأسماء التى عـرفت بها، فى زمن مـوسى؛ بل أطلق عليها أسـماء عرفت بها بعده بوقت طويل؛ إذ يقـال ـ فى التوراة ـ إن إبراهيم تابع أعداءه حتى (دان) [١]، وهو اسم لم تأخـذه المدينة ـ التى تحـمله ـ إلا بعد مـوت يشوع بمدة طويـلة (ويشوع هو فتى مـوسى عليه السـلام وخليفتـه) جاء فى سـفر القضاة:

«سمـوا المدينة (دان)، باسم أبيـهم الذى ولد لإسرائيل، وكـان اسم المدينة قبل ذلك: لاييش[٢]» فكيف يذكر موسى ـ وهو يقص قـصة إبراهيم عليه السلام: أنه جد فى طلب أعدائه إلى مدينة دان، وهى لـم يطلق عليها هذا الاسم إلا بعده بزمن طويل جداً؟!!

٤ ـ تمتد روايات التوراة ـ فى بعض الأحيان ـ إلى مـا بعد موسى . . فيروى سـفـر الخروج: أن بنـى إسرائيـل أكلوا المن أربعـين سنة حـتى وصلوا إلى أرض مـسكونة على حدود بلاد كنعـان [٣]، أى حتى الـلحظة التى يتحـدث عنها سـفر يشوع[٤].

---

(١) سفر التكوين ١٤ ـ ١٤.

(٢) سفر القضاة ١٨ : ٢٩.

(٣) سـفـر الخروج ١٦ : ٣٥ «وأكل بـنو إسرائيـل المن أربعين سنة إلى أن ذهبـوا إلى أرض عامرة، أكلوا المن إلى حين وافوا أرض كنعان».

(٤) يشوع: ٥ :١٢ «فانقطع المن من الغد منذ أكلوا من غلة الأرض . .»

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكمـوا الأدوميين زمن داود ـ بعد موسى بزمان طويل جدا ـ «وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك ملك بنى إسرائيل» (١).

هذه هى الملاحظات أو البـراهين التى أوردها باروخ سـبينوزا، وهى تضـاف إلى ما أورده ابن عزرا، وبناء عليها يقرر سبينوزا:

«من هذه الملاحظات كلها، يظهر واضحـا وضوح النهار، أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة، بل كتبها شخص آخر، عاش بعد موسى بقرون عديدة!!»(٢).

أين توراة موسى؟!

يبحث سبينوزا بحثًا دقيقًا عن السفر الحقيقى الذى كتبه موسى عليه السلام، والعلاقـة بينه وبين هذه الأسـفار الخـمسة التـى لم يكتبـها موسـى قط، وإن كان الأحبار الفريسيون يصرون على نسبتها إليه كذبًا وزورًا.

يرى سبينوزا، طبقا لإشارات الأسفار الحـالية، أن موسى كتب بنفسه ـ بأمر الرب ـ سـفرا يسـمى: «سفـر حروب الـرب»، يحتـوى على قصـة الحرب ضـد العماليق(٣).

وهناك إشـارة إلى سفـر آخـر يسمى: (سـفـر العهـد)، قـرأه موسى أمـام الإسـرائيليين(٤) عندما عقـدوا عهدا مع الرب، ويرجح سبينوزا أن مـضمون هذا السفر متضمن فى الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالى(٥).

---

(١) التكوين ٣٦ : ٣١.

(٢) الرسالة ص ٢٧١ وينبـغى علينا أن نذكر القـارئ الكريم بأن سبينـوزا لم يبن أحكامه هذه على استنتاجات العـقل من مصادر خارج نصوص التوراة ذاتها أو علـى الأحكام السابقة عنها، وإنما بنى أحكامه على ملاحظـاته المرتكزة على قراءة هذه الأسفار، وفحـصها فحصًا دقـيقًا، أى أن نص هذه الأسفار ـ بما احتوى عليه ـ يتضمن هذه النتيجة الحاسمة التى قطع بها سبينوزا، ومن قبله الحبر اليهودى ابن عزرا.

(٣) جاء فى سفر الخروج ١٧ : ١٤ «وقـال الرب لموسى: اكتب هذا ذكرا فى الكتاب .. إلخ» وجاء فى سفر العدد ٢١: ١٤ «ولذلك يقال فى كتاب حروب الرب...».

(٤) يشعر هذا بأن ذلك السفر كان وجيزًا جـدا فأمكن له قراءته أمام الشعب فى موقف واحد، وكلمة سفر تطلق على الرسالة أو الورقة أو الكتاب.

(٥) ٢٠: ٢٢ ـ ٢٤.

وهنالك ذكر لسفر يسمى: «توراة الرب» أو «توراة الله» . . ثم شرح موسى الشرائع التى سنها، وأخذ من الشعب ميثاقًا جديدًا بأن يظلوا خاضعين للشريعة، ثم كتب ذلك كله فى سفر توراة الله[1].

ثم قطع يشوع عهدا مع بني إسرائيل بعد موت موسي، وكتبه في سفر «توراة الرب» أين سفر «توراة الله» أو «توراة الرب».

يجيب سبينوزا:

«لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى على عهد موسى وفى نفس الوقت على عهد يشوع، فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد. !!».

و«نستنتج إذًا أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية؛ بل كان سفرًا مختلفًا كلية» [2].

ويرى سبينوزا ـ بناء على ما جاء فى الأسفار الحالية ـ أن سفر توراة الله الذى كتبه موسى كان صغيرا جدًا ـ لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار، ثم طلب قراءته أمام الشعب فى أوقات معلومة، وهذا يدل على أنه كان أقل حجمًا بكثير من الأسفار الخمسة؛ إذ كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع [3]. معنى ذلك: **أن التوراة الأصلية، ليست هى هذه الأسفار الحالية.**

ثم يذكرنا سبينوزا، ويعيد علينا، نتيجة فحصه لسند التوراة قائلا:

«وأخيرًا، لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة تمنع أن يكون موسى كاتبها، فإن أحدا لايستطيع أن يؤكد، عن حق، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة؛ بل على العكس، **يكذب العقل هذه النسبة**»[4].

---

(١) جاء فى سفر التثنية ٣١: ٩ «كتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الكهنة بنى لاوى حاملى...».

(٢) الرسالة ص ٢٧٢.

(٣) الرسالة ص ٢٧٣.

(٤) الرسالة ص ٢٧٣.

سبينوزا ينقد سند بقية أسفار العهد القديم:

بحث الرجل فى الجزء السابق سند الأسفار الخمسة، ويفحص فى هذا الجزء بعض أسفار العهد القديم الأخرى، وهل نسبتها إلى من نسبت إليهم صحيحة لها مايؤيدها، أم أنها نسبت إليهم نسبة باطلة لاتستند إلى برهان. ويرتكز الرجل ـ فى فحصه ـ على معطيات هذه الأسفار ذاتها، دونما تعديل على الأحكام الشائعة الموروثة، أو على افتراضات العقل البعيدة عن واقع النص ومعطياته، وهو ـ فى رأينا ـ منهج سديد، رشيد فى نقد النصوص.

سفر يشوع:

بدأ بسفر يشوع؛ لأنه أهم أسفار العهد القديم بعد الأسفار الخمسة وقال: «سنبرهن ـ لأسباب مماثلة ـ أن سفر يشوع ليس من وضع يشوع»[1]، وتتلخص هذه الأسباب فى : أن شخصا يشهد ليشوع ـ فى السفر المنسوب إليه ـ بأن شهرته قد طبقت آفاق الأرض . . . فقد ورد فى السفر المذكور: «وكان الرب مع يشوع وذاع خبره فى كل الأرض»[2].

كما شهد له بأنه لم يغفل شيئًا مما أوصى به موسى: «لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يناد بها يشوع بحضرة جماعة إسرائيل. . .»[3].

وبأنه عندما تقدم به السن دعا الجميع كلى المجمع، ثم قضى نحبه: «وجمع يشوع أسباط إسرائيل . . وقال يشوع لجميع هذا الشعب . . فقال الشعب ليشوع . . وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الرب . . وكان بعد هذا الكلام أن مات يشوع بن نون عبدالرب ابن مائة وعشر سنين، فدفنوه فى تخم ملكه»[4].

وعلاوة على ذلك، فإن الرواية تمتد إلى الوقائع التى حدثت بعد موته،

---

(١) الرسالة ص ٢٧٤.

(٢) سفر يشوع ٦ : ٢٧.

(٣) سفر يشوع ٨ : ٣٥.

(٤) سفر يشوع : ٣٤ : ١ - ٣٠.

فيذكر مؤلف سفر يشوع مؤكدا: أن الإسرائيليين كانوا يعظمونه بعد موته ما عاش المسنون الذين عرفوا يشوع.

ويذكر السفر: أن أفرائيم ومنسى لم يطردا الكنعانيين المقيمين بجازر .. فأقام الكنعانيون بين أفرائيم إلى هذا اليوم، وكانوا عبيدا يؤدون الجزية: «فلم يطردوا الكنعانيين .. فسكن الكنعانيون فى وسط أفرائيم إلى هذا اليوم» [1] .. والغريب المدهش أن هذه القصة المروية فى سفر يشوع، قد رويت بنصها فى سفر القضاة[2].

ويعلق الفيلسوف سبينوزا على ذلك بقوله:

«وتدل هذه الطريقة فى الحديث باستعمال كلى إلى يومنا هذا، على أن من يكتب ذلك يتحدث عن شىء قديم للغاية» [3]. وهنالك أمثلة أخرى على هذه الملاحظة المهمة وردت فى نص السفر[4].

وأخيرا يظهر بوضوح من رواية السفر: «ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولابعده، سمع فيه الرب صوت إنسان ... إلخ»[5] أن هذا السفر كتب بعد يشوع بقرون عديدة[6].

ويجزم سبينوزا بأن يشوع إذا كان قد كتب سفرا، فهو سفر مفقود أشير إليه فى سفر يشوع ذاته باسم: «سفر المستقيم»[7]، ولا نعرف عنه شيئا سوى تلك الإشارة.

فنسبة سفر يشوع بن نون فتى موسى وخليفته ـ فى تحليل سبينوزا واستنتاجه

(١) سفر يشوع ١٦ : ١٠.

(٢) القضاة ١ : ٢٨ ـ ٣٠.

(٣) الرسالة ص ٢٧٥.

(٤) سفر يشوع ١٥ : ٦٣، ١٥: ٤ ـ ١٩، ٢٢: ١٠

(٥) يشوع ١٠ : ١٤.

(٦) الرسالة ص ٢٧٥.

(٧) سفر يشوع ١٠ : ١٣.

ـ باطلة، ومن ثم فهـو ـ مثل الأسفار الخـمسة ـ مجهـول المؤلف، وهذا قدح فى سلطته الدينية؛ بل إلغاء لها.

سفر القضاة:

وإن سفـر القضـاة ليس أفضل سندًا من سـابقه ـ فى رأى سـبينوزا ـ فـهو لايظن أن شخصًا سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه؛ لأن نهاية الرواية تكشف ـ بوضوح ـ أن مـؤرخًا واحدًا هو الذى كتبـه كله، من أوله إلى آخره؛ إذ جاء فيه:

«وفى تلك الأيام لم يكن لبنى إسـرائيل ملك، وكان كل إنسـان منهم يعمل ما حَسُنَ فى عينيه» [1] ومن جهة أخرى، فلما كـان مؤلفه يكرر دائما أنه لم يكن هناك فى عـصره أى ملك لإسـرائيل، فلاشك أنـه لم يكتب إلا بعد أن كـان لبني إسرائيل ملوك[2].

سفر صموئيل:

وأسفار صمـوئيل كذلك، قد كتبت بعد صموئيل، بعـدة قرون؛ لأن القصة تستـمر بعد وفـاته بوقت طويل. ثم يعرض سبـينوزا لأسفار أخـرى بنفس المنهج، وينتهى ـ بعد فحص سندها ـ إلى هذه النتيجة:

«وبذلك ننتهى إلـى أن كل الأسفار التى عـرضنا لها ـ حتى الآن ـ قـد كتبـها مؤلفون آخرون، غير الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم»[3] أو تنسب إليهم.

هل وضع هذه الأسفار مؤلف واحد أو أكثر؟!

بعد أن قـرر سبـينوزا أن نسبـة التوراة الحـالية إلى مـوسى، وكذا الأسـفار الاخرى التى وضـعت أسماؤهم عليـها، كذب وباطل، يسـأل: هل كتب كل هذه

---

(١) القضاة ٢١ : ٣٥.

(٢) الرسالة ص ٢٧٦، وملك بنى إسرائيل قام إثر عهد قضاتهم الذين ينسب لهم هذا السفر.

(٣) الرسالة ص ٢٧٦.

الأسفار مؤلف واحد أو أكثر؟!، ثم يـقرر جوابًا لهذا السؤال بنفس المنهج النقدى الذى تبناه، فيقول:

«إذا نظرنا إلى تسلسل الأسفـار كلها، وإلى محتواها، رأيـنا بسهولة، أن الذى كتبـها مؤرخ واحد؛ أراد أن يروي تاريخ إسرائيل القـديم منذ نشأتهم الأولى، حتى هدم المدينة (يقصد أورشليم) لأول مرة»[1].

فمن ملاحظة ثلاثة أمور، هى:

١ ـ وحدة الغرض فى جميع الأسفار التى فحصها.

٢ ـ طريقة تسلسل هذه الأسفار، أو طريقة ربطهـا ببعضها، وتخلص المؤرخ من سفر إلى آخر.

٣ ـ المحتوى

استنتج سبـينوزا أن مؤرخًا واحدًا هو الذى كتب جمـيع هذه الأسفار، ثم نسبها إلى موسى وغيره زورًا وكذبًا.

هل عزرا هو الذى كتب هذه الأسفار؛

لايقطع سبينوزا بأن عـزرا هو مؤلف التوراة والأسفار السبـعة الأخرى لكنه يرجح أن يكون هو كاتبها، ويستند فى ترجيحه هذا على بعض الاعتبارات، وهى:

١ ـ أن رواية هذه الأسفار جميعها ـ رواية واحدة، لكاتب واحد، أو مؤرخ واحد، له غـرض واحد، وطريقتـه فى التسلسل والعـرض واحدة، كمـا ذكر من قبل.

٢ ـ هذا الراوى أو المؤرخ الواحد ـ كما يحكى عن نفـسه ـ كان جالسًا طيلة حيـاته على مـائدة الملك؛ وسواء كـان هذا الملك «يواكين» الذى تمتـد الرواية إلى عصـره، أو «نبوخذ نصـر» فأمر غـير محـقق في النص ـ فإن سبـينوزا يقطع بأنه لايمكن أن يكون الراوى سابقًا على عـزرا؛ لأنه هو الذى جلس على مائدة الملك طيلة حياته.

---

(١) الرسالة، نفس الموضع.

٣ ـ كما أنه لم يبرز أو لم يزدهر عالم من علماء بنى إسرائيل فى هذه الفترة التى امتدت إليها الرواية، والتى جلس راويها على مائدة الملك سوى عزرا، . . . وقد أشارت الأسفار إلى أن عزرا قد عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها، وكان كاتبًا ملمًا كل الإلمام بشريعة موسى . . ، ولم يعكف على فهم الشريعة فحسب؛ بل عكف على عرضها[1].

٤ ـ يرى سبينوزا أن سفر التثنية الحالى يشتمل على أكبر جزء من سفر (توراة الله) أو هو يفترض أن سفر التثنية الحالى هو سفر توراة الله برواية عزرا، وهو يشتمل على سفر توراة الله الذى كتبه موسى، مع الشروح التى أضافها إليه عزرا. وأمر إضافة الشروح له أمثلة أخرى كثيرة ـ يشير إليها سبينوزا ـ فى هذا السفر[2].

ويقارن سبينوزا الوصايا العشر فى سفر التثنية، بالوصايا العشر الواردة فى سفر الخروج، ويقول عنها: «أجد اختلافات من جميع النواحى. . . ، لذلك أعتقد أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك؛ لأنه شرح الشريعة لمعاصريه».

كما يعتقد أن أول سفر كتبه عزرا، هو سفر التثنية؛ لأن فيه قوانين الأمة التى يحتاجها الشعب خاصة؛ ولأنه لايرتبط بسابقه كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعا؛ بل يبدأه فجأة: «هذه هى أقوال موسى . . إلخ».

ويرى سبينوزا أن عزرا بعد أن أكمل هذا السفر، وعلم الشرائع للشعب، شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله، منذ خلق العالم، حتى التدمير الأعظم لمدينة أورشليم . . **وربما كان سبب تسمية الأسفار الخمسة الأول باسم موسى؛ لأنها تدور حول حياته؛ لا لأنه هو الذى كتبها، ولهذا السبب نفسه سمى السفر**

---

(١) انظر سفر عزرا ٧:٦ «صعد عزرا هذا من بابل وهو كاتب ماهر فى توراة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل، فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلهه . وفى (٧: ١٠) : «لأن عزرا وجه قلبه لالتماس شريعة الرب وليعمل فى إسرائيل بالرسوم والأحكام».

(٢) التثنية: (٢: ١٢) وهى شرح ٣، ٤، (١:٦، ٧، ٨، ٩)، (٩: ٢٠).

السادس باسم يشوع، والسابع باسم القضاة، والثامن باسم راعوث، والتاسع وربما العاشر باسم صموئيل، والحادى عشر والثانى عشر باسم الملوك»[1].

سند الأسفار الأخرى:

هذه هى الأسفار التى يرجح سبينوزا أن عزرا هو مؤلفها لجملة الأسباب السالفة أما بقية أسفار العهد القديم، فإن سبينوزا يرى أن سفرى الأخبار مثلا «قد كتبا بعد عزرا بمدة طويلة؛ ربما بعد أن أعاد يهوذا المكابي بناء المعبد» وعن رأيه فيها يقول: **«وأنا لا أعلم شيئًا يقينًا عن مؤلفيها الحقيقيين، وعن السلطة التى يجب الاعتراف بها لها، وعن فائدتها والعقيدة التى تعرضها؛ بل إنى لأعجب كيف أدخلت هذه الأسفار فى عداد الكتب المقدسة!؟»**[2].

ورأيه فى المزامير، أنها قد جمعت وقسمت إلى خمسة أسفار بعد إعادة المعبد، ويستشهد برواية الفيلسوف الإسكندرى اليهودى فيلون Phillo فى ذلك. كما يعتقد أن أمثال سليمان قد جمعت فى نفس العصر، **وهنا يظهر حسرته على سلطة الأحبار المطلقة فى إدخال مايشاؤون فى الكتب المقدسة وإخراج مايشاؤون منها**[3].

---

(١) الرسالة ص ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١.

والوصايا العشر هى الكلمات التى كتبت لموسى عليه السلام فى اللوحين، ولها صياغتان، واحدة فى سفر الخروج (٢٠: ١ ـ١٧) والثانية فى سفر التثنية (٥: ٦ ـ ٢١) وصياغة سفر الخروج وجيزة مركزة، أما صياغة التثنية فهى مطولة مفصلة، وهذا التفصيل ـ فيما يستنتج سبينوزا ـ شرح ألحقه عزرا بالنص الأصلي؛ لأنه من المعروف أن هذه الوصايا كتبت لموسى مرة واحدة، بصياغة واحدة فقط، وهذه الوصايا هى:

١ ـ لايكن لك آلهة أخرى تجاهى. ٢ ـ لاتصنع لك منحوتا. ٣ ـ لاتحلف باسم الرب إلهك باطلا. ٤ ـ اذكر يوم السبت لتقدسه. ٥ ـ أكرم أباك وأمك. ٦ ـ لاتقتل. ٧ ـ لاتزن. ٨ ـ لاتسرق. ٩ ـ لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولاثوره، ولا حماره. ١٠ ـ لاتشهد شهادة زور.

(٢) الرسالة ٣٠٩.

(٣) فيلون هو الفيلسوف المعروف الذى ولد سنة ٢٠ ق.م، وقام بشرح رمزى على سفر التكوين، ورأى أن الفلسفة اليونانية قد استمدت كثيرًا من الحكمة الموسوية، ولفيلون هذا تأثير فلسفى كبير على كل من يوحنا الإنجيلى، وبولس فى رسائله:

انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٢٤٧ ـ ٢٥١، طبعة دار القلم، بيروت.

وسفر أرميـاء، عنده، مجمـوعة نصوص مأخـوذة من مؤرخين مخـتلفين، وهذا هو سبب الخلط الواقع فيه، ولا يوجد سبب آخر يفسر هذا الخلط(١).

أما سفر حزقيال، فإنه شذرة باقية من كتاب(٢). ويؤكد أن سفر هوشع كان أطول مما هو عليه(٣)، ويقرر أن سفر دانيال قد أخذ من كتب الأخبار الكلدانية(٤).

وسفر عزرا يرتبط بسـفر دانيال بحيث يسهل إدراك أن كاتبهمـا واحد استمر فى كتابة تاريخ اليهود منذ وقوعهم فى الأسر الأول(٥). ولا يتردد سبينوزا فى ربط سفر إستير بسفـر عزرا هذا، ويقول: «وإذن فنحن نؤكد أن هذه الأسفار الأربعة: دانيال، وعزرا، وإستيـر، ونحميا، قد كتبهمـا مؤرخ واحد . . أما من يكون هذا المؤرخ؟ فإنى لا أستطيع حتى مجرد التخمين به»(٦).

وعلى الجملـة، فهذه هى تحليـلات سبـينوزا وتقريراته حول أسـفار العـهد القـديم، وما نذكـر به هنا هو أن سبـينوزا قد تـوفى سنة ١٦٧٧م التى توافق سنة ١٠٨٧هـ، وأن الحـبـر اليهـودى ابن عـزرا الأندلسى ـ الذى حلل سـبـينوزا رأيه النقدى الرامى إلى عـدم صحة نسـبة الأسفار الخـمسة إلى مـوسى ـ قد توفى سنة ١١٦٧م التى توافق سنة ٥٦٢هـ.

ابن حزم الأندلسى يفحص سند التوراة وأسفار العهد القديم:

ننتقل إلى دراسة رأى بعض علماء مقارنة الأديان المسلمين حول سند التوراة وأسفار العـهد القديم الأخرى، ونبدأ بعرض فكـر ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة

(١) الرسالة ص ٣٠٩.
(٢) الرسالة ص ٣١٣.
(٣) الرسالة ص ٣١٥.
(٤) الرسالة ص ٣١٦.
(٥) الرسالة ص ٣١٦.
(٦) الرسالة ص ٣١٨.

٤٥٦هـ، أى قبل وفاة ابن عـزرا الذى عده سبينوزا أول من شك فى نسبـة أسفار موسى إليه ـ بمائة سنة تقريبا، وقبل وفاة سبينوزا نفسه بأكثر من ستة قرون[1].

قرر ابن حزم أن هذه الأسـفار الخمسـة المسماة بالتوراة والرائجـة بين اليهود والنصارى، ليـست هى التى أوحاها الله إلى موسى عليـه السلام. وأنه لم يكتبـها لبنى إسرائيـل، وأنها لاتثبت إليـه بالسند المتصل الذى ترويه الكافـة التى يستـحيل اتفاقهـا على الكذب، عن الكافة مثلهـا إلى موسى عليه السلام. ويـرى أن اليهود والنصارى ينسبون هذه الأسفار إلى موسى كذبًا وباطلا.

وأن الذى كتب لهم هذه الأسفار الحالية هو عزرا الوراق[2]. ذلك حكم ابن حزم، وهو قد ارتكز فى تأسيسه على مقدمات ضرورية استقاها من دراسة الأسفار نفسها، وماتقدمه من معطيات، وتتمثل براهينه على عدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى فى التالى:

---

(١) ودراسة فكر ابن حزم النقدى للأسـفار المقدسة، تبرهن على خلاف مـايذهب إليه الدكتور حسن حنفى فى ترجـمته القـيمة لرسـالة سبينوزا، حـيث يقول: «يعتـبر النقد التـاريخى للكتاب المقدس، أحد المناهج العلمـية التى وضعتها الفلسـفـة الحديثة، كما يعتبـر من أهم مكاسب الحضارة الأوروبية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل، نتجت عن تأليـه العقل فى القرن السابع عشر، وإخضاع الطبيعـة له، فكما أن هناك نظامًا للطبيـعة، هناك أيضا قوانين لضبط صـحة الرواية، ولا فرق بين الظاهرة الطبيـعية والنص الدينى . . . كـلاهما يخضع للعـقل وقواعده» (ص ١٨ الرسـالة) والنقد التاريخى للكتـاب المقدس لم يكن وليـد الفلسفة الحـديثة بحال، وليس من أهم مكاسب الحـضارة الغربية الحـديثة، وليس وليد القرن السابع عـشر الميلادى؛ بل هو وليد الحضارة الإسـلامية والفكر الإسلامى، وابن حزم مـثلا سابق للقرن السـابع عشر والفلسفة الحـديثة بستة قـرون أو أكثر، وإن حركة نقد الكتـاب المقدس فى الغرب قد تأثر فلاسفـتها وأعلامها بالفكر الإسـلامى واستمدوا منه بشكل مبـاشر، وغير مـباشر، وقد برهنت على ذلك فى تعليق سـابق. وأما قوانين ضبـط صحة الرواية والإسناد فأبوتهـا الشرعية فى الفكر الإسلامى وهذا «الجـانب تنفرد به الحضارة الإسـلامية، ولانعرف له فى الحضـارات الأخرى شبيهًا» د. ف. سزكين: «محاضرات فى تاريخ العلوم» ص ٤٣ طبعة ١٩٧٩م بالرياض. وهـذا أمر ثابت مقرر لايحتـاج إلى زيادة تدليل أو براهين، فالإسناد (فى النصوص الدينية) من الدين ذاته؛ كما قرره علماؤنا الثقات.

(٢) ابن حزم: الفـصل، جـ١ ص ٢٨٨، نشرة عكاظ بالرياض ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م وهى محـققة تحقيقا غير علمى.

١ ـ ما ورد فيها من نصوص تقطع بأن موسى عليه السلام لايصح ألبتة أن يكون هو كاتبها، مثل: «فتوفى موسى عبدالله بذلك الموضع من أرض مؤاب مقابل بيت فغور . . ، ولم يعرف آدمى موضع قبره إلى اليوم . . ، وكان موسى يوم توفى ابن مائة وعشرين سنة . . لم ينقص بصره، ولا تحركت أسنانه . . ، فنعاه بنو إسرائيل ثلاثين يومًا، وأكملوا نعيه . . ، ثم إن يشوع بن نون امتلأ من روح الله (يقصد تنبأ وأوحى إليه) . . وسمع له بنو إسرائيل (بعد أن دعاهم بالطبع) . ولم يخلف موسى فى بنى إسرائيل نبى مثله»[١] .

يعلق ابن حزم على نص التثنية هذا بقوله:

«هذا آخر توراتهم، وتمامها، وهذا شاهد عدل، وبرهان تام، ودليل قاطع، وحجة صادقة فى أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلَّف، كتبه لهم من تخرص بجهله، أو تعمد بكفره، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى؛ إذ لايمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى فى حياته.

وقوله: «لم يعرف قبره آدمى إلى اليوم» بيان كاف لما ذكرنا، وأنه تاريخ ألّف بعد دهر طويل ولابد»[٢] .

٢ ـ ما احتوت عليه هذه الأسفار من أغاليط وأكاذيب وتناقضات بينة، لايمكن دفعها ولا تأويلها . . ، وما اشتملت عليه من تطاول على مقام الله تعالى وملائكته ورسله . . ، وقد حشد ابن حزم من هذه الأغاليط والأكاذيب أمرًا عجبًا، وقال فى آخره:

«ها هنا انتهى ماوجدنا فى توراة اليهود التى اتفق عليها الربانيون والعانانيون، والعيسويون، والصدقيون[٣] منهم ـ مع النصارى أيضا ـ بلا خلاف منهم فيها ـ من الكذب الظاهر فى الأخبار، وفيما يخبر به عن الله تعالى، ثم عن ملائكته، ثم عن رسله عليهم السلام من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة إلى

---

(٤) سفر التثنية ٤٣ : ٥ ـ إلى آخره.

(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ويجمل بالقارئ أن يقارن بين كلام ابن حزم هذا، وكلام كل من ابن عزرا وسبينوزا السابق.

(٣) هذه بعض فرق اليهود، وسندرس هذه الفرق فى فصل مستقل إن شاء الله.

الأنبياء. . ، ولو لم يكن فيها إلا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا، لكان موجبا ـ ولابد ـ لكونها موضوعة محرفة مبدلة مكذوبة، فكيف وهى سبعة وخمسون فصلا[١]؛ من جملتها فصول يجمع الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات، سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى. . والكذب لائح ولابد فى إحدى الحكايتين، فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة فى مقدار توراتهم؟! **وإنما هى مقدار مائة ورقة وعشر ورقات، فى كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطراً، إلى نحو ذلك، بخط هو إلى الانفساح أقرب، يكون فى السطر بضع عشرة كلمة!!»**[٢].

٣ ـ هذه الأسفار الخمسة ـ فى رأيه ـ لايمكن أن تكون «توراة موسى»؛ لأن هذه الأخيرة كانت وجيزة جدا بحيث تقرأ فى مجلس واحد، يقول ابن حزم: . . وأيضا فإنه (يقصد المؤرخ أو واضع الأسفار الحالية) قال: ثم كتب موسى هذا الكتاب، وبرى به إلى الكهنة من بنى لاوى . . ، وقال لهم موسى: إذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب إلهكم فى الموضع الذى تخيره الرب، فاقرأوا ما فى هذا المصحف، فى جماعة بنى إسرائيل، عند اجتماعهم فقط، ليسمعوا مايلزمهم»[٣].

هذا مايتعلق بالنقد الداخلى لنص الأسفار الخمسة، والشواهد التى قدمها ابن حزم، شواهد مسلمة تبرهن على قراره القاطع بعدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى، **كما يلاحظ أن سبينوزا الذى جاء بعده بستة قرون ونصف قد أورد نفس الشواهد تقريبًا، وعلق عليها بألفاظ ابن حزم مثل قوله: «إنها تاريخ مؤلف» و «ألف بعد موسى بقرون عديدة» و «أن كتاب موسى كان يقرأ فى مجلس واحد» إلخ. وهذا يجعلنا نقرر أن باروخ سبينوزا لم يكن منصفا عندما ذكر أن ابن عزرا الغرناطى كان أول من شك فى نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام.**

وإن ابن حزم كان ـ بحق ـ صاحب جهد عظيم فى بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس، يجعله الدارس الأكبر فى هذا الحقل

---

(١) سنورد أمثلة لذلك عند حديثنا عن تناقض متن التوراة إن شاء الله.

(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٨٥.

(٣) الفصل جـ ١ ص ٣٠٠.

العلمي؛ حقل مقـارنة الأديان . . ، وقد سبق ابن حزم بجـهود الجاحظ والكندى الفيلسوف، وعلى بن زين الطبرى، والقاضى عبدالجبار وغيرهم.

وجوه من النقد الخارجي:

أفاض ابن حـزم ـ بما لم يسبق إليـه فيـما نعلم ـ فى درس وجوه مـن النقد الخارجى تتـعلق بهذه التـوراة المنسوبة إلى موسى علـيه السلام. . ، فـقال: «نحن نصف إن شاء الله حال كون التوراة عند بنى إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليـه السلام، إلى انقراض دولتـهم. . إلى رجوعـهم إلى بيت المقدس . . إلى أن كتبهـا لهم عزرا الوراق». فهو سيشرح موقف بنى إسـرائيل ـ عبر تاريخهم كله ـ من التوراة، وبعبارة أخرى: سيبحث مدى عناية بنى إسرائيل بالتوراة، ومن كـان يقوم على حـفظها من بينـهم؟ . . . وأين كانت تحـفظ؟ . . وهل نقلت من جـيل إلى جـيل تواتراً . . إلخ. وغـرض ابن حزم من ذلك أن يـضع أيدينا على برهان حـاسم آخـر مـؤداه: **أن الظروف التى مـرت بـها الـتوراة الأصـليـة عند بنى إسرائيل كانت مناسبة جـدا، بل كانت أنسب ظروف يمكن للتوراة، بل ينبغي لها أن تحرف، وتبدل، وتغير، وتزيف فيها.**

يقول: «فاعلموا ـ الآن أن التوراة لم تكن ـ من أول دولتهم إلى انقضائها ـ إلا عند الهارونى الكوهن الأكبر وحده، فى الهيكل فقط»[(١)].

«وفى سفـر التثنيـة: ومن بعد أن كـتب موسى هذه العـهود فى مـصحف، واستـوعبـها، أمـر بنى لاوى حـاملى تابوت عهـد الرب، وقال لهم: خـذوا هذا المصـحف واجـعلوه فى المذبح، واجـعلوا عليـه تابوت عـهد الـرب إلهكم ليكون عليكم شاهدا»[(٢)].

«وقال موسى فى السـفر المذكور: إذا استجمـعتم على تقديم ملك عليكم،

---

(١) الفـصل جـ ١ ص ٢٩٤، ١٩٧ والكاهن الهارونى من أولاد هارون من سـبط لاوى، وهم أحبار بنى إسرائيل وسدنة الهيكل.

(٢) الفصل جـ ١ ص ٣٠٠.

فلا تقدموا إلا من ارتضاه الرب من إخوتكم، ولاتقدموا أجنبيًا . . فإذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار (سفر موسى) فى مصحف مايعطيه الكوهن المتقدم من بنى لاوى، بما يشاكله، ويكون ذلك معه، فيقرأه كل يوم، طول ولايته ليخاف الرب إلاهه، ويذكر كتابه وعهده[1]».

فهذا كله بيان واضح «بصحة ما قلناه من أن العشر كلمات، مصحف التوراة إنما كانت فى الهيكل فقط، تحت تابوت العهد، والتابوت عند الكاهن الأكبر وحده؛ لأنه ـ بإجماعهم ـ لم يكن يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه».

«وفى نص توراتهم: أنهم كانوا لايلزمهم المجىء إلى بيت المقدس إلا ثلاث مرات، فى كل سنة فقط، وإنما أمر ـ بنص التوراة ـ أن يقرأها عليهم الكوهن الأكبر الهارونى عند اجتماعهم فقط، فثبت أنها لم تكن إلا فى الهيكل فقط، عند الكوهن الهارونى، لا عند أحد سواه؛ إلا سورة واحدة ذكر فى توراتهم أن موسى عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميع بنى إسرائيل؟ ليحفظوها . . ولايمنع أحد من نسلهم من حفظها . . وهذا نصها. .»[2] .

والسؤال الذى يثور هنا هو: هل كان هذا الكاهن الأكبر ـ على امتداد تاريخ بنى إسرائيل ـ أمينًا على حفظ هذه التوراة التى لم تكن توجد عند أحد غيره؟!.

يجيب أبو محمد على هذا بقوله: «قد كان فى الكهنة الهارونيين ما كان فى غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان، كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن عالى الهارونى، وغيرهما، ممن يقرون ـ فى كتبهم ـ أنهم خدموا الأوثان وبيوتها من بنى هارون وبنى لاوى . . ، ونحن إن شاء الله نذكر طرفًا يسيراً من كثير فى نقل توراتهم، وكتب الأنبياء، وجميع شرائعهم، ليرى كل ذى فهم مقدارهم من الفسق والكذب، فيلوح له أنهم كانوا كذابين مستخفين بالدين[3]» .

(١) نفس المصدر والموضع.
(٢) الفصل جـ ١ ص ٣٠٠.
(٣) الفصل جـ١ ص ١٩٦، ٢٠١، ٣٠٠، ٣٢٠.

والنتيجة المحتمة: «أن من هذه صفته، فلا يؤمن عليه تغيير ماينفرد به» (١).

ويلح ابن حزم على هذه الفكرة، فيسوقها فى رده على ابن النغزيلة اليهودى، فيقول: «وهم معترفون بأن التوراة - طول أيامهم - فى دولتهم لم تكن عند أحد إلا عند الكاهن وحده، وبقوا على ذلك نحو ألف ومائة عام».

«وما كان هكذا - لايتداوله إلا واحد فواحد - فمضمون عليه التبديل، والتغيير، والتحريف، والزيادة، والنقصان، لاسيما وأكثر ملوكهم وجميع عامتهم، فى أكثر الأزمان، كانوا يعبدون الأوثان، ويقتلون الأنبياء فقد وجب - باليقين - هلاك التوراة الصحيحة وتبديلها مع هذه الأحوال، ولاشك».

«وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها..، وبالجملة: فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها، وكانا محظورين على من سواهما، فالتبديل والتحريف مضمون فيهما»(٢) ولايطعن فى هذا ذلك القدر اليسير الذى لايجاوز صحيفة واحدة أو أقل، الذى كان يقرأه الشعب الإسرائيلى كل يوم، ليكون شاهدا عليهم، فهو سورة واحدة فقط منها،

ولايطعن فى ذلك كذلك، هذا القدر اليسير الذى كان يسلمه الكاهن الأكبر لملوكهم يقرأونه كل يوم .. فإن أكثر ملوكهم، فى أكثر فترات تاريخهم كانوا وثنيين مشركين على ماسنشرح إن شاء الله تعالى. فحظر تداول التوراة،

---

(١) ابن حزم: الرد على ابن النغزيلة اليهودى، ص ٧٧، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ١٣٨٠هـ بالقاهرة و«ابن النغزيلة» رجل يهودى استوطن غرناطة، وكان قد درس التلمود بقرطبة على الربى حنوك، وأتقن الكتابة العربية، وألف مقدمة التلمود. وكان عنده - حسب رواية صاعد الأندلسى، علم بشريعة اليهود والذب عنها، مالم يكن عند أحد من أهل الأندلس، وكسب جاها واسعا، وأصبح وزيرًا لحاكم غرناطة، ولم يتورع عن نقد الدين والتطاول عليه والطعن فى القرآن الكريم، فثار الناس عليه وقتلوه. وقد جمع من طعنه على الإسلام كتابا رد عليه ابن حزم فى رسالة، مطولة بعد أن كان قد ألف كتابه الفصل، وابن النغزيلة هذا معاصر لابن حزم.

(٢) الفصل جـ ١ ص ١٩٦.

واحتـجازها عند الكاهن الأكبـر وحده، مع انحراف كـثير منهم، قـد شكل مناخًا مناسبًا جداً لتحريفها وتبديلها

يضاف إلى كل مـاتقدم، مـا كان عليه مـلوك إسرائيل وعامـتهم من كـفر، ووثنية، ومعـاندة لتوراة موسى، وانسلاخ من أحكام شريعـته، وجرى وراء أصنام الأمم الأخرى لعـبادتهـا، وجلبهـا إلى أورشليم، وحمل الناس على الذبـح لها، وتقديسـها ـ وفي ظل هذا المناخ الجافي للتـوراة، المعاند لها، يصبح حـفظ التوراة أمرًا عسيرًا بالغ العسر، . . خـصوصًا إذا عرفنا ـ من أسفارهم ـ أن بعض ملوكهم أمر بإحـراقها وتمزيـقها، وأن بعض الكهنة الحـراس عليهـا، قد تحولوا إلى خـدمة الأوثان، والقيام بالكهانة لها.

ومن جانبنا نسجل إعـجابنا وتقديرنا لعلامة الأندلس ابن حـزم الذى احتفى بهذه النقطة الجوهرية وفصلها تفصيلا ممتـازا، معتمدا على ماجاء فى أسفارهم . . وهذه مسألة انفرد ابن حزم ـ فيما نعلم ـ بفضل سـبق التنبيه إليها ودراستها دراسة وثائقية دقيقـة، ونحن نوجز هذا الاستقصاء ـ بعد تنسيقـه وتهذيبه وتوثيقه بالدلالة على مواضعه فى الأسفار الحالية ـ إن شاء الله تعالى:

أولا: حال ملـوكهم وحكامهـم وقضاتهم، بيـن الإيمان والكفر، مـن بعد مـوسى إلى موت سليـمـان وانقسـام المملكة الإسـرائيلية إلـى مملكتين يهـوذا، وإسرائيل

ـ دخل بنو إسرائيل الأردن وفلسطين والغـور مع يوشع بن نون مدبر أمرهم ـ إثر موت مـوسى عليه السـلام، وكان معـه العازار بن هارون صـاحب السرادق (خيـمة الرب) بما فيـه، وعنده التوراة لا عند أحـد غيره فـدبرهم يوشع فى استقامة وألزمهم الدين إحدى وثلاثين سنة.

ـ ثم دبرهم فنحاس بن العازار بـن هارون ـ وهو صاحب السرادق والكاهن الأكبر، والـتوراة عنده لا عند غيره، خـمسًا وعشـرين سنة، فى استقامـة والتزام للدين

- ثم كفر بنو إسرائيل كلهم [1] وارتدوا وعبدوا الأصنام علانية[2]، دبر أمرهم عثنئيل أربعين سنة على الإيمان، ثم كفروا كلهم، وارتدوا وعبدوا الأوثان علانية.

- فملكهم عجلون ثماني عشرة سنة على الكفر.

- ثم دبر أمرهم أهو ذجيرا البنيا مينى على الإيمان.

- فدبوهم شمجر على الإيمان، ثم كفر بنو إسرائيل كلهم بعده، وعبدوا الأوثان جهاراً.

- ثم ملكهم يابين الكنعانى على الكفر.

- ثم دبرت أمرهم دبورة النبية على الإيمان أربعين سنة، فلما ماتت كفر بنو إسرائيل.

- فملكهم غراب ملك مدين سبع سنين على الكفر.

- ثم دبر أمرهم جذعون على الإيمان أربعين سنة.

- فوليهم ابنه أبو مالك وكان فاسقًا خبيث السيرة، فارتد جميع بنى إسرائيل وكفروا وعبدوا الأوثان جهاراً، وأعانه أخواله ببناء تسعين ديراً لـ «ماعل» الصنم.

- ثم دبرهم تولع، وهو مجهول الحال.

- ثم دبرهم يابين بن جلعاد ثلاثا وعشرين سنة على الإيمان، ولما مات حكمهم أولاده على الكفر، فارتد بنو إسرائيل. وعبدوا الأوثان جهاراً.

---

(١) قول ابن حزم كفر بنو إسرائل كلهم: فيه نظر، وليس على إطلاقه، لأن من الثابت أنه قد ظلت طائفة منهم قائمة بالقسط.

(٢) تصور كتبهم هذا الكفر بتفصيل دقيق، انظر مثلا ما جاء فى سفر القضاة (٢: ١١ - ١٩) «... وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم. الذى أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها، وأغاظوا الرب، تركوا الرب، وعبدوا البعل وعشتاروت». وانظر مبحث: «مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم» من هذا الكتاب

- ثم ملكهم بنو عمون ثماني عشرة سنة على الكفر.

- ثم قام فيهم يفتاح بن جلعاد، ولايختلفون على أنه كان ابن زانية، فاسقًا، خبيث السيرة

- ثم وليهم أيضا، والظاهر علي حاله الاستقامة.

- ثم وليهم أبلون - من سبط زبولون - ثم عبدون بن هليل على الإيمان، ولما مات ارتدوا، وعبدوا الأوثان، فملكهم الفلسطينيون - وهم الكنعانيون - أربعين سنة على الكفر.

- ثم دبرهم شمشون، وكان مشهوراً عندهم بالفسق واتباع الزوانى عشرين سنة.

- فبقى بنو إسرائيل أربعين سنة بلا رئاسة يدبر بعضهم بعضًا.

- ثم دبرهم الكاهن الهارونى عالى على الإيمان عشرين سنة إلى أن مات، فدبرهم شموائيل النبى على الإيمان، ثم عين لهم ملكا هو طالوت (شاول)، وطالوت أول ملك في بنى إسرائيل حكمهم عشرين سنة، ويصفونه بالنبوة والفسق والظلم معا!![1].

وعلق العلامة ابن حزم على هذا الاستقراء التاريخي لحال بني إسرائيل بين الكفر والإيمان قائلا:

«فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم سبع ردات . . فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا عبادة الأصنام. . فتأملوا !! أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر، ورفض الإيمان، هذه المدد الطوال، فى بلد صغيرة مقداره ثلاثة أيام فى مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم؟!!![2].

---

(١) انظر فى تفصيل هؤلاء الذين ذكرناهم من حكامهم ومدبرى أمرهم أسفار «القضاة» و«صموئيل»

(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٩، وانظر جـ ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩ وراجع سفر القضاة

- ولما مات شاول (مقتولا) ولى أمرهم داود النبى الملك عليه السلام وهم - قاتلهم الله - ينسبون إليه الزنى علانية بأم سليمان [1] - أربعين سنة.

- ثم حكمهم سليمان النبى الملك عليه السلام، وقد وصفوه بأشد وأنكى مما وصفوا به أباه، وهو الذى بنى لهم الهيكل فى بيت المقدس، وجعل فيه السرادق والمذبح والتوراة والتابوت وسكنه بنى هارون - أربعين سنة.

- ولما مات افترق أمر بنى إسرائيل، فصار (بنو يهوذا وبنيامين) مع أبناء سليمان (حكام بيت المقدس) ومملكتهم تسمى يهوذا.

وصار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلا من أورشليم، ومملكتهم تسمى إسرائيل، وبقوا كذلك إلى أفول شمسهم وتدميرهم على يد نبوخذنصر ملك بابل.

ثانيا: بيان حال ملوك الأسباط العشرة:

يقول أبو محمد: «وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط .. ولا واحد فما فوقه، بل كانوا كلهم معلنين عبادة الأوثان، مخيفين للأنبياء، مانعين القصد إلى بيت المقدس، لم يكن فيهم نبى قط إلا مقتولا أو هاربا مخافا»[2] وفيما يلى استقراء حالهم واحدا فواحدا:

- أول ملوكهم يربعام بن نباط، فعمل وليهم إثر موت سليمان عليه السلام، فعل فى حينه عجلين من ذهب، وقال: هذان إلاهاكم اللذان خلصاكم من مصر، وبنى لهما هيكلين، وجعل لهما سدنة، من غير بنى لاوى، وعبدهما هو وجميع أهل مملكته، ومنعهم من الحج إلى بيت المقدس، وهو كان شريعتهم، ولا شريعة لهم غيره .. القصد إليه .. والقربان فيه، فملك أربعًا وعشرين سنة[3].

(١) راجع المبحث المعقود لبيان ذلك بعنوان (مكانة الأنبياء فى التوراة والقرآن. دراسة مقارنة).

(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٩٤.

(٣) الفصل ص ٢٩٥، وراجع (سفر الملوك الأول ١٧ ٧ - ٢٣ وراجع مبحث: مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم).

- وولى ناداب بن يربعـام على الكفر المعلن، «وعـمل الشر فى عـينى الرب وسار فى طريق أبيه وفى خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ »[1]

- ثم ولى أيلة بن بعشا على الكفر، وقـتله أحد قواده (زمرى) وملك مكانه وانتحر بعد أسبوع[2].

- ثم حكم عمرى، واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتى فضة، وبنى على الجبل هيكلا ينافس به هيكل سليمان الذى بناه على جبل بيت المقدس، ودعا اسم المدينة باسم صاحب الجبل: السامر وتقول أسفارهم عنه: «أنه عمل الشر فى عينى الرب، وأساء أكـثر من جميع الذين قـبله، وسار فى طريق يربعام، وفى خطيـته، التى جعل بها إسرائيل يخطئ؛ لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم»[3].

- ثم ملك أخـاب بن عمـرى على أشـد مايكون من الكـفر والوثنيـة اثنين وعشرين سنة «فعـبد البعل وسجد له، وأقام معبـدًا للبعل فى بيت البعل الذى بناه بالسامرة»[4] وفى أيامه كان إلياس النبى [5].

- وولى بعـده أخريا بـن أخاب بن عـمـرى على أسوأ مـا يكون من الكفـر وعبـادة الأوثان، ثم ولي مكانه أخوه يـهورام على الكفـر «وعمل الشر فى عـينى الرب، وسار فى طريق أبيه» وفى أيامه كان اليسع النبى[6].

ثم ولى مكانه أخوه يهورام على الكفر.

- ثم ولى ياهو بن نمشى «واسـتأصل باهو البعل من إسـرائيل، ولكن خطايا يربعـام بن نباط الذى جـعل إسرائيل يـخطئ - لم يحد عنهـا ياهو .. أى عجـول

---

(٤) سفر الملوك الأول ١٥ ٢٦ - ٢٧

(٢) سفر الملوك الأول ١٦ . ١٥ - ٢٢.

(٣) سفر الملوك الأول ١٦ ٢٣ - ٢٥

(٤) سفر الملوك الأول ١٦ ٢٩ - ٣٤

(٥) انظر قصة إلياس النبى (إيليا) فى الإصحاح ١٧ ، ١٨، ١٩ من سفر الملوك الأول

(٦) الملوك الثانى ١ ١٦ ويذكـر عنه أنه أرسل إلى الصنم بعل زبوب إله عقرون يسـتشفى من مرض ألم به، فأهلكه الله وانظر سفر الملوك الأول ٢٢ ٥١ - ٥٣

وقصة اليسع النبى فى سفر الملوك الثانى الإصحاح الثانى والثالث والرابع والخامس

الذهب التى فى بيت إيل والتى فى دان . . ولم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب من كل قلبه . . لم يحد عن خطايا يربعام»(١).

ـ وولى مكانه ابنه يهوياحاز سبع عشرة سنة، وبنى بيوت الأوثان، وأعلن عبادتها هو ورعيته إلى أن مات، وقد ضعف حال مملكة الأسباط فى عهده ضعفًا شديدًا.

ـ ثم ولى يؤاش بن يهويا حاز ست عشرة سنة على أشد مايكون من الكفر وعبادة الأوثان، وغزا بيت المقدس، وهرب أمامه ملكها الداودى، فاتبعه، فقتله.

ـ وولى ابنه زكريا على أشد من كفر أبيه، ثم ولى شلوم على الكفر وقتل.

ـ وملك منحيحم بن حادى عشرين سنة على عبادة الأوثان إلى أن قتل «وفى عهده أجلى ملك الأشوريين قبائل من الأسباط ومن سكان مملكة إسرائيل من بلادهم، وحملهم معه إلي أشور، وأسكن بلادهم قومًا من شعبه ورعاياه»(٢).

ـ ثم ملك هوشيع على الكفر والوثنية سبع سنين «وصعد عليه شلمنًا سر ملك أشور، فصار له هوشع عبدا، ودفع له الجزية ثم خانه، وأرسل رسلا إلى مصر، فقبض عليه ملك أشور، وحاصر السامرة عاصمة إسرائيل، واستولى عليها، وسبى إسرائيل إلى أشور. حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه» (٣) والذين أسكنهم ملك أشور فى السامرة هم أصل الفرقة اليهودية السامرية(٤).

وتعلل أسفارهم محو مملكة إسرائيل من الوجود بأنهم «قد أخطأوا إلى الرب وعملوا ضده . . وأقاموا الأنصاب والأوثان . . وعبدوها . . ولم يسمعوا للرب؛ بل صلبوا أقفيتهم له . . وتركوا جميع وصايا الرب إلههم» (٥) فاستحقوا المحو من الوجود.

(١) سفر الملوك الثانى ١٠ ـ ٢٨ ـ ٣١.
(٢) سفر الملوك الثانى ١٥ : ٢٧ ـ ٣١.
(٣) سفر الملوك الثانى ١٧ : ١ ـ ٢٣.
(٤) ابن حزم: الفصل ص ٢٩٧ جـ ١.
(٥) سفر الملوك الثانى ١٧ : ٧ ـ ٢٣، وانظر مبحث: مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

ويعلق أبو محمد على هذا قائلا:

«فقد صح يقينًا أن جميع أسباط بنى إسـرائيل ـ حاشا سبطى يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بنى هارون ـ بعد سليمان عليـه السلام ـ مدة مائتى عام وواحد وسبعين عامًا لم يظهر فيهم ـ قـط ـ إيمان، ولا يومًا واحدًا، فما فوقه، وإنما كانوا عباد أوثان، ولم يكن قط فيهم نبى إلا مـخافًا، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر. ولا كان عندهم شـىء من شرائعهـا أصلا. مضى على ذلك جـميع عامـتهم، وجـميع مـلوكهم، وهم عـشرون ملكا، وقـد سمـيناهم إلى أن أجلوا ودخلوا فى الأمم وتدينوا بدين الصابئين، وانقطع اسمهم ورسمهم إلى الأبد. فلا يعرف منهم عين أحد»[1].

بعد استقراء حال ملوك الأسباط فى مملـكة إسرائيل (السامرة)، وقد اعتمدنا فى عـرضه علـى ما أورده ابن حـزم [2] بعد توثيـقه وتحقـيقه وتهـذيبه من حكاية أسفـارهم ذاتها، ودللنا على ذلك فى الحواشـى، نقدم ـ فيمـا يلى استقـراء لحال ملوك يهوذا:

ثالثا: حال ملوك مملكة يهوذا بعد موت سليمان إلى تدمير أورشليم:

ـ ولى ـ بعد سليـمان عليه السلام ـ ابنه رحـبعام بن سليمان، فـأعلن الكفر وعبادة الأوثان جهـارًا طول ولايته، هو وجميع رعيته، وفى أيامـه غزا ملك مصر بيت المقدس، واحتلها وانتهبها المدينة والهيكل، وأخذ كل مافيه، ورجع إلى مصر غانما، ومات رحبعام على الكفر[3].

ـ ثم ولى ابنه أبيام.. «وسار فى جميع خطـايا أبيه.. ولم يكن قلبه كاملا مع الرب»[4].

---

(١) الفصل ص ٢٩٧ جـ١.

(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩٧.

(٣) سفـر الملوك الأول ١٤ ٢١ ـ ٢٥ «وعمل يـهوذا الشر فـى عينى الرب أكـثر من جـميع آبائهم»

(٤) سفر الملوك الأول ١٥ ١ ـ ٥

ـ ثم ملك آسا . . «وعمل ماهو مستقيم فى عينى الرب كداود أبيه . . وأزال المأبونين من الأرض . . ونزع الأصنام. . وكانت بينه وبين بعشا ملك إسرائيل حروب طويلة»[١] .

ـ وولى ابنه يهو شافاط، فعمل المستقيم فى عينى الرب[٢].

ـ ثم ولى ابن يهورام، وعمل الشر فى عينى الرب [٣].

ـ ثم ولى أخذيا ابنه، (فعمل الشر فى عينى الرب[٤] وأم هذا هى بنت عمرى ملك إسرائيل.

ـ ثم وليت أمه واسمها عثليا مملكة يهوذا، فتمادت على أشد مايكون من الكفر وعبادة الأوثان، وقتلت الأطفال، وأمرت بإعلان الزنى فى البيت المقدس، وعهدت ألا تمنع امرأة ممن أراد الزنى معها، وعهدت ألا ينكر ذلك أحد . . ثم قتلت[٥].

ـ وملك يهوآش، وعمل ماهو مستقيم. إلا أنه لم يقض على الأصنام وبقيت الوثنية رائجة منتشرة إلى أن قتل [٦]، ويذكر ابن حزم: أن فى أيام هذا الملك قتل النبى زكريا الحجارة[٧].

ـ ثم ولى ابنه أمصيا، وبقى الكفر رائجًا فى عهده، وفى أيامه أغار ملك الأسباط على بيت المقدس مرتين وانتهبوه[٨].

ـ ثم ولى ابنه عزيا، ولم تزل الوثنية رائجة فى رعيته، وقد عاقبه الله من أجل ذلك بالبرص.

---

(١) سفر الملوك الأول ١٥ : ١٠ ـ ٢٤.

(٢) سفر الملوك الأول ٢٢: ٤١ ـ ٤٤.

(٣) سفر الملوك الثانى: ١: ١٦ ـ ١٩.

(٤) سفر الملوك الثانى ٨: ٢٥ ـ ٢٨.

(٥) سفر الملوك الثانى ١٢ : ٢٠.

(٦) سفر الملوك الثانى ١٢: ١ ـ ٢٠.

(٧) الفصل جـ١ ص ٢٩٢.

(٨) سفر الملوك الثانى ١٤ : ٨ ـ ١٤

ـ وملك ابنه يوثام ولم يزل الكفر مستعلنًا فى مملكته.

ـ ثم ملك آخاز «ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب إلهه كداود أبيه، بل سار فى طريق ملوك إسرائيل، حتى أنه عـبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم، وذبح للأصنام»[1].

ـ وملك حزقيا بـن آخاز . . عمل المستقيم حسب كـل ماعمل داود أبيه . . وأزال المرتفعـات، وكسر التمـاثيل، وسحق حيـة النحاس التى عملهـا موسى . . وبعده لـم يكن مثله فى ملوك يهـوذا، ولا فى الذين كانوا قـبله[2] . . وكـان فى أيامه أشعيا النبى، وقد غزاه سنحارب ملك أشور.

ـ ثم ملك منسى فعمل الشر حسب رجاسات أمم[3]، وبنى مذابح للأصنام فى بيت الرب، وأضل منسى شـعب إسـرائيل، فعـمل ماهو أقـبح من الأمم، ثم مات.

ـ وتولى ابنه آمون الذى أعلن الكفر مثل أبيه.

ـ ثم ملك ابنه يوشيّا آمون . . فعمل المستقيم، وأعلن الإيمان، وأمر بترميم الهيكل، وأعلم حلقيا الكاهن أنه وجد سـفر الشريعة فى بيت الرب، وسلم حلقيا السفر لشافان كاتب الملك، فقرأه على الملك . . فلما سمع ذلك مزق ثيابه! إشفاقًا وخـشيـة من غضب الله الـذى اشتـعل على بنى إسـرائيل من أجل أن آباءهم لم يسمعوا لكلام الله الذى فى هذا السفر[4]. ثم جمع الشعب وشيوخ إسرائيل وقرأ فى آذانهم «كل كـلام سفـر الشـريعة الذى وجـده فى بيت الرب». وأمـر حلقيـا الكاهن الأكبـر وحراس الباب أن يخـرجوا من الهيكل كل مايـتعلق بالأصنام التى كانت تعبد داخل بيت الرب. ثم أمر بعمل فَـصْح للرب كما هو مكتوب فى السفر

(١) سفر الملوك الثانى : ١٦ : ١ ـ ١٠.

(٢) سفر الملوك الثانى ١٨ · ١ ـ ٢

(٣) سفر الملوك الثانى ٢١ ١ ـ ١٧

(٤) سفر الملوك الثانى ٢٣ ١ ـ ١٥، ٢١ إلى آخره

الذى وجده «ولم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة .. ولا فى أيام ملوك إسرائيل ويهوذا من قبل» ثم قتل.

- ثم حكم بعده ابنه يهودا فعمل الشر، وأخذ التوراة من الكاهن الهارونى، وبشر منها أسماء الله حيث وجدها ووضع مكانها أسماء الأصنام، وقد أسره ملك مصر.

- وحكم الياقيم وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ماعمل آباؤه[1]. وتسمى باسم يهوياقيم، وقطع الدين جملة، وأخذ التوراة من الكاهن الهارونى فأحرقها بالنار وقطع أثرها.

وفى أيامه غزا نبو خذ نصر ملك بابل يهوذا، واستعبد ملكها، لكنه تمرد عليه بعد ثلاث سنوات.

- ثم ملك يهوياكين، وعمل الشر فى عينى الرب حسب كل ماعمل أبوه[2] .. وفى زمانه صعد نبو خذ نصر إلى أورشليم، فسبى الملك وأمه ورجاله، وأخرج جميع خزائن بيت المال، وخزائن الملك، وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان فى الهيكل، وسبى كل أورشليم، ولم يبق أحد إلا مساكين الشعب.

- وملك نبو خذ نصر صديقا، فعمل الشر فى عينى الرب، وتمرد على ملك بابل فجاء نبو خذ نصر هو وكل جيشه على أورشليم، فأحرق بيت الرب، وكل بيت فى بنى إسرائيل، وقلب المدينة كما يقلب الصحن[3]. وهذا هو الأسر البابلى المعروف.

هؤلاء ملوك يهوذا، وهذا موقفهم من التوراة والشريعة .. ويعلق ابن حزم قائلا:

(١) سفر الملوك الثانى ٢٣ : ٣٧.

(٢) سفر الملوك الثانى ٢٤:٩.

(٣) سفر الملوك الثانى ٢٥ : ١ - ٢٢.

«ظهر يقينًا أن بنى يهوذا وبنى بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة ـ على اختلاف بين كتبهم، وقد قلنا: إنها كتب مدخولة فاسدة ـ ملك هذين السبطين تسعة عشر رجلا منهم وامرأة من غيرهم، وقد سميناهم كلهم، . . كانوا كفارا معلنين عبادة الأوثان حاشى خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد . . فعمهم الكفر وعبادة الأوثان: فى أولهم وآخرهم . فأى كتاب . . ، وأى دين يبقى مع هذا؟! ولم يل بعد يوشيا المؤمن إلا كافر معلن عبادة الأوثان، منهم من بشر أسماء الله من التوراة!!، ومنهم من أحرقها وقطع أثرها!! . . إلى أن انقطع أمرهم بغارة بخت نصر الذى سباهم كلهم، وهدم البيت. واستأصل أثره.

هذا إلى غارات كانت على بيت المقدس وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه؛ أغار عليهم مرة صاحب مصر، وأغار عليهم صاحب إسرائيل مرتين إلى أن أملاها عليهم عزرا الوراق الهارونى، وهم مقرّون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه، وهذا يكفى.

وكانت كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس!!. وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم أو لم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من زجوعهم إلى البيت، بعد السبعين عاما التى كانوا فيها مسبيين، ولم يكن فيهم حينئذ نبى أصلا ولا القبة ولا التابوت(١).

قد لخصنا فى معالجة هذه النقطة تاريخ بنى إسرائيل الدينى من سليمان عليه السلام إلى سقوط بيت المقدس على يد بختنصر البابلى . . رأينا الأعاجيب من هذا الشعب المختار!، طبقًا لما ورد فى كتبهم التى يقدسونها.

وأعتقد أن ابن حزم قد برهن بصورة منهجية وثائقية قاطعة ـ لم يسبق إليها ـ على أن الظروف كانت مهيأة تمامًا لفقدان التوراة كلية، أو أن المناخ كان مهيأ لإمكانية تحريفها وتزييفها على الأقل، ولا أتصور أن عاقلا يجرؤ على المنازعة فى هذا بعد البراهين والشواهد التى قدمها ابن حزم.

---

(٤) الفصل حـ١ ص ٢٩٨.

وخلاصة رأى ابن حزم: أن نسبة هذه التوراة إلى موسى غير صحيحة وقد اعتمد أبو محمد - كما رأينا - على النقد العلمى للنصوص؛ النقد الداخلى والخارجى المرتكز على فحص ظروف حفظ التوراة فى بنى إسرائيل، وانتقالهم بمقتضاها . . . وكان ابن حزم - بحق - من كبار علماء مقارنة الأديان فى تاريخ الإنسانية كلها[1].

هذا رأى ابن حزم فى نسخة التوراة العبرانية، وهى الأصل المعول عليه، أما النسخة السامرية فأمرها - عنده - أقل شأنًا من سابقتها؛ لأنهم ينكرون التوراة العبرانية جملة، ولايؤمنون بنبى بعد موسى عليه السلام، ولايقولون ببيت المقدس، ولا يعرفونه، ويقولون أن المدينة المقدسة هى نابلس . . «فأمر توراتهم أضعف من توراة هؤلاء؛ لأنهم لايرجعون فيها إلى نبى أصلا، ولا كانوا هنالك أيام دولة بنى إسرائيل، وإنما عملها لهم رؤساؤهم»[2] .

أما رأيه فى النسخة السبعينية التى ترجمها السبعون شيخًا فى الإسكندرية - بعد ظهور توراة عزرا وفشوها قبل الميلاد بحوالى ثلاثة قرون فإنها: مخالفة للتى كتبها لهم عزرا الوراق، وتدعى النصارى أن تلك التي ترجمها السبعون لاتوافق هذه فى اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام، ومن أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود والنصارى زيادة ألف عام ونيف على مانذكر إن شاء الله تعالى . . فإن كان هو كذلك، فقد وضح اليقين بكذب السبعين شيخًا، وتعمدهم لنقل الباطل، وهم الذين أخذ عنهم النصارى دينهم . . وأف أف لدين أخذ عن متيقن من كذبه[3].

بقيت نقطة نختم بها حديثنا عن تحليل ابن حزم لسند التوراة، وهى أنه يذكر أن التوراة التى كتبها عزرا الوراق قد ظهرت ظهوراً ضعيفا ولم تنتشر انتشارا واسعا بحيث تتداولها الأيدى، إلى أن جاء انتيكوس الملك الرومانى الذى بنى أنطاكية،

(١) انظر كتاب لا بوليه: عن مقارنة الأديان، نقلا عن الأب روبير شدياق اليسوعى فى تقديمه لكتاب الرد الجميل للغزالى.
(٢) الفصل جـ ١ ص ٢٩٧
(٣) المصدر السابق.

ووضع وثنًا للعبادة فى بيت المقدس، وأخذ بنى إسرائيل بعبادته، وقربت الخنازير على مذبح الرب.

ثم ولى أمرهم قوم من بنى هارون ـ بعد مئات السنين ـ فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم إلى اليوم . . ، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدل القرابين، وعملوا لهم دينا جديدا، وبنوا لهم كنائس فى كل قرية، بخلاف حالهم طول دولتهم، وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة سنة، وأحدثوا اجتماعًا كل سبت، . . . ، . . .[1].

ومعنى ذلك أن التوراة الرائجة اليوم هى التى انتشرت بعد كتابة عزرا لنسخته بمئات السنين بعد أن رتب لهم أحبارهم الهارونيون الديانة والأسفار من جديد.

والكلمة التى يلخص بها ابن حزم موقفه كله من التوراة وبطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام قوله: «. . . ففى دون هذا (من الشواهد والبراهين) كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدل مكذوب موضوع»[2] .

ويبين مما قدمنا من شروحات لفكر ابن عزرا وسبينوزا وابن حزم، الحقيقتين التاليتين:

١ ـ أن نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام باطلة ومكذوبة.

٢ ـ أن ابن حزم ـ في فحصه لسند التوراة ونقده ـ كان أستاذًا للحبر الغرناطى ابن عزرا، وكان ابن عزرا قنطرة نقل بواسطته فكر ابن حزم النقدى إلى سبينوزا وحركة نقد الكتاب المقدس الحديثة في الغرب.

أما تحليلات الناقد كارلشتات Carlstat فى القرن السادس عشر حول سند التوراة، والأعمال العظيمة التي وضعها الراهب ريتشارد سيمون R. Simon سنة ١٦٧٨م مثل «التاريخ النقدى للعهد القديم» الذى أكد فيه على صعوبة التسلسل، والتكرار، والاختلافات فى الأسلوب. . ، وقد تسبب هذا الكتاب فى فضيحة، وفقد بسببه منصبه الكنسى المرموق.

(١) الفصل جـ ١ ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(٢) الفصل جـ١ ص ٢٩٩.

وأما الجهد الذى بذله طبيب الملك لويس الخامس عشر جان أستروك J. Astruc فى كتابه «قرائن عن المذكرات الأصلية» التى يظهر أنها استخدمت فى صياغة سفر التكوين(١)، وقد نشر هذا الكتاب سنة ١٧٥٣م، أقرر أن هذه الجهود ـ وغيرها ـ كانت ولا ريب جهودًا ممتازة، شكلت حركة علمية منهجية لنقد الكتاب المقدس فى الغرب(٢)، وقد استمدت من مصادر إسلامية رائدة يعد ابن حزم في طليعتها(٣)، مقارنة تكشف عن الأهمية البالغة لها فى دفع حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب، وسنفرد لها مبحثا مستقلا إن شاء الله تعالى.

ابن حزم يفحص سَنَد سفر يشوع:

يقرر ابن حزم أن يوشع بن نون لم يكتب هذا السفر المنسوب إليه «والبراهين قاطعة على أنه ـ أيضا ـ تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين، وأن يوشع لم يكتبه قط، ولا عرفه، ولا أنزل عليه»(٤) ومن هذه البراهين أن فيه: «فلما انتهى ذلك إلى دوسراق ملك يبوس التى بنى فيها سليمان بيت المقدس فعل أمرًا .. ذكره .. فمن المحال أن يخبر يوشع أن سليمان بنى بيت المقدس، ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة. ولم يأت هذا النص على سبيل الإنذار أصلا، وإنما مساقه ـ بلا خلاف منهم ـ مساق الإخبار عما مضى».

ـ وفيه روايات منسوبة إلى يوشع يحيل الشرع والعقل أن يفعلها نبى أو يأمر بها؛ مثل الرجل الذى غل شيئا من الغنيمة، فأمر يوشع برجمه، ورجم بنيه، ورجم بناته بالحجارة حتى الموت، وأمر بإحراقه وإحراق مواشيه كلها .. وهذا مناف للعدل جملة وتفصيلا.

---

(١) من هذه القرائن التى قدمها أستروك أن سفر التكوين يطلق اسم يهوه Yohveh مرة واسم الوهيم Elohim على الله مرة أخرى. ومعروف من الدراسات النقدية الحديثة أن المصدر الإليوهى Elohist للأسفار الخمسة، كان متأخرا عن المصدر اليهومي Yohuist.

(٢) انظر للدكتور موريس بوكاى كتابه: ما أصل الإنسان فى ضوء العلم والكتب المقدسة؟ ص ١٥١ نشر مكتب التربية للخليج العربى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥م

(٣) أقر بذلك بعض الدارسين الغربيين، ومنهم دى لابولييه فى الدراسات المقارنة للأديان جـ ١ ص ١٠٨، نقلا عن مقدمة الأب روبير شدياق لكتاب الرد الجميل

(٤) الفصل جـ١ ص ٢٠٦

ـ وفيه أن موسى لم يختن بنى إسرائيل ممن ولد بعد خروجه من مصر، وعندما دخلوا الأرض المقدسة لم يكونوا مختونين، فختنهم يوشع بعد أن جاوزوا الأردن. وهذا معناه أن موسى عليه السلام، قد ضيع شريعة الرب الوكيدة بأن «من لم يختن فى يوم أسبوع ولادته فلتنف نفسه من أمته، أى فليقتل. فهذه، ومثلها تقطع بأن يوشع لم يكتب هذا الكتاب الذى نسب إليه باطلا.

ثم يبحث ابن حزم الزبور، وبعض أسفار العهد القديم الأخرى، بنفس المنهج النقدى الذى فصلنا ـ فيما سبق ـ الكلام فيه.

أبو المعالى الجوينى يفحص سند التوراة:

إن المجال لايتسع لدراسة كل تحليلات علماء الأديان المسلمين لسند التوراة، وشرح كل ماقيل فى التراث الإسلامى الثرى حول هذه المسألة؛ لذا سنقدم نماذج فقط مما عرضه الجوينى والسموأل والقرطبى، ونبدأ بفحص رأى إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨هـ.

يقطع إمام الحرمين بأن هذه الأسفار الخمسة المسماة التوراة ليست هى التى أنزلها الله على موسى عليه السلام. ولكن هى التوراة التى كتبها عزرا الوراق، بعد فتنتهم مع بخت نصر، وقتله جموعهم وطوائفهم، .. وإتلافه ما بأيديهم من الكتب؛ لعدم انقياده لأحكام شريعتهم، وجزمه بفسادها، .. وتحذيره من التفوّه بذكرها .. إلى أن انقرض ـ والحال كذلك ـ جيل، حتى كان من بقى، وظفر بشىء من أوراقها، يقصد المغائر، ويتحيل فى قراءتها خلسة [(١)].

«وهذه النسخة كتبها عزرا قبل بعثة المسيح، عليه السلام، بخمس مائة وأربعين سنة .. أما عزرا ـ وإن رفعوا قدره ـ فناسخها من نسخة، فوقوع التبديل ممكن، لحرصه على استمرار رياسته، وعدم القول بعصمته، لما نعلم له من الإقدام على فعل الصغائر والكبائر.. ورئاسة بنى إسرائيل كان شأنها عظيمًا»[(٢)]، فتبديلها إذًا ممكن.

---

(٤) الجوينى «شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل» طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية؛ الرياض، ٣ ١٤ هـ ١٩٨٣م

(٢) شفاء الغليل ص ٣ ـ ٣٢

ويبرهن على خطأ نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام، بأن اليهود والنصارى قد صرحوا بوقوع الكذب فى نسخ التوراة التى بيد كل فريق . ، فاليهود يزعمون بأن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ . . ، والنصارى يزعمون أن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عنادًا وحذرًا من الاعتراف برسالة المسيح عليه السلام . . ، فقد أجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، وكل طائفة تجعله صفدًا فى عنق الأخرى»[1].

ومما يبرهن به إمام الحرمين على تبديل التوراة والإنجيل: أنه قد نطق بالخبر اليقين صريح القرآن أن نصوص التوراة والإنجيل اشتملت على ذكر سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه . . . وهذا السبب هو الحامل لعلماء الإسلام على القول بالتبديل[2].

يقصد الجوينى أن القرآن الكريم قد صرح بأن الكتب السابقة، (أعنى التوراة والإنجيل) قد بشرت ببعثة محمد ﷺ، وذكرت صفته ونعت أمته وحاله . . إلخ. وكل ذلك بالتفصيل التام والاسم الصريح للرسول عليه الصلاة والسلام. والأسفار الحالية - وإن وجدت فيها بشارات - فهى لم تذكر بالتفصيل والصراحة التى أشار إليها القرآن الكريم.

ثم يسوق الجويني حجج الفريقين فى إنكار وقوع التبديل فى التوراة، ثم يفندها ويدحضها، - بعد أن يوجه إليهم لومًا وتقريعًا بسبب ركونهم إلى قول أكابرهم الجهلاء من غير نقد وتمحيص . . ومن حججهم أنهم قالوا:

«إن القول بالتبديل مشروط بإمكانه، وإمكانه مشروط بتعلق العلم بحصر نسخ التوراة والإنجيل المبثوثة فى أقطار الأرض، مع اتساع رقعتها، ومشروط - أيضًا - بانقياد كل فرد من أفراد الفريقين: عالمهم، وجاهلهم، وزاهدهم،

(١) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٨

وعاندهم، وبرهم، وفاجرهم، وإجماعهم على رأى واحد ومقالة واحدة، مع تباين الآراء واختلافها[١]

ثم إن التوراة منها نسخة بيد اليهود، ونسخة بيد النصارى. وعداوة هاتين الطائفتين وتباين آرائهم، وعدم انقياد كل عدو منهم لرأى عدوه معلوم ضرورة!! يقصد عدم إمكان اتفاقهم على تبديل التوراة، أو على صورة هذا التبديل[٢].

وقبل أن يرد الجوينى على هذه الشبهة يقرر قاعدة منهجية قيمة، هى «أن أكثر العمايات فى العلوم إنما جاءت من أخذ الحجج مسلمة، من غير امتحان الفكر، وتدقيق النظر فى تصحيح مقدماتها»[٣]

ثم يرد عليها اليهود بما سبق آنفًا من أن اليهود يتهمون النصارى بالتبديل، والنصارى يتهمون اليهود بالتبديل، وهذا حاصل منهم، أقر به علماؤهم الموثوقون عندهم[٤].

ويدحض حجتهم بسوق التناقض والتكاذب الواقع فى النسختين؛ العبرية التى بيد اليهود، واليونانية التى بيد النصارى [٥]. ، والتى تزعم كل طائفة أن ما بيدها هو المنزل على موسى عليه السلام، وهو عين التبديل

كما أنه ـ حين كتب عزرا هذه النسخة المحرفة المبدلة المكذوبة «لم يكن على وجه الأرض نصرانى فحينئذ التبديل ممكن، لعدم تعلق العلم بحصر نسخ

---

(١) هذه شبهة أثارها علماء النصارى القدماء مثل يوحنا الدمشقى، ويحيى بن عدى اليعقوبى، والمطران أيشوعات بن ملكون مطران نصيبين وهو نسطورى المذهب، ذكروا ذلك فى استدلالهم على صحة الكتاب المقدس''، وخلوه من التحريف والتبديل وسنتناول ذلك فى مبحث مستقل

(٢) انظر التعليق السابق

(٣) شفاء الغليل ص ٣

(٤) اقرأ مثلا ما جاء فى تفسير هنرى واسكات لأسفار العهد القديم المطبوع فى لندن، على بيان اكستاين، وهو من كبار علمائهم القدماء إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمان الطوفان، وبعده، إلى زمن موسى''

(٥) شفاء الغليل ص ٣٣ ٣٨

التـوراة المبثـوثة فى أقطار الأرض، ولعدم تـوقفـه على انقيـاد كل فرد من أفـراد الفـريقين، ولعدم كـون نسخـها فى أيدى اليـهود والنصـارى؛ لأنها لم تصـر إلى النصارى إلى بعد تبديلها»[1]. ثم يلتفت إلى النسـخة التى بأيدى طائفة السـامريين اليهودية، ومبـاينتها لسائر النسخ التى بأيدى من عداهم من الطـوائف، فيقول فى عبارة مركزة: «لو اقتصر عليه، لكان فيه ثبت لمن يقول بوقوع التبديل»[2].

السموأل بن يحيى المغربى (المتوفى سنة ٥٧٠هـ) يفحص سند التوراة:

يقرر السموأل [3] (شموائيل بن يهوذا سابقًا) أن «هذه التوراة بأيديهم ـ على الحقيـقة ـ كتاب عزرا، وليـست كتاب الله» [4] كمـا يقرر بأنه «لايعتقـد أحد من علمـاء اليـهـود وأحـبـارهم ألبـتـة أن هذه التـوراة التى بأيديهم هـى المنزلة على موسى»[5].

وبتـحليل الفكر النقـدى للسمـوأل الذى درس به سند التـوراة، نراه يرجع الظروف، والملابسات التى حرفت ـ فى ظلهـا ـ التوراة، أو قل الأسباب وراء هذا التحريف ـ إلى عنصرين رئيسين، هما:

أولا: الأسلوب السائد فى حفظ التوراة وتناقلها عند بنى إسرائيل.

ثانيا: الأحداث الجسام التى مرت بالأمة الإسرائيلية من داخلها ومن خارجها على السواء.

ثم يشرح السموأل ذلك بقوله:

---

(١) شفاء الغليل ص ٣١.

(٢) السابق ص ٣٨.

(٣) هو العلامة المهتدى السموأل بن يحيى المغربى المتوفى سنة ٥٧٠هـ، كان عالما يهوديًا بارزًا، وطبيبًا نطاسيًا، ورياضيًا بارعًا، درس الأديان دراسـة متعمـقة مستنيـرة مقارنة، فشـرح الله صدره للإسلام، فأسلم. ثم كتب لنفسه (سيرة ذاتية) دقيقة. وقد حققنا الكتاب والسيرة الذاتية، ونشرتهما دار الهداية بالقاهرة.

(٤)، (٥): السمـوأل: «إفحام اليـهود»، فصل (ذكـر السبب فى تبـديل التوراة ص ١٣٥ ـ ١٤٥، دار الهداية، ١٩٨٦م القاهرة).

«إن موسى، عليه السلام، صان التوراة عن بنى إسرائيل، ولم يبثها فيهم؛ وإنما سلمها إلى عشيرته: بنى ليوى.. ودليل ذلك قول التوراة ذاتها: «وكتب موسى هذه التوراة، ثم دفعها إلى الأئمة أولاد ليوى».. وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم؛ لأن الإمامة وخدمة القرابين، وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم».

«ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها: (ها أزينو)، فإن هذه السورة من التوراة هى التى علمها موسى بنى إسرائيل: «وكتب موسى هذه السورة وعلمها بنى إسرائيل». وأيضا فإن الله قال لموسى: «وتكون لى هذه السورة شاهدا على بنى إسرائيل». وأيضًا فإن الله قال لموسى عن هذه السورة: «لأن هذه السورة لاتنسى من أفواه أولادهم»[1].

ويرى السموأل أن فى هذا دليلا على «أن غيرها سوف ينسى، ودليل على أن موسى لم يعط بنى إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة.. أما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عمن سواهم».

كما أنه «لم يكن حفظ التوراة فرضًا ولا سنة؛ بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة» وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة، ويحفظون أكثرها، «قتلهم بخت نصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس»[2].

وبهذا أصبحت الظروف مواتية لوضع توراة جديدة بدل توراة موسى التى ضيعت: «فلما رأى عزرا أن القوم أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق

---

(١) يذكر الدكتور Owen Cole أستاذ الأديان فى جامعة إكسفورد - بناء على دراسة لفائف البحر الميت أن الكلمات المعينة التى يراها اليهود اليوم فى مجمعهم Synagogue هى نفس تلك الكلمات التى كانت تقرأ فى أورشليم قبل ألفى سنة، انظر كتابه: Six Religions ..., p. 67, Hulton, 1984.

(٢) إفحام اليهود، ص ١٣٨.

جمعهم، ورفع كـتابهم؛ جمع من محفوظاته، ومن الفصـول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن»[1] .

أى أن بنى إسـرائيل قد اصطـلحوا على أن تلفـيـقات عـزرا هذه هى توراة موسى: «ولا ينبـغى للعاقل أن يسـتبعد اصـطلاح كافة هذه الطائفـة على المحال، واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال!!»[2]

ثم يشرح السـموأل العنصـر الثانى الذى كـان بمثابة السـبب المهيئ لتـحريف التوراة، وأعنى به: الحوادث الجسـام التى عرضت لبنى إسرائيل من داخلهم ومن خارجهم، فيقول: «إن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها، وأخذها بلادها، انطمست حـقائق سالف أخـبارها، واندرس قديم آثارها، وتعـذر الوقوف عليها. ولاتزال هذه الفنون (الحوادث الجسام) متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جـهلا؛ وكلمـا كانت الأمـة أقدم، واخـتلفت عليـها الدول المتناولة لهـا بالإذلال والإيذاء، كان حظها من اندراس الآثار أكثر .

«. . وهذه الطائفة ـ لاشك ـ أعظم الطوائف حظًّا مما ذكرناه؛ لأنها من أقدم الأمم عـهدًا، ولكثـرة الأمم التى اسـتـولت عليهـا؛ من الكنعـانيين، والبـابليين، والفرس، واليونان، والنصارى والإسلام.

«. . وما من هذه الأمم إلا قصدهم أشد القصد، وطلب استئصال شأفتهم، وبالغ فى إحراق بلادهم وإخرابها، وإحراق كتبهم إلا المسلمين»[3] . هذا بعض ما نال اليهود من غيرهم.

أما مـا نالهم من ملوكهم العصـاة الطغاة الكفرة فـهو «أشد على اليـهود من جميع هذه المماليك».

---

(١) المصدر السـابق، ومن أجل ذلك بالغ اليـهود فى تعظيم عزرا هذا غاية المبالغـة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهـر على قـبـره الذى عند بطائح العـراق؛ لأنه عمل لـهم كتـابهم الذى يحـفظ دينهم. . ، كما غلا بعضهم فيه وزعموا أنه ابن الله، تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٣) إفحام اليهود، ص ١٤٤ .

«وإن ما نالهم من ملوكهم الطغاة الجبابرة مثل (أحاب، وأحزيا، وأمصيا، ويهورام، ويربعام بن بناط، وغيرهم من الملوك الإسرائيليين الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا فى تطلبهم؛ ليقتلوهم، وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها، وتعليم رسوم عبادتها، وابتنوا لها البيع العظيمة والهياكل، وعكف على عبادتها الملوك ومعظم بنى إسرائيل، وتركوا أحكام التوراة والشرع مدة طويلة وأعصارًا متصلة.

«فإذا كان هذا تواتر الآفات على شرعهم من قبل ملوكهم، ومنهم على أنفسهم، فما ظنك بالآفات المتفننة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم - فيما بعد - عليهم، وقتل أئمتهم، وإحراق كتبهم، ومنعهم إياهم عن القيام بشرائعهم؟!»(١).

وبما أن حفظ الكتاب لم يكن فيهم فرضًا ولاسنة، وأنه قد صين عنهم فلم يحفظ إلا عند الأحبار بنى ليوى، وأن هؤلاء قد قتلوا عن بكرة أبيهم فى غزوة بخت نصر البابلى، كما أن بعضهم لم يكن أمينًا عليها، وكذلك فإن الحوادث الجسام التى ألمت بهم وعطلت شريعتهم، وأحرقت كتبهم، منهم على أنفسهم، ومن الأمم الأخرى . . كل ذلك قد هيأ الفرصة لضياع التوراة المنزلة، ودفع عزرا ومعاونيه أن يلفقوا هذه الأسفار الحالية.

إن تحليل السموأل هذا، يتفق - فى مجمله - مع تحليل ابن حزم الأندلسى الذى سبقه بأكثر من مائة سنة، ويكتسب رأى السموأل أهمية عميقة لأنه كان حبرًا يهوديًا مبرزًا قبل إسلامه(٢).

---

(١) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٢) وقد أزعج كتاب السموأل (إفحام اليهود) اليهود إزعاجًا كثيرًا، يظهر ذلك فى كتاب فيلسوفهم المعروف بسعد بن منصور بن كمونة المتوفى ٦٨٣هـ، وقد ألف ابن كمونة كتاب «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» للرد - فى المقام الأول - على كتاب (إفحام اليهود) للسموأل بن يحيى المغربى المتوفى سنة ٥٧٠هـ.

رحمة الله الهندى الكيرانوى ت١٣٠٨هـ ١٨٩١م. يفحص سند التوراة وبقية أسفار العهد القديم:

عاش الشيخ رحمة الله فى الهند فى القرن التاسع عشر الميلادى، تحت سيطرة الاستعمار الإنجليزى البروتستانتى على البلاد والعباد، وقد تطاول علماء النصارى البروتستانت الذين وفدوا فى ركاب المستعمر، على الدين الإسلامى: عقيدة وشريعة وتاريخًا وحضارة وكتابًا وسنة. وقد دفعت هذه الأوضاع السيئة العلامة رحمة الله إلى مقاومة هذه الغارة التبشيرية المتجنية المتطاولة على الإسلام مقاومة علمية عقلية. . فبدأ بدراسة التراث الإسلامى فى حقل مقارنة الأديان والجدل مع أهل الكتاب، ثم درس تراث النصارى المتمثل فى كتبهم الدينية وتفاسيرهم وتواريخهم، وقد أتاح له سفره إلى حاضرة الخلافة العثمانية الاطلاع على مزيد من نفائس المؤلفات المحفوظة فى خزائنها ومكتباتها . . . وقد ركز الشيخ رحمة الله على دراسات علماء البروتستانت بصفة خاصة؛ لأن هؤلاء هم الذين جاءوا فى معية المستعمر، ومن ثم راجت كتبهم وذاعت فى بلاد الهند.

وإذا أخذنا فى الحسبان أن طائفة البروتستانت ـ منذ ظهورها على أيدى لوثر وكالفن وزونجلى وتلاميذهم من بعد ـ هى التى أخذت على عاتقها دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد دراسة نقدية حرة إلى حد ما، عرفنا أن رحمة الله الهندى قد وفق إلى تحصيل قدر وفير من تراثين مهمين فى مجال دراسة الكتاب المقدس، فتضلع منهما، وهضم وتمثَّل، ثم نسَّق وهذب، واستقرأ واستنتج، وأخرج كتابه القيم المسمى بـ (إظهار الحق)[1].

---

(١) ومع أن هذا الكتاب المهم قد طبع مرات عديدة، فإنه لم يحقق تحقيقًا علميًا مرضيا . . ولايزال بحاجة ماسة إلى التحقيق العلمى المنهجى. ومعروف أن هذا الكتاب كان ردًا مفحمًا على كتاب المبشر الدكتور فندر Pfinder المسمى: (ميزان الحق).

ونشير هنا إلى أننا كنا نود أن نعرض دراسة إمامين كبيرين لسند التوراة، هما: الإمام القرطبى المفسر المتوفى سنة ٦٧١هـ، والإمام القرافى الصنهاجى ٦٨٤هـ. لكنا خشينا التطويل، ويمكن للقارئ الكريم مراجعة كتاب القرطبى: (الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) فصل: (بيان ماطرأ فى التوراة من الخلل وأنها لم تنقل نقلا متواترًا فتسلم لأجله من الخطأ والزلل) ص ١٨٨ ـ ٢١١ نشرة دار التراث العربى بالقاهرة.

وانظر كتاب القرافى المسمى: (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) مصورة رقم ٤٠٤ بجامعة الإمام عن نسخة الفاتح بتركيا.

ويمكن أن يقال: إن دراسة رحمة الله الهندى لقضية سند التوراة والعهد القديم تعد تلخيصًا ممتازًا لأطراف هذه المسألة، وإن ما رأيناه عند ابن حزم الأندلسى، وابن عزرا، وسبينوزا، والجوينى والسموأل بن يحيى والقرطبى المفسر والقرافى نجد صداه فى تحليلات رحمة الله الهندى، كما نجد له اقتباسات مطولة من علماء البروتستانت كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

يقرر رحمة الله أنه لابد من السند المتصل لأى كتاب يدعى أنه كتب بوحى، فيقول: «لا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبى أو حوارى أنه إلهامى أو واجب التسليم . . .، وكذلك لانعتقد بمجرد ادعائهم ذلك؛ بل نحتاج إلى دليل؛ ولذلك طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل لكتبهم، فما قدروا!!، واعتذر بعض قسيسيهم فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم [(١)] فقال: إن سبب فقدان السند عندنا، وقوع المصائب والفتن (عليهم). . .، وتفحصنا فى كتب الإسناد لديهم[(٢)]، فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين . . .، وقد قلت: إن الظن ـ فى هذا الباب ـ لايغنى شيئًا »[(٣)].

ثم يبدأ رحمة الله بفحص سندا التوراة ـ وهى أسُّ الملة اليهودية والملة النصرانية ـ فيقطع بأنه «لاسند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته» [(٤)] ومن ثم فهى كتاب موضوع منحول، وليست وحيا منزلا، ونسبتها إلى موسى، عليه السلام، كذب وباطل وزور.

هذا رأى الشيخ وحكمه الذى يدلل عليه بأمور، رتبناها ونسقناها وهذبناها كما يلى:

---

(١) وقعت هذه المناظرة بينه وبين القسيس المنصر الدكتور فندر Pfinder فى الهند سنة ١٢٧٠هـ ـ ١٨١٨م وقد ألزم الشيخ فى هذه المناظرة علماء النصارى القول بوقوع النسخ والتحريف فى كتبهم، وقد ألف الشيخ ـ على إثر هذه المناظرة ـ كتابه (إظهار الحق). وقد طبعت هذه المناظرة مرات عديدة، ثم حققها أخيرًا محمد عبدالقادر خليل ونال بهذا التحقيق درجة الدكتوراة، ونشرها بالرياض ١٤٠٥هـ.

(٢) مثل كتاب نورتن المطبوع فى بوسطن سنة ١٨٣٧م حسب إشارة رحمة الله نفسه.

(٣) إظهار الحق ١/١٠٢ ـ ١٠٣ طبعة قطر (مصورة عن طبعة عمر الدسوقى).

الدليل الأول: أن الظروف التى مرت بها التوراة لم تعمل على حفظها وصيانتها، ولم تجعل تحريفها أمرًا بعيدا؛ بل إن هذه الظروف هيأت مناخًا مناسبًا جدًا يغرى بالتحريف والتبديل والوضع؛ ذلك أن «تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون، والنسخة التي وجدت [١] بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينًا . . ، ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت هذه النسخة قبل حادثة بختنصر . . ، وفى حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأسًا، ولما كتب عزرا هذه الكتب - على زعمهم - ضاعت نسخها وأكثر نقولها فى حادثة أنتيوكس» [٢] .

وقد وقعت على اليهود حوادث أخرى، منها حادثة طيطوس الرومانى، وهى حادثة عظيمة وقعت بعد عروج المسيح عليه السلام بسبع وثلاثين سنة، وهى مكتوبة بالتفصيل التام فى تاريخ يوسيفوس [٣] وتواريخ أخرى . . وهلك فى هذه

---

(١) يقصد تلك النسخة التى أعلن الكاهن الهارونى الأكبر حلقيا أنه عثر عليها فى الهيكل عند إشرافه على ترميمه بتكليف من الملك يوشيا بن آمون، وسلمها الكاهن إلى مستشار الملك، الذى سلمها بدوره إلى الملك، فما أن رآها الملك حتى عظمها ووقرها وقرأ فيها وبكى بكاء شديدًا، وجمع بنى إسرائيل وقرأها عليهم، وفى هذا بيان واضح أن هذه التوراة كانت مفقودة، ومفقودة من زمان بعيد جدًا . . . وكل هذا مسجل فى أسفارهم التى يقدسونها بتفصيل تام . . . انظر سفر الملوك الثانى ٢٣: ١ - ١٥، ٢١ - إلى آخره.

(٢) إظهار الحق، جـ١ ص٤٨٨ - ٤٩٥، وأرى أن هذه الأمور قد صارت واضحة للقارئ الكريم. وحادثة أنتيوكس المشار إليها هى التى ورد ذكرها فى الإصحاح الأول من السفر الأول للمكابيين . . لما فتح أنتيوكس ملك ملوك الروم أورشليم أحرق جميع نسخ العهد القديم التى حصلت له من أى مكان، بعد ما قطعها، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق، أو يؤدى رسم الشريعة يقتل، وكان يتحقق من هذا الأمر فى كل شهر، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد القديم، أو ثبت أنه أدى رسمًا من رسوم الشريعة، وتعدم تلك النسخة. وكانت هذه الواقعة سنة ١٦١ ق.م، واستمرت هذه الواقعة إلى ثلاث سنوات ونصف السنة كما ذكر فى تاريخ يوسيفوس الشهير، فانعدمت الكتب التى كتبها عزرا، وقد أقر بذلك المفسر اللاهوتى الكاثوليكى جان ملنر، فقال: «. . لما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا، ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انتيوكس».

(٣) هو فلافيوس يوسيفوس Fliavius Josephus من أشهر مؤرخى اليهود ولد فى أورشليم سنة ٣٧ ميلادية، وهو ينحدر من أسرة عريقة، أرسل من قبل رؤساء اليهود فى سفارة إلى روما، -

الواقعـة فى أورشليم ومـا حولها من بـلاد اليهود أكـثر من ألف ألف ومـائة ألف يهودى بالجوع، والـنار، والسيف، والصلب وأسر سبـعة وتسعون ألفًـا وبيعوا فى الأقاليم. . وهلك جـموع كثـيرة فى أقطار الأرض اليهوديـة، وانعدمت فيهـا تمامًا نقول عزرا [(١)].

إن كثرة هذه الحوادث في بنى إسرائيل، إلى جانب كـون التوراة غير متواترة فيهم، بمعنى أنه لم ينقـلها الكافة عن الكافة فى كل زمان؛ كل ذلك قـد هيأ مناخًا مناسبًا للتحريف والتزييف.

الدليل الثانى: يتمثل فى أن الكتب التى يزعم أهل الكتاب أن أنبياءهم مثل : عزرا، وحجاى، وزكريا وحزقـيال، وغيرهـم قد كتبوها وحيًا، وقع فـيها مخالفات صريحة ـ لايمكن دفعها ـ مع التوراة الحالية. وقد وقعت هذه المخالفات بين التوراة وأسفـار هؤلاء الأنبـياء فى : الأسمـاء، والأعداد، والأحكـام، والأنساب وغـير ذلك.

ومادام هؤلاء أنبيـاء ـ بإقرارهم ـ فقد كـانوا متبعين لتوراة مـوسى يقينًا. . . «ولو كـانت توراة موسى هى هذه التـوراة المشهـورة لما خالفـوها، ولما وقعـوا فى الغلط. . .، ولما أمكن لعـزرا أن يترك التـوراة ويعتـمد على الأوراق الناقـصة . . وكذا لو كانت التوراة التى كتبهـا عزرا مرة أخرى بالإلهام ـ على زعمهم ـ هى هذه التوراة المشهورة لما خالفها، فعلم أن هذه التوراة المشهورة ليست التوراة التى صنفها موسـى، ولا التى كتـبهـا عزرا، بل الحق أنهـا مجـموع من الروايات والقـصص

= ثم اشترك فى ثورة اليـهود ضد الرومان، وهزم اليهود، ثم صـحب القائد الرومانى طيطوس Titus إلى أن مات فى رومـا سنة ٩٨م، وألف كتاب: (حـروب اليهود) فى سـبعة أجزاء بالآرامـية، ثم ترجم إلى اليونانيـة، وألف كذلك: (تاريخ اليهود القـديم) فى عشرين مجلدًا من بدء الخلـيقة إلى سنة ٦٦م.

وقد كان شاهد عيان لكثير من الوقائع، ومن ثم اكتسـبت كتبه قيمة عظيمة لدى علماء التاريخ، ومن الجدير ذكره أنه لم شـيئًا عن المسيح عليه السلام غـير إشارات مقتضـبة !! . . . وقد قرأ ابن حزم الأندلس بعض كتبه، وامتدحه وأحسن القول فيه.

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٤٩٥.

المشتهرة بين اليهود، جمعها لهم أحبارهم فى هذا المجموع بلا نقد للروايات[1].

ونذكر علـى سبيل المثـال أن أهل الكتاب مـجمـعون على أن عـزرا قد ألف سفرى أخبار الأيام، بمعاونة نبيين آخرين هما: زكريا وحجاى. وقد وقع الاختلاف الفاحش بين ماجاء فـى هذين السفرين، وما جاء فى سفر الـتكوين؛ أحد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، على النحو التالى:

- ورد فى السفر الأول لأخبار الأيام: الإصحاح السابع: ٦

«بنو بنيامين: بالع، وبكر، ويديع؛ ثلاثة أشخاص».

- وجاء فى نفس السفر هكذا:

«ولد بنيـامين ولده الأكبر بـالع، والثانى إشـبيل، والثالث أحـرح، والرابع نوحاه، والخامس رفاه»

- وجاء فى التكوين ٤٦ : ٢١ [2].

---

(١) السابق جـ ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٥. وهذا رأى مهم لرحمـة الله الهندى مـؤداه: أن عزرا لم يكتب هذه التوراة الحـالية المشهورة، وهو بهـذا الرأى يخالف ما أجمع عليـه جمهور علمـاء اليهود والنصارى القدماء والمحدثين، وما قد وافق عليه جمـهور علماء المسلمين . . فقد نسب الجميع التوراة الحالية إلى عزرا كما هو معلوم.

وقد كان رحمة الله على وعى بهذا، لكنه استند إلى دليل قوى ذكره فى النص الذى أوردناه فى متن كلامنا هنا. وقد شـرح رحمة الله هذا فى (ص ٣٥٣ جـ١) وهو ينفى نسبة التـوراة الحالية إلى عزرا، برغم أنه ينقل عبـارات قاطعة لعلماء النصارى تؤكـد أن عزرا قد كتب هذه الأسفار الخـمسة المسمـاة التوراة، مـثل قول كليمـنس إسكندريانوس: «إن الكتب السمـاوية ضاعت فـألهم عزرا أن يكتبها مـرة أخرى.» وقول ترتولين: «المشهور أن عزرا كـتب مجموع الكتب المقدسـة بعد ما أغار البابليون على أورشليم.» ومثل قول جـان ملنر الكاثوليكى فى كتابه الذى طبع فى مدينة بربى سنة ١٨٤٢م ص ١١٥ «اتفق أهل العلـم على أن نسـخـة التـوراة الأصليـة ضـاعت على أيدى عـسكر بختـنصر، ولما ظهـرت نقولهـا الصحيـحة بواسطة عـزرا، ضاعت تلك الـنقول أيضًا فـى حادثة أنتيوكس» المـشار إليها، وقول تهـيوفلكنت: «إن الكتب المقدسـة انعدمت تمامًا فأوجـدها عزرا مرة أخرى بإلهام.راجع: إظهار الحق حـ ١ ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤»

(٢) من طبعة سنة ١٨٤٨م.

«بنو بنيامين: بالع، وباخور، وإشبيل، وحيرا، ونعمان، وأحى ورُوش وما فيم، وحوفيهم، وارد».

ثم يعلق رحمة الله على ذلك قائلا: «ففى العبارات الثلاث اختلاف فى الأسماء والأعداد!!، . . ولما كانت العبارتان الأوليان من سفر واحد، لمصنف واحد، لزم تناقض المصنف، وهو عزرا النبى . . . ولاشك أن إحدى العبارات تكون صادقة، والباقيتان تكونان كاذبتين. وتحير علماء أهل الكتاب فيه واضطربوا، ونسبوا الخطأ إلى عزرا النبى؛ فقال آدم كلارك [1] ذيل العبارة الأولى:

كتب ههنا ـ لأجل عدم التمييز للمصنف ـ ابن الابن موضع الابن، وبالعكس!!، والمطابقة فى مثل هذه الاختلافات غير مفيدة، وعلماء اليهود يقولون: إن عزرا الذى كتب هذا السفر ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أو بنو أبناء!!، ويقولون أيضا: إن أوراق النسب التى نقل عنها عزرا كان أكثرها ناقصا!!، ولابد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات[2].

ومن جانبنا نقول: إن كان عزرا قد كتب لهم هذه الأسفار، طبقًا لدعواهم، وقد اعترفوا أنه أخطأ فى سفر أخبار الأيام وناقض نفسه فيه وناقض به سفر التكوين، فإن الخطأ واقع منه فى جميع أسفار العهد القديم التى تنسب إليه، ولا مناص.

وكذلك من قابل بين الإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال ـ وهو أحد أنبيائهم باتفاق ـ بالإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد، وجد تخالفًا صريحًا فى الأحكام. وظاهر أن حزقيال كان متبعًا لموسى عليه السلام فى توراته، فلو كانت التوراة فى زمانه (يعنى لو كانت توراة موسى فى زمان حزقيال) مثل هذه التوراة الحالية، لما خالفها فى الأحكام يقينًا (لأنه نبى)؛ ممايدل على أن هذه التوراة الحالية ليست توراة موسى

(١) آدم كلارك واحد من كبار مفسرى العهدين القديم والجديد، وقد طبع تفسيره فى لندن سنة ١٨٥١م.

(٢) إظهار الحق جـ ١ ص ٣٥٤، ٣٥٣.

عليه السلام. . وهذه مجرد نماذج فحسب لأننا سنشرح بعض ذلك فى مبحث تال إن شاء الله.

الدليل الثالث: «تشهد عبارة التوراة ـ أى صياغتها ـ أن كاتبها غير موسى عليه السلام، وهذا الغير جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود، وميز بين الأقوال؛ فما كان ـ فى زعمه ـ قول الله، أو قول موسى، أدرجه تحت: «قال الله»، أو «قال موسى» . وعبر عن موسى فى جميع المواضع بصيغة الغائب، ولو كانت التوراة من تصنيف موسى لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولو فى موضع واحد من المواضع؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضى زيادة الاعتبار . . ، وهذا هو الظاهر، ومن ادعى خلاف الظاهر فعليه البيان[(١)].

الدليل الرابع: يستدل العلامة رحمة الله الهندى بالطابع العام الموحد فى أسلوب صياغة جميع أسفار العهد القديم، والمتوقع هو اختلاف الأسلوب وتفاوته وتنوعه؛ لتباعد الزمان، واختلاف الأشخاص الذين تسند إليهم هذه الأسفار، ويسوق قول القسيس نورتن: «إنه لايوجد فرق معتد به فى محاورة التوراة، ومحاورات سائر الأسفار من العهد العتيق الذى كتب فى زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل؛ مع أن بين هذين الزمانين تسعمائة عام؛ وقد علم بالتجربة أنه يقع الاختلاف فى اللسان بحسب اختلاف الزمان؛ فمثلا إذا لاحظنا لسان الإنجليز وقسنا حال هذا اللسان بحال ذلك اللسان الذى كان قبل أربعمائة سنة، وجدنا تفاوتًا فاحشًا، ولعدم الفرق المعتد به بين محاورة هذه الكتب ظن الفاضل (ليوسلن) الذى له مهارة كاملة فى اللسان العبرانى أن هذه الكتب صنفت فى زمان واحد»[(٢)] . ولم يزعم أحد أن موسى عليه السلام قد وضع أسفار العهد القديم كلها، إذًا فقد وضع هذه الأسفار جميعها شخص آخر غير موسى.

وينقل عن الدكتور إسكندر كيدس قوله فى ديباجة العهد الجديد:

«ثبت لى بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزمًا:

الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى.

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٢) السابق ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

والثاني: أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني لم تكتب في عهد موسى الذى كان بنو إسرائيل فيه في الصحارى.

والثالث: لايثبت تأليفها قبل سلطنة داود. . . ؛ بل قبل ألف سنة من ميلاد المسيح . . في الزمان الذى كان فيه هومر الشاعر، فالحاصل أن تأليفها بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى»[1] .

الدليل الخامس: ما جاء في التوراة الحالية من إشارات وتصريحات يفهم منها أن التوراة الموسوية الأصلية كانت وجيزة جداً أمكن نقشها على أحجار المذبح[2]؛ ولو كانت التوراة الأصلية عبارة عن هذه الأسفار الخمسة الحالية لما أمكن ذلك؛ وقد فصل هذه النقطة من قبل العلامة ابن حزم، والحبر ابن عزرا، وسبينوزا.

الدليل السادس: أن رسم التوراة الحالية ـ في أقدم مخطوطاتها ـ ليس هو رسم الكتابة في زمان موسى عليه السلام؛ كما تبرزه كتب التاريخ والآثار والحفريات، وينقل رحمة الله عبارة القسيس (نورتن) عن رسم الأسفار الخمسة: «أنه لم يكن رسم الكتابة في عهد موسى»[3] .

الدليل السابع: أن الأسفار الخمسة الحالية قد وقع فيها أغاليط كثيرة فاحشة؛ وكلام الله تعالى، وكلام موسى عليه السلام أرفع وأجل من أن يقع فيه مثل ذلك ثم يسوق قائمة مفصلة تبين هذه الأخطاء التى وقعت في التوراة الحالية [4]. وقد نبه إلى هذه الأخطاء من قبل كثير من علماء مقارنة الأديان المسلمين، ثم أقر به علماء اللاهوت اليهود والنصارى مثل الربى قمحى، والمفسر هارسلى، والدكتور كرى، والدكتور لايت فت وغيرهم، وسنورد نماذج مفصلة لهذه الأخطاء في مبحث تال إن شاء الله تعالى.

الدليل الثامن: ورود عبارات في الأسفار الخمسة الحالية المسماة التوراة

---

(١) السابق جـ ١ ص ١٠٨ .

(٢) سفر الاستثناء ٢٧ : ٨، سفر يوشع: ٨.

(٣) إظهار الحق جـ ١ ص ١١٠.

(٤) انظر المصدر ذاته من ص ١١١ ـ ١٢٨ .

والمنسوبة إلى موسى عليه السلام، لايصح عقلا ألبتة أن يكون موسى هو قائلها أو كاتبها أو واضعها ومصنفهـا، وقد نبه العلماء إلى ذلك من قبل، وأقر علماء اليهود والنصارى بذلك مثل ابن عزرا، وسبينوزا، وآدم كلارك، وهورن، وجامعى تفسير هنرى وإسكات، وكنى كات، وهارسلى، وغيرهم وسأقتبس فيما يلى نماذج من تعليقات بعض علماء النصارى على بعض هذه العبارات المدرجة فى التوراة والتى يستحيل نسبتها إلى موسى عليه السلام بحال من الأحوال.

* **النموذج الأول**: جاء فى سفر التكوين: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أدوم قبلما ملك لبنى إسرائيل ملك . . ثم يعددهم [(١)]».

ولايمكن ألبتة أن تكون هذه الفقرة من كلام موسى عليه السلام؛ لأنها تدل على أن المتكلم بهـا بعد زمان قيـام ملك بنى إسرائيل . . ومعروف أن أول ملوك بنى إسرائيل هو شاؤل أو طالوت، وهو قد عاش بعد موسى عليه السلام بأكثر من ثلاثمائة سنة.

ويعلق الباحث اللاهوتى والمفسر الكتابى العلامة آدم كلارك فى المجلد الأول من تفسيره [(٢)]، على هذه الآية قائلا:

«غالب ظنى أن موسى ما كتب هذه الآية والآيات التى بعدها إلى التاسعة والثلاثين؛ بل هذه الآيات هى آيات الباب الأول من السفر الأول من كتاب أخبار الأيام، وأظن ظنًا قويًا قريبًا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن الناقل (الناسخ) أنها جزء من المتن، فأدخلها فيه!!!».

ويعلق رحمة الله على كلام كلارك قائلا:

«فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسع، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف؛ لأن هذه الآيات التسع ـ مع عدم كونها من التوراة ـ دخلت فيها، وشاعت ـ بعد ذلك ـ فى جميع نسخها» [(٣)].

---

(١) (٣٦: ٣١)

(٢) المطبوع فى لندن سنة ١٨٥١م

(٣) إظهار الحق ١/ ٣٧٠.

*نموذج آخر: ورد في سفر الاستثناء [1]. «يائير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب.. إلى .، ودعاها على اسمه باشان حدوث يائير إلى هذا اليوم».

وهذه العبارة يستحيل أن تكون من كلام موسى عليه السلام؛ لأن المتكلم بها لابد أن يكون متأخرًا عن يائير تأخرًا كثيرًا، كما يشعر به قوله. إلى هذا اليوم! وقد بسطنا ذلك عند تحليل رأى الحبر ابن عزرا فى صدر هذا المبحث.

وأهم من تكراره نسوق رأى الباحث اللاهوتى المعروف هورن.. إذ يقول[2]:

«هاتان الفقرتان لايمكن أن تكونا من كلام موسى؛ لأن الفقرة الأولى دالة على أن مصنف هذا الكتاب كان بعد زمن قيام سلطنة بنى إسرائيل، والثانية دالة على أن مصنفه كان بعد زمان إقامة اليهود فى فلسطين .. لكن لو فرضناهما إلحاقيتين (يقصد منحولتين) لايتطرق الخلل إلى حقيقة الكتاب!!.

ومن نظر بالنظر الدقيق، علم أن هاتين الفقرتين ليستا بلا فائدة فقط؛ بل هما ثقلان على متن الكتاب؛ سيما الفقرة الثانية؛ لأن مصنفه - موسى كان أو غيره - لايقول لفظ: إلى هذا اليوم. فالأغلب أنه كان فى الكتب بهذا القدر: (يائير بن منسى ورث كل أرض أرجوب إلى تخوم.. وسمى باشان باسمه حدّوث يائيير) .. ثم بعد قرون زيد هذا اللفظ فى الحاشية ليعلم أن الاسم الذى سماها به يائير هو اسمها إلى الآن..، ثم انتقلت تلك العبارة عن الحاشية إلى المتن فى النسخ المتأخر... ومن كان شاكًا فى هذا الأمر فلينظر النسخ اليونانية ليجد فيها أن الإلحاقات التى توجد فى متن بعض النسخ، توجد - أيضًا فى النسخ الأخرى - على الحاشية!!».

ثم يعلق العلامة رحمة الله على ذلك قائلا:

«.. فاعترف (هورن) أن هاتين الفقرتين لايمكن أن تكونا من كلام موسى عليه السلام، وأن هذا الكتاب - بعد القرون - كان صالحًا لتحريف المحرفين؛ لأن

---

(١) ٣: ١٤

(٢) تفسيره على العهدين، المطبوع فى لندن سنة ١٨٨٢م

هذا اللفظ، بحسب اعترافه، زيد بعد قرون!، ومع ذلك صار جزءًا من الكتاب!!، وشاع في جميع النسخ المتأخرة!!، وقوله لو فرضناهما إلخ، فهو يدل على التعصب، وهو ظاهر»[1].

أما جامعو تفسير هنري واسكات فيقولون: «الجملة الأخيرة (يقصد. إلى هذا اليوم) ألحقها أحد، بعد موسى، ولو تركت لايقع الفساد في المضمون»[2].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس الذي شارك في وضعه كالمنت وزابت وتيلر وطبع في كل من أمريكا وبريطانيا والهند ـ: «بعض الجمل التي توجد في كتاب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه مثل (الفقرة ٤٠ من الباب ٢٢ من سفر العدد، الفقرة ١٤ من الباب ٣ من سفر الاستثناء، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاورة كلام موسى، ولا نقول جزمًا إن أي شخص ألحق هذه الجمل والعبارات، لكن نقول بالظن الغالب إن عزرا النبي ألحقها »[3]. . .

فهؤلاء العلماء جزموا أن بعض الجمل والعبارات ليست من كلام موسى، لكنهم لم يستطيعوا أن يبينوا اسم الملحق لها على سبيل التعيين؛ بل نسبوا على سبيل الظن إلى عزرا.

* نموذج آخر: يعلق آدم كلارك [4] على ما جاء في سفر العدد (٢١: ٣) «فسمع الله دعاء آل إسرائيل، وسلم في أيديهم الكنعانيين، فجعلوهم وقراهم. . ، وسمى ذلك الموضع حرمًا.

يقول كلارك . . ، إني أعلم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يوشع؛ لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا في عهد موسى؛ بل بعد موته»، ومن ثم لايسوغ أن يكون موسى عليه السلام واضع هذه العبارة.

كما يعلق كلارك على ما جاء في سفر التكوين (٢٢: ١٤)، وما جاء في سفر التثنية (٢: ١٢)، وما جاء في سفر التثنية أيضًا (٣: ١١) بأن هذه العبارات لم

---

(١) السابق جـ ١ ص ٣٧١، ٣٧٢

(٢) نفس المصدر.

(٣) السابق ص ٢٧٣

(٤) جـ ١ ص ٩٩٧ من تفسير آدم كلارك لأسفار العهدين المشار إليه انفا

يكتبها موسى فى التوراة، لكنها إلحاقية، أى: منحولة موضوعة. ولم يعين كلارك من وضعها أو ألحقها على وجه التحديد.

* **نموذج آخر**: ورد فى سفر الخروج (١٦: ٣٥): «وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة؛ أكلوا المن حتى جاءوا إلى طرف أرض مؤاب»(١).

هذه الآية ليست من كلام موسى؛ لأن الله لم يمسك المن بنى إسرائيل طيلة حياته، ولم يدخل بنو إسرائيل أرض كنعان فى حياة موسى عليه السلام، وقد علق المفسر المعروف آدم كلارك على ذلك قائلا:

«ظن الناس من هذه العبارة أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المن عن بنى إسرائيل؛ لكنه يمكن أن يكون عزرا ألحق هذه الألفاظ»(٢).

* **نموذج آخر**: جاء فى سفر التكوين (١٣: ١٨، ٣٥: ٢٧، ٣٧: ١٤) لفظ «حبرون» علمًا على قرية فى فلسطين كان اسمها فى أيام موسى عليه السلام قرية «رابع»، ثم غير الإسرائيليون اسمها فى زمان يوشع، وأسموها قرية حبرون، وقد نص فى سفر يشوع (١٤) صراحة على الاسم الجديد لهذه القرية ... وفى هذا دليل واضح قاطع على أن هذا كلام شخص آخر غير موسى عليه السلام. وأنه كتبه بعد زمان يوشع.

وكذلك ورد فى سفر التكوين (١٤: ١٤) لفظ (دان) علمًا على قرية، كان اسمها قرية (ليث)، وهى قد عمرت بعد زمان موسى؛ وبالتحديد فى زمان القضاة، بعد موت يوشع، ثم أطلق عليها اسم (دان) .. وهذا مصرح به فى سفر (القضاة: ١٨). وفى هذا دلالة على أن موسى لم يكتب هذا الكلام، وإنما كتبه شخص آخر، جاء بعد وقوع هذه الحوادث.

وتأمل كلام المفسر اللاهوتى هورن، وهو يعلق على هذا: «يمكن أن يكون موسى كتب قرية رابع وليث، لكن بعض الناقلين حرف هذين اللفظين إلى حبرون ودان». وفى كل الأحوال هو اعتراف من هذا المفسر بالتحريف ولا ريب.

(١) من ترجمة البروتستانت سنة ١٩٧٠م.
(٢) تفسير كلارك جـ ١ ص ٢٩٩.

* نموذج آخر: يعترف جامعو تفسير هنرى واسكات بإلحاق العبارتين التاليتين بسفر التكوين (١٣: ٧)، (١٢: ٦)، وهما: «والكنعانيون والفرزيون حينئذ مقيمون بالبلد»، «والكنعانيون حينئذ بالبلد».

يقر المفسرون المسيحيون بأن موسى لم يكتب هاتين العبارتين فى توراته، ويقولون:

«هذه الجملة . . . وكذا الجمل الأخر، فى مواضع شتى، ملحقة لأجل الربط؛ ألحقها عزرا أو شخص إلهامى آخر فى وقت جمع الكتب المقدسة[١].

ويعترف آدم كلارك بأن الآيات الخمس من أول هذا الباب بمنزلة المقدمة لباقى الكتاب وليست من كلام موسى، والأغلب أن يوشع أو عزرا ألحقاها[٢].

والحق أن علماء الكتب المقدس!! لايقتصر إقرارهم بالوضع والإلحاق على بعض العبارات أو الجمل؛ بل يتعداه إلى الإقرار بإلحاق أو وضع باب أو إصحاح بأكمله إلى سفر التثنية . . .، فيتعرف جامعو تفسير هنرى واسكات بأنه قد «تم كلام موسى على الباب السابق (يقصد الإصحاح ٣٣)، وهذا الباب (يقصد الرابع والثلاثين من سفر التثنية) من الملحقات، والملحِقُ: إما يوشع، أو صموئيل، أو عزرا، أو نبى آخر من الأنبياء بعدهم، لايعلم بالجزم، ولعل الآيات الأخيرة ألحقت بعد زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل»[٣].

أما اللاهوتى آدم كلارك فإنه يقول: «تم كلام موسى على الباب السابق، وهذا الباب (٣٤ من سفر التثنية) ليس من كلامه، ولايجوز أن يقال: إن موسى كتب هذا الباب أيضا بالوحى؛ لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحسن؛ بل ويجعل المطلب كله لغوا . . وإنى أجزم بأن هذا الباب كان بابًا أولا لكتاب يوشع، والحاشية التى كتبها بعض الأذكياء من أحبار اليهود على هذا الموضع مرضية، قابلة للقبول . . .، وإن أكثر المفسرين قالوا إن سفر الاستثناء قد تم على الدعاء الإلهامى الذى دعا به موسى لاثنى عشر سبطًا، أى على هذه الفقرة (فطوباك يانسل

(١) إظهار الحق جـ١ ص٣٧٨.
(٢) تفسير كلارك لسفر التثنية جـ ١ ص ٧٤٩.
(٣) عن إظهار الحق جـ ١ ص ٣٨٠.

إســرائيل ليس مثــلك شعب مــغاث بــالله. . .). وأن هذا الباب (الذى أدرج بعــد ذلك) كتبه المشــائخ السبعون بعد موت موسى، وكــان هذا الباب أول أبواب كتاب يوشع، لكنه انتقل من ذلك الموضع إلى هذا الموضع!!» وأصــبح جزءًا من التوراة المنسوبة إلى موسى [1]!!

ثم ينقل كــلارك ـ وهو يعلق على سفــر التثنيــة الإصحــاح العاشر ـ تــقريرًا مســهبًا لكنى كــات؛ خلاصتــه: «أن عبارة المتن الســامرى صحــيحة، وعــبارة المتن العبرى غلط، وأربع آيات مــابين الخامسة والعاشرة أجنبــية، لو أسقطت لارتبطت العبارة ارتبــاطا حسنا. . فهذه الآيات الأربع كتــبت من غلط الكاتب ههنا، وكانت من الباب الثــانى من كتــاب الاستثنــاء . . ويعلق كلارك على تقريــر كنى كات هذا قائلا: ولاينبغى أن يتعجل فى إنكار هذا التقرير[2].

هذه أدلة رحمــة الله الهندى على أن هذه الأسفار الخــمسة لايجــوز نسبتــها ألبتة إلى موسى عليه السلام؛ لأنها ليست من وضعه؛ بل صنفها كاتب بعد موسى عليه السلام بزمان طويل، ونسبت إليه باطلا وزورا.

وفى الواقع أن فَحْص رحــمة الله لسند التوراة قد لخص لنا حجــج السابقين من علماء المسلمــين واليهود والنصــارى مثل : ابن حزم، والجوينى، والســموأل، والقرطبى، وابن عزرا وسبينوزا، وهورن، وهارسلى، وآدم كلارك، وغيرهم[3].

هذا فيــما يتعلق بسند الأســفار الخمســة ـ وهى أهم كتب اليهــود والنصارى وأوثقها عندهم، أما بقية أسفار العهد القديم، فحالها ـ من حيث السند ـ أسوأ من حــال الأسفــار الخمــسة، وقــد أقــر علماء اليــهــود والنصارى بالوضع والإلحــاق والتحريف فــيها، ولانحب ـ تطلبًا للإيجاز ـ أن نســوق كلام علمائهم عن سند كل سفر من هذه الأسفار، لكنا نكتفى بسوق نموذج واحد فحسب:

---

(١) نقلا عن إظهار الحق جـ ١ ص٣٧٩.

(٢) تفسير كلارك جـ ١ ص ٧٧٩ ـ ٧٨٠ (عن إظهار الحق).

(٣) مثل جان أوستروك، وكريسباخ، وريتــشارد سيمون، والأب دى فو، الأسقف دى كولنو، وإدمون جاكوب، وبرونوباور، ودافيد شتراوى، وزنان، وغيرهم.

جاء فى سفر صموئيل الأول ـ من النسخة العبرانية ـ (٦:١٩): «وأهلك الرب أهل بيت الشمس؛ لأنهم فتحوا صندوق الرب ورأوه، فأهلك منهم خمسين ألفًا وسبعين إنسانًا» يعلق كلارك على ذلك قائلا: «الغالب أن المتن العبرى محرف، إما سقط منه بعض الألفاظ، وإما زيد فيه لفظ خمسون ألفًا جهلا أو قصدًا، لأنه لايعلم أن يكون أهل تلك القرية الصغيرة بهذا المقدار مشتغلا بحصد الزرع، وأبعد من هذا أن يرى خمسون ألفًا الصندوق دفعة واحدة فى جرن يوشع على حجر إيل . . . ثم قال كلارك:

«فى النسخة اللاتينية: سبعون رئيسا وخمسون ألفًا، وسبعون إنسانًا، . . . وفى النسخة السريانية: خمسة آلاف وسبعون إنسانًا، وكذلك فى العربية خمسة آلاف وسبعون إنسانًا . . وكتب المؤرخ يوسيفوس «سبعون إنسانا فقط»، وكتب سليمان الجارحى الربى والربيون الآخرون، كذلك.

فهذه الاختلافات ـ وذلك لعدم إمكان المذكور ـ تعطينا اليقين أن التحريف وقع ههنا يقينًا؛ فإما زيد شىء، أو سقط شىء»[١] .

وكتب مثل ذلك جامعو تفسير هنرى واسكات، فقالوا: «فى صدق هذه الحادثة شك»[٢] وهنالك عبارات كثيرة من هذا السفر توجد فى نسخة إسكندريانوس، ولاتوجد فى الترجمة اليونانية.

ويرى كنى كات ـ فيما نقل عن كلارك وهارسلى ـ أنها ليست جزءاً من الأصل، وإنما هى إلحاقية، ثم يشرح كنى كات ظروف هذا الإلحاق قائلا:

إن قلت متى وجد هذا الإلحاق؟ قلت: كان اليهود فى عهد يوسيفوس يريدون أن يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء، واختراع الأقوال الجديدة . . انظروا إلى الإلحاقات الكثيرة فى كتاب أستير، وإلى حكاية الخمر والنساء، والصدق التى زيدت فى كتاب عزرا ونحميا، وتسمى الآن بالكتاب الأول لعزرا، وإلى غناء الأطفال الثلاثة الذى زيد فى كتاب دانيال، وإلى الإلحاقات

---

(١) عن إظهار الحق جـ ١ ص ٣٨٥، ٣٨٦.

(٢) عن المصدر السابق.

الكثيرة فى كتاب يوسيفوس . . . ويمكن أن هذه العبارات كانت مكتوبة فى الحاشية ثم أدخلت فى المتن؛ لأجل عدم مبالاة الناسخين!![1]».

كما نضيف من جانبنا إلى كل ماسبق أن أقدم نسخة مخطوطة معروفة للعلماء تعود إلى القرن الرابع الميلادى، على حسب أكثر التقديرات تسامحًا؛ ومعنى ذلك أن الفجوة الزمنية شاسعة جداً بين تاريخ التدوين وتاريخ التنزيل!![2].

وبعد: فإن الدراسات التى حلّلناها آنفا، تثبت أنه لاسند متصلا لأى سفر من أسفار العهد القديم؛ لا الأسفار الخمسة، ولا بقية الأسفار، وأن نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام، لا دليل عليها، وأنها مجرد ادعاء تدحضه تلك البراهين القواطع التى قدمها علماء مقارنة الأديان: اليهود والنصارى والمسلمون[3].

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٣٨٧، وتفسير هارسلى جـ ١ ص ٣٣٠.

(٢) راجع المبحث السابق: (أقدم مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها).

(٣) ويلخص باحث غربى معاصر هو الدكتور Owen Cole موقف علماء الغرب اليوم من سند التوراة . . فيقول تحت عنوان (أصل التوراة وتطورها): متى كتبت التوراة لأول مرة ؟ ثم يجيب:

هنالك ـ اليوم ـ وجهة النظر التقليدية ـ التى يؤمن بها كثير من اليهود وبعض النصارى ـ التى تعتقد أن موسى قد أوحيت إليه هذه التوراة، وقد كتبها أو قيدها بنفسه، ماعدا بعض الفقرات الأخيرة من سفر التثنية التى تصف وفاة موسى.

لكن هنالك عدداً كبيرًا من علماء الأديان الغربيين، فى القرنين الأخيرين، يرون أن التوراة إن هى إلا مجموعة من المكتوبات التاريخية الموروثة، قد جمعت معًا فى كتاب خلال فترة طويلة تصل إلى ستة قرون ـ وأن توراة موسى الأصلية هى التى أدرجت فى سفر التثنية الحالى . . وهو الكتاب الذى وجده الكاهن حلقيا فى الهيكل، فى زمان الملك يوشيا.

انظر: Six Religions, P. 68, 1984, Oxford

الفصل الثامن

الأناجيل... سندًا ومتنًا(*)

---

* نشر هذا البحث من قبل في دورية مركز البحوث التابع لجامعة الإمام بالرياض سنة ١٩٨٤م، كما نشر في مقدمتنا لكتاب حجة الإسلام الإمام الغزالي «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» ورأينا نشره في هذا الكتاب لتمام الفائدة وحسن المناسبة؛ ولأنه يكمل - إن شاء الله - موضوعات هذا الكتاب.

(١) توطئة:

هذه دراسة موجزة عن الأناجيل الأربعة والرسائل التى تكون مايسمى عند النصارى «العهد الجديد»، الذى يكون إلى جانب «العهد القديم» أو التوراة وأسفار الرسل - الكتاب المقدس، الذى يقدسه النصارى ويعتبرونه كتاب دينهم، يأخذون منه عقيدتهم فى التثليث، والإلهام الخاص بالرسل، . . إلى غير ذلك، ويؤسسون عليه أحكامهم وأخلاقهم، ويبشرون به وينشرونه بين الناس. وهذا الكتاب - العهد الجديد - عندهم هو النص المقدس، أو الوثيقة الدينية التى كتبها أصحابها بإلهام ووحى إلهى فى نظر الكنيسة ورجالها وكثير من رعاياها.

ولأن هذا الكتاب (العهد الجديد) بهذه المثابة عندهم، فهو يستأهل الدراسة والتمحيص والامتحان والنقد المنهجى الموضوعى، وتلكم الدراسة ينبغى أن تركز على نقطتين مهمتين، هما:

أ - نقد السند.

ب - نقد المتن.

ويجدر بى أن أذكر - فى هذا الصدد - أن «علم مقارنة الأديان» والجدل الدينى مع اليهود والنصارى بخاصة، قد حظى بعناية فائقة من كبار العلماء المسلمين، ولاشك فى أن عنايتهم «بعلم مقارنة الأديان» كانت ثمرة مباشرة لتوجيهات القرآن الكريم، وعنايته بهذه الناحية.

والمتدبر فى كتاب الله - عز اسمه - يجد أنه قد اهتم بإيراد مقولات الأديان التى كانت سائدة ومسيطرة إبان التنزيل، وناقشها، وبرهن على بطلانها وفسادها. تكلم عن اليهود والنصارى والدهريين ومنكرى البعث . . وغيرهم، وحلّل وفصّل، وما ذلك إلا لأن عرض العقيدة الصحيحة وتثبيتها، ودعوة الناس إليها، لايكون بمعزل أبدًا عن مناقشة العقائد والمذاهب الباطلة، وإماطة اللثام بالحجج والبراهين عن خللها وخطلها وزللها، ووهاء مبناها، وتهافت دعواها، وبضدها تتميز الأشياء، كما يقال!!

ونقول: إن منهج القرآن الكريم فى عرض العقائد والأديان والمذاهب

الأخرى كان موضوعيا منهجيا، تمثل ذلك فى عرضه الأمين الدقيق المستوعب لمقالاتها، كما هى مسطورة فى كتبها، أو مروية على ألسنة معتنقيها. ثم ناقشها وفندها، وبين الحق وأظهره، وبرهن عليه، ودعا الناس إليه من خلال إبطال الباطل.

ويحسن أن نذكر بعض من ألف وكتب من علمائنا وسلفنا الصالح فى علم مقارنة الأديان، منهم:

الكندى، والجاحظ، وابن حزم، والشهرستانى، وأبو المعالى الجوينى، وأبو حامد الغزالى، والقاضى عبدالجبار، وأحمد ابن تيمية والسموأل بن يحيى المغربى، وابن القيم، والقرطبى، وأبو عبيدة الخزرجى، والفخر الرازى، وعلى بن محمد الباجى، وأبو العباس أحمد بن إدريس القرافى، ورحمة الله الهندى، وباجهجى زاده، والسوباطى، والجزيرى، ومحمد أبو زهرة، وغيرهم رحمهم الله أجمعين[1].

(٢) منهج الدراسة:

سرنا فى هذا البحث على ذكر أصحاب الأناجيل والرسائل، شخصا شخصًا، مبينين الغموض والنقص الشديد فى المعلومات عن حياتهم وسيرتهم، أى الجهل بحالهم، وبعدهم عن صاحب الرسالة، عيسى عليه السلام، وبالجملة بينا انقطاع سند هذه الأناجيل والرسائل.

ثم أشرنا إلى جانب مما تحتوى عليه هذه الأناجيل من تناقض وتهافت وتكاذب وتعاند ووهاء، ناقلين عن كتابهم ومؤلفيهم، ومفسرى أناجيلهم وشراحها ودوائر معارفهم.

(٣) يوحنا:

سنورد ـ فى حديثنا عن يوحنا وإنجيله ـ نصوصا لعلماء لاهوتيين نصارى، ثم نعقب على ذلك ببعض ماذكره الباحثون المسلمون فى هذا الشأن إن كان ثمة مجال لذلك.

---

(١) يعد كاتب هذه السطور دراسة عن مصادر علم مقارنة الأديان، والجدل الدينى مع اليهود والنصارى عند المسلمين

يقول «جون مارش» فى مقدمته لتـفسير إنجيل يوحنا، تحت عنوان (استحالة التوكيد):

«حـين نأتى لمناقشـة المشاكل الهـامة والمعـقدة الـتى تتعلق بالإنجـيلى الرابع «يوحنا» وإنجيله، نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعتـرف مقدما بأنه لاتوجد مشكلة حول التعريف «بالإنجيل وكاتبه» يمكن إيجاد حل مؤكد لها . . .

- من كان هذا الـ «يوحنا» الذى قيل : إنه المؤلف؟

- أين عاش؟

- لمن من الجمهور كتب إنجيله؟

- أى المصادر كان يعتمد عليها؟

- متى كتب مصنفه؟

حول كل هذه الأسئلة، وحول كثير غيرها، توجد أحكام متباينة . . .».

ويختم «جون مارش» مقدمته بقوله:

«. . . وبعد أن نفرغ كل مـا فى جعبتنا، نجـد أنه من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - تحقيق أى شيء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا!!».

ويرى هذا الباحث اللاهوتى نفسـه: «أنه من المستـحيل الاعتقـاد بأنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادى، قام شخص يدعى «يوحنا»، من الممكن أن يكون يوحنا مرقص (خلافًا لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدى الصياد، أحد التـلاميذ الاثنى عـشر الحواريين) . . قـد تجمعـت لديه معلومات وفـيرة عن يسوع، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة (متّى ومرقس ولوقا)، فقام عندئذ بتسجيل شكل جـديد لقصة يسوع، اختص بها طائفته الخاصة، الـتى كانت تعتبـر نفسها عـالمية، كما كـانت متأثرة بوجود تلامـيذ يوحنا المعمدان[1].

---

(1) John Marsh, Saint John, pp 20, 80, Penguin Books 1976

وانظر لصديقنا الأسـتاذ أحمد عـبدالوهاب: المسيح فى مصـادر العقائد المسيـحية. مكتبـة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٧٨م ص ٧٠ ، ٧١، ٣٢١. وقد أفدنا من بحوثه ودراساته في هذا الحقل، ونوصي القارئ الكريم بالرجوع إليها.

وترى دائرة المعارف الأمريكية أن العقيدة المسيحية لم تستطع أن تتخلل العالم الرومانى الإغريقى، دون الارتكاز على قوة ما ورثته عن اليهودية والتأثر بالثقافة الجديدة المحيطة بها، وأن التأثير الإغريقى فى المسيحية له شواهده؛ ذلك أن الفقرات الأولى من صدر إنجيل يوحنا، إنما تشير بوضوح إلى أسلوب شعرى رواقى فلسفى فى: الكلمة(١).

ويرى «جرانت»: «أن يوحنا كان مسيحيًّا، وبجانب ذلك كان هلّينيًّا، ومن المحتمل ألا يكون يهوديا، ولكنه شرقى أو إغريقى . . . ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب فى أنطاكية أو أفسس أو الإسكندرية أو حتى روما، فإن كلا من هذه المدن كان مركزًا للدعاية العقائدية فى القرنين الأول والثانى من الميلاد، كما كانت على اتصال ببعضها»(٢) .

ويرى الدكتور جرانت أن إنجيل يوحنا يعتبر تقديمًا دراميًّا لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده، وأنه كتب بغرض التعليم والعبادة فى الكنائس، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة، وهو يختص بموضوعات كانت محل جدل فى العالم المسيحى الأممى (غير اليهودى) فى نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثانى، عندما انتشرت نظرية (غنوصية) حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح، فجعلته شبحًا بلا وجود، أو مخلوقًا إلهيًّا تجسد مؤقتًا، ولم يعان عذابا ولم يذق الموت!!.

ويرى: أن من المعتقد أن يوحنا كان على علم بوجود الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وأنه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها!!(٣).

ويسأل الدكتور موريس بوكاى(٤): من هو المؤلف؟

---

(١) Encyclopaedia Americana, 1959.

(٢) انظر: (الأناجيل، أصلها وتطورها) للدكتور فريدريك كالفتن جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك ط لندن ١٩٥٧م ص ١٧٤ ، ١٧٨ .

(٣) انظر: المصدر السابق: ص٢، ٣، ١٥٦، ١٦٦ .

(٤) صاحب الدراسة الجيدة عن الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، الذى ترجمته ونشرته دار المعارف بمصر ١٩٧٨م.

ويجيب قائلا: المسألة موضوع نقاش طويل، وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف فى هذا الشأن.

وينقل عن (أ. كولمان) قوله:

إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حاليًا (لإنجيل يوحنا) ينتمى إلى أكثر من مؤلف واحد، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذى نملكه اليوم، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف، وأنهم قد أضافوا إليه[1].

ويعلق الدكتور موريس بوكاى قائلا:

«ودون ذكر الافتراضات الأخرى التى قدمها المفسرون، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين، والتى أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع، تشير هى وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط، فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب!!.

ويذكر: أن القيمة التاريخية لروايات يوحنا، موضع نزاع كثير، فالأمور التى تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة!!

ويعلل أ. كولمان هذه الاختلافات الصارخة: أن ليوحنا مرامى لاهوتية تختلف عن مرامى المبشرين الآخرين!!

وأمام هذه الاختلافات - بين الأناجيل - والتى يصفها بوكاى بأنها على جانب كبير من الأهمية، يسأل:

«إذن فمن يجب أن نصدق؟ أنصدق متَّى؟ أم مرقص؟ أم لوقا؟ أم يوحنا؟!»[2].

أما دائرة المعارف البريطانية فقد كانت أكثر صراحة ووضوحًا ممن سبق، إذ جاء فيها:

«أما إنجيل يوحنا فإنه لامرية ولاشك، كتاب مزوَّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان: يوحنا بن زبدى الصياد ومتَّى».

---

(١) المصدر السابق ص ٩٠، ٩١.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٩٢، ٩٣.

وقد ادعى هذا الكاتب المزوِّر فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو : يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصًا، مع أن صاحبه غير يوحنا «الحوارى» يقينًا، ولايخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة، التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه.

وإنا لنشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفى - الذى ألف هذا الكتاب - فى الجيل الثانى - بالحوارى يوحنا الصياد الجليل، وإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى»[1].

و الإمام محمد أبو زهرة - رحمه الله - فى كتابه القيم [2] ينقل عن (استادلن) قوله:

«إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية[3]».

وإنكار علماء النصرانية لنسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الصياد الحوارى، ليست وليدة هذه العصور المتأخرة فحسب، بل ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى، إذ أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب، تلميذ يوحنا الحوارى، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب، ولأعلم تلميذه أرينيوس، ولأعلن هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها[4].

وفى الواقع أن لهذا الإنجيل شأنا وخطرًا أكثر من غيره لأنه الإنجيل الذى تضمنت فقراته ذكرًا صريحًا لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها

(١) Encycelopaedia Britannica, 1960 (john)

(٢) (محاضرات فى النصرانية) نشر دار الفكر العربى ط٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٥٨، ومدرسة الإسكندرية مدرسة فلسفية هللينية (مزجت بين الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفات الشرقية الأخرى) وكان من أبرز أساتذتها (امنيسوس) المتوفى سنة ٢٤٢م. (أفلوطين) المتوفى سنة ٢٧٠م، وقد كان الأول نصرانيًا فارتد إلى الوثنية، أما الآخر فقد درس فلسفة اليونان. ثم رحل إلى فارس والهند واستقى من هناك البوذية والبراهمية.

(٤) المصدر السابق ص٥٨

وركن الاستدلال فيها، ولذلك كان لابد من العناية به، فالتثليث هو شعار النصرانية وأساس التباين بينها وبين ديانة التوحيد.

ولقد اختلف الباحثون من النصارى حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافًا بينا، فالدكتور «بوست» (وهو من المؤمنين المتعصبين بأن هذا الإنجيل قد كتبه يوحنا الحوارى) يرجح أنه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨، أو سنة ٩٦ ميلادية، ويقول: «هورن» فى تاريخ تدوين ذلك الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو ٦٩، أو سنة ٧٠ أو سنة ٩٨ من الميلادية[١].

ويقول الإمام محمد أبو زهرة ـ معتمدًا على المصادر المسيحية: «إن هذا الإنجيل قد كتب لغرض خاص، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل»[٢].

ويصرح بهذا كل من جرجس زوين، ويوسف الخورى، وصاحب كتاب مرشد الطالبين، يقول الأول:

«إن شير ينطوس وأبيسون وجماعاتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانًا، وأنه لم يكن قبل أمه مريم. فلذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح»[٣].

ويرى الثالث أن: «المقصد بكتابته هو إفناء لبعض هرطقات مفسدة، أشهرها معلمون كذبة، فى شأن ناسوت المسيح وموته وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل فى الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم. . . »[٤].

أما اللاهوتى المعاصر الدكتور Grant فإنه يذكر فى كتابه المشار إليه[٥] بأن «أخطر الأنواع الفلسفية الغنوصية ـ بلاشك ـ هى التى أثرت بعمق فى التعاليم المسيحية، فى المنطقة التى جاء منها الإنجيل الرابع.

(١)، (٢) محاضرات فى النصرانية ص ٦١، ٦٢.

(٣)، (٤) ص ٦٢ من المحاضرات.

(٥) The Gospells; Their origin and their Growth, London 1957, P. 22, 160, 162.

فنجد أن الرسول الإلهى، أو الشاهد الذى يأتى بالمعـرفة المخلصة هو المسيح وبالرغم من أنه دخل العالم فإنه لم يتدنس بمواد الطبيـعة. ولقد كان النور الطبيعى والظلام لم يطمسه. إن هذا يعنى أنه لم يكن ذا جسد مادى، فقد كان شبحًا يشبه الإنسان المادى . . إن جسده غير حقيقى».

فالغنوصية(*) بأنواعها المختلفة، وأصولها التى جلبتها من الأساطير البدائية، ثم غلفتـها بالأفكار الميتـافيزيقـية ـ قد أثرت أبلغ الأثر فى المسـيحية الأولى، فـقد اعتنقها الكثيرون من المسيحيين الأوائل، وخاصة رجال الكنيسة، ثم ما لبث صراع الأفكار أن اشتد بين هؤلاء وهؤلاء، وتمخض عن ذلك إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الرابع وأحدث الأناجـيل، الذى استـحدث فى الكتب المسـيحيـة الأولى تعبـيرات فلسفية جديدة مثل:

«فى البدء كـان الكلمة، والكلمـة كان عند الله، وكان الـكلمة الله . . كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان.

كان فى العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم.

والكلمة صار جسدًا وحل بيننا . . الأب الحال فى هو يعمل . . (1).

فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى، وأنتم فى، وأنا فيكم . .إلخ».

ولئن كان مـن أغراض هذا الإنجيل الفلسـفى الذى أثار بشكل حـاد مشكل لاهوت المسيح، والذى أدخل فكرة الحلول ـ حلول الخـالق في المخلوق ـ واستقى ذلك من الفلسفات والأساطير القديمـة، وجعل الله في المسيح، وجعل المسيح فى الله، والمسيح فى التلاميـذ، والتلاميذ فى المسيح وجعل الجـميع واحدًا، والواحد شاملا للجميع!!

(*) الغنوصية نزعـة خطيرة تتسربل بالروحانية ظاهرًا، وهى فى حـقيقتها مـادية خالصة، وقد عملت على مزج الفلسـفة اليـونانية بالفلسفات الشرقية القديمة، وسعت جـاهدة إلى توجيه النصرانية وجهة التثليث والوثنية، وحاولت ـ كذلك ـ إفساد العقيدة الإسلامية،فبثّت لدى غلاة الصوفية فكرة الحلول والاتحاد . . إلخ وانظر مقدمة كتاب (The Gnostic Gospels).

(1) انظر افتتاحية الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا . ص ١٤٥ . من طبعة البروتستانت بمصر ١٩٧٠م).

أقول : لئن كان من أغراض هذا الإنجيل محاربة الفلسفة الغنوصية التى تأثر بهـا «بولس» وتقرير لاهوت المسـيح، فإنـه ما لبث أن سـقط فى الغنوصيـة، ولـم يستطع الفكاك منها.

يقول تشارلز بوتر:

«إن الجزء الأول ـ وبعـض أجزاء أخرى ـ من إنجـيل يوحنا مثل: فـى البدء كان الكلمة، والكلمـة كان عند الله . . إن هذا القول غنوصيـة محض. إن تعاليم يسوع وعقـيدته وإيمانه الشخصى، بقدر مـانستطيع استخراجـها من الكلمات التى وضعهـا كتبة الأناجيل ـ لم تكن أبداً عقـيدة التثليث التى استحـدثت فى الغنوصية التى أنشأها بولس ومن جاء بعده.

ومن المشكوك فيه أن يكون بولس قد اطـلع على المجموعة الأولى لمكونات الإنجيل الأصلى الذى تكلم عن تعاليم يسوع وأمثـاله ومعجزاته فى شفاء المرضى، وهى الوثائق التى تفـتـرض أن جزءاً منهـا ـ على الأقل ـ كـان مـصدراً للأناجـيل الأربعة القانونية»[1].

وأكتـفى بهذا القدر من الكلام عن يوحنا صـاحب الإنجيل الرابع، وهل هو يوحنا بن زبدى الصياد الحوارى، كما يذكر النصارى، وكما يذكر أبو حامد الغزالى مجـاراة للخصم لحجـاجه وقطعـه فى كتاب «الرد الجـميل لإلهيـة عيـسى بصريح الإنجيل». أو أنه شخص آخر؟ ولقـد حرصت على أن أجمع مادة هذه الفكرة من مصـادر نصرانية، ولقـد ظهر لنا أن الأمر مـشكل، وأننا على حد تعبـير اللاهوتى الدكتور جرانت لانظفر إلا بالاحتمالات فقط.

وأكـتـــفى بهـذا ولا أتعـــرض لما ذكـره كل مـن : ابـن حـــزم[2]،

---

(١) انظر:

Potter: The Lost Years of Jesusrevealed new York, 1963. pp. 24, 132

وانظر: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ فقد أفدنا منه كثيراً في هذا المبحث.

(٢) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص٣٨ وما بعدها، ط٢.

والشـهرستاني[1]، ورحمة الله الهندى[2]، وأبى عبيدة الخزرجى[3]، وأبى المعالى الجـوينى فى رسـالتـه: «شفـاء الغليل فى بـيان مـاوقع فى التـوراة والإنجـيل من التبديل»[4].

وأختم كلامى بإيراد فقرة من دائرة المعارف الأمريكية، تقول فيها:

«إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذى يظهر فى نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع، والثـلاثة المتشابهـة!! إن الاختلاف بينهـا عظيم، بحيث إنه لو قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة، وموثوقا بها، فإن مايترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا»[5].

ولقد كانت عـقيدة التثليث التى تضمنـها إنجيل يوحنا، هى ماقبلتـه الكنيسة فيما بعد، رغم مخالفتها للكثير مما فى الأناجيل المتشابهة، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التى تضمنها هذا الإنجيل نفسه[6].

وأخيراً، نعـيد تساؤل الدكتـور موريس بوكاى وحيرتـه: «إذن فمن نصدق؟ أنصدق متى؟ أم مرقص؟ أم لوقا؟ أم يوحنا؟ !!»[7].

(٤) بولس:

إن «لبولس» هذا لشأنا فى النصرانية الراهنة، فهى تنسب إليه. أكثر مما تنسب إلى أحد سواه، فرسائله هى التى شرحتها، وقعَّدت أهم قواعدها. ورسائله هى:

١ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية.

٢ ـ رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس.

---

(١) انظر: الملل والنحل، المجلد الأول ص ٢٢٠ ومابعدها، نشرة محمد سيد كيلانى ١٣٩٦هـ.

(٢) إظهار الحق.

(٣) مقامع هامات الصلبان، حققه د. محمد شامة ونشره بعنوان: «بين الإسلام والمسيحية» نشر مكتبة وهبه بمصر ١٩٧٢م.

(٤) نشرها بمصر د. أحمد السقا، سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

(٥) انظر جـ١٣ ص ٧٣.

(٦) انظر: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٢٩.

(٧) ص٩٣ من: الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة.

٣ ـ رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس.

٤ ـ رسالته إلى أهل غلاطية.

٥ ـ رسالته إلى أهل أفسس.

٦ ـ رسالته إلى أهل فليبى.

٧ ـ رسالته إلى أهل كولوسى.

٨ ـ رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى.

٩ ـ رسالته الثانية إليهم.

١٠ ـ رسالته الأولى إلى تيمو ثاوس.

١١ ـ رسالته الثانية إلى تيمو ثاوس.

١٢ ـ رسالته إلى تيطس.

١٣ ـ رسالته إلى فليمون.

١٤ ـ رسالته إلى العبرانيين.

وقد كان ـ بنشاطه الجم وتطوافه فى الأقاليم مشرقًا ومغربًا، لا يستقر فى مكان على نية الإقامة فيه، بل على قصد الرحيل إلى غيره ـ أشد دعاتها.

وقد تأثر المسيحيون خطاه، وتعرفوا أخباره وأقواله ـ ما دونه منها فى رسائله، وما ألقاه فى الجموع ـ وتناقلوه، إن لم يدونه هو، وتأثروا أعماله فاحتذوا حذوه، وسلكوا مسلكه[1].

ولكن ما اسم هذا الرجل الخطير؟ وأين مولده؟ وما جنسيته؟ وماذا كان موقفه من اتباع المسيح قبل أن يتنصر ويصبح رسولا ملهمًا ـ بزعمهم ـ يكتب الرسائل المقدسة ويبشر بالتعاليم؟

---

(١) انظر: محاضرات فى النصرانية ص٨٢، وانظر كتابنا (الملل والنِّحل) توزيع دار الفكر العربي.

وما الذى أضافه إلى النصرانية؟ وما أثر ذلك فى مسيرتها؟

يشغل تفصيل حياة بولس وأعماله مساحة كبيرة من (سفر أعمال الرسل) جاء فى الفقرة الثالثة من الإصحاح الثانى والعشرين منه:

«أنا رجل يهودى، ولدت فى طرسوس كيليكة، ولكن ربيت فى هذه المدينة، (يقصد أورشليم)».

فهو هنا يهودى، وهناك تصريح آخر فى السفر ذاته بأنه يهودى فريسى .. جاء فى الإصحاح الثالث والعشرين ٧:٩.

ولما علم بولس أن قسمًا منهم صدوقيون(*)، والآخرون فريسيون(**)، صرح فى المجتمع: أيها الرجال الإخوة، أنا فريسى ابن فريسى، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين وبين الصدوقيين، وانشقت الجماعة: لأن الصدوقيين يقولون: إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك».

والسفر نفسه ـ سفر أعمال الرسل ـ يقص علينا أن أصله ـ أي بولس ـ رومانى.

جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين ٢٦ : ٢٩ مايلى:

«فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانًا رومانيًّا غير مقضى عليه، فإذ سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلا: انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل؛ لأن هذا الرجل رومانى، فجاء الأمير فقال: قل لى: هل أنت رومانى؟ فقال: نعم».

(*) فرقة يهودية قديمة، نسبتها إلى صادوق أحد كبار الكهنة فى زمن داود عليه السلام، فهم من سلالته. وقد ظهرت هذه الفرقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي مائة وخمسين عاما، ونادت بقبول اليهودية كمعتقد فقط ورفض تحريفات الكهنة وتزييفاتهم (انظر للسموأل بن يحيى المغربى ٥٧٠هـ «إفحام اليهود» بتحقيقنا وتعليقنا).

(**) هم الفرقة المضادة للصادوقيين، فهم أنصار التحريف القائمون به، الداعون إلى عزل اليهود كجنس متميز مختار عن باقى أجناس العالم (الجوييم) (انظر: إفحام اليهود وانظر: ترجمة الدكتور على سامى النشار لكتاب جورج فيدا: مقدمة للفكر اليهودى فى العصر الوسيط ص١٨ ومابعدها، الإسكندرية ١٩٧٢م).

وتأمل كيف يكون الخلط والخبط فى سفر واحد مقدس حول شخص واحد هو بولس!!

اسمه:

وكان اسمه قبل أن يتنصر شاول، ذكر هذا فى غير ماموضع من سفر أعمال الرسل[1].

عداؤه للنصرانية:

تكفل سفر أعمال الرسل بتجلية هذه النقطة، فقد جاء فيه عبارات مفصلة تبين أنه كان شديد العداء والخصومة للنصرانية، شديد التعذيب والتنكيل بأتباعها ومعتنقيها، ولقد جاء فيه:

«وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق.. إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسًا فى الطريق، رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم»[2].

وفى الإصحاح الثامن:

«حدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم، فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل، وحمل رجال أتقياء إستفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت، ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن»[3].

تنصره:

ليس من الغريب أو المستبعد أن يتحول قلب من الكفر إلى الإيمان ولكن من

---

(١) انظر مثلا: الإصحاح الثانى والعشرين: ٨، وأول الإصحاح التاسع، ٢٧ منه، وكذلك الإصحاح الثامن ٤ .. إلخ.

(٢) انظر أول الإصحاح التاسع.

(٣) ويصرح بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية قائلا لهم: «فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية، أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثير من أترابى فى جنسى، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى» (١ : ١٣/ ١٤).

غير المتوقع أن يتحول رجل من الكفر والعداء العميق للمؤمنين وتعذيبهم والتحريض عليهم والتنكيل بهم، إلى أن يؤمن، وأن يصبح رسولا ملهمًا، يوحى إليه، يكتب الرسائل وينشر الدعوة ويبشر بها!!

أى أن الغريب هو أن يتحول إلى رسول يوحى إليه [1] بالروح القدس؛ كما أن القصة التي وردت في سفر أعمال الرسل - وهى تخبرنا بهذا التحول المفاجئ الغريب - تدفع القارئ إلى الوقوف عندها فاحصًا متأملا، جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين على لسان بولس مخاطبًا اليهود:

«وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق (النصرانية) حتى الموت مقيدًا ومسلمًا إلى السجون رجالا ونساء، كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذت أيضا منهم رسائل للأخوة إلى دمشق، ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا».

هذا هو بولس، وهذا هو موقفه من النصرانية ومن معتنقيها ... تعقبهم للقبض عليهم وسجنهم والتنكيل بهم، وبقية النص تعرض علينا الحدث المفاجئ التالى:

«فحدث لى وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار، بغتة، أبرق حولى من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض وسمعت صوتًا قائلا لى: شاول... شاول، لماذا تضطهدنى؟

فأجبت من أنت ياسيد؟

قال لى؟

أنا يسوع الناصرى الذى أنت تضطهده، والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى، فقلت: ماذا أفعل يارب؟ فقال

---

(١) يعترف بولس بأنه لم يأخذ إنجيله من بشر، ولا من رسل سابقين، أو معاصرين له (غلاطية ١ : ١١) ولكن كتبه وبشر به فى العالمين بناء على وحى إلهى وبإعلان من يسوع المسيح، ويقول فى الرسالة نفسها (١ : ١٦/١٧): «ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم. للوقت لم استشر لحمًا ودمًا ولاصعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى» بل انطلق ليبشر برسائله وكتبه.

لى الرب: قم واذهب إلى دمشق. وهناك يقال لك عن جميع مارتب لك أن تفعل» (٤ : ١١).

بولس والتلاميذ:

«ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم [١] حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل»[٢].

وأما برنابا ـ «الذى كان رجلا صالحًا وممتلئًا من الروح القدس والإيمان» [٣]ـ فهو الذى كان فى مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوبًا عنهم، وهو الذى صاحب بولس فى كثير من رحلاته التبشيرية ـ فما لبث أن تشاجر معه بولس ثم افترقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراءه الخاصة فى التعاليم المسيحية والدعوة إليها.

«فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص، وأما بولس فاختار سيلا وخرج، وخرج مستودعًا من الأخوة إلى نعمة الله، فاجتاز فى سورية وكيليكية يشدد الكنائس، (١٥ : ٤٠).

تشير هذه النصوص بادئ ذى بدء إلى شك التلاميذ وريبتهم فيه وتوجسهم منه، وتوضح صدق بصيرتهم فيه، إذ سرعان ماتشاجر مع من قدمه إلى التلاميذ وشهد له عندهم!! كما أن يعقوب (ويسمونه أخ الرب) قد عارضه واتهمه بأنه يعلم الناس الباطل[٤].

(١) يصرح بولس أنه صعد إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات من تنصره، وهناك التقى ببطرس وقضى معه خمسة عشر يومًا (غلاطية ١/ ١٨ ـ ١٩) ثم التقى يعقوب كذلك «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا إلى أورشليم ـ مع برنابا ـ آخذا معى تيطس أيضا، وإنما صعدت بموجب إعلان، وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد، على المعتبرين؛ لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلا (غلاطية ٢ : ١ ـ٢).

ونحن نسأل: ماهو هذا الإعلان الذى صعد بولس بموجبه إلى أورشليم ؟! ولماذا عرضه عليهم على انفراد؟! مع أن عيسى عليه السلام كلم الناس علانية (يوحنا ١٨ : ١٩/ ٢٠).

(٢) أعمال الرسل ٩ ـ ٢٦/ ٢٧.

(٣) أعمال الرسل : ١١/ ٢٤.

(٤) جاء فى رسالة يعقوب (٢ : ٢١ ـ ٢٤): «هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل؟ إن الإيمان بدون أعمال ميت، ألم يبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح» (هذا زعمهم الباطل!!)؟ فترى أن الإيمان عمل من أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان..»، ومعروف أن رأى بولس يرمى إلى أن الإنسان إنما يتبرر (أى يصير مبررًا) بالإيمان وحده. (انظر: رسالته إلى أهل غلاطية ٣: ١ ـ ١٠).

أهمية رسائل بولس:

إن أقدم الأسفار المسيحية التى قبلتها الكنائس الأولى، كانت رسائل بولس، ذلك الداعية الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح، لكنه أعلن فجأة تحوله إلى المسيحية بطريقة ارتاب فيها رسل المسيح وتلاميذه بحسب كتبهم!!.

لقد كتبت رسائل بولس أو أغلبها مابين سنتى ٥٠ و٦١ ميلادية طبقا لجدول د. فريدريك جرانت[١].

وأقدم الأناجيل هو إنجيل مرقس، قد كتب بعد رفع المسيح بحوالى ٣٥ سنة، وأن أحدث الأناجيل، وهو إنجيل يوحنا. قد كتب بعد المسيح بحوالى ٧٠ أو ٩٠ سنة.

ولقد كتب بولس رسائله قبل كتابة أقدم إنجيل بفترة تصل إلى خمس عشرة سنة.

نظرية بولس فى الصلب والخلاص والفداء:

لقد تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروج لها فى رسائله ـ تلك الرسائل التى لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من خمس عشرة سنة.

لقد كان الصلب وسفك الدم هو ماعزم بولس على ألا يعرف من المسيح شيئًا غيره.

يقول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٢ : ٢).

«لأنى لم أعزم أن أعرف شيئًا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبًا».

ويقول : (١٥ : ١ ـ ٣) كورنثوس الأولى:

«أعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه... فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب».

ويبنى بولس نظريته هذه على أساس عقيم، هو أن الناموس الإلهى ليس فيه بر ولا عدل، يقول فى رسالته إلى غلاطية (٢: ٢١):

(١) الأناجيل: أصلها وتطورها، (مصدر سابق) ص ٢٠، ٢١.

«إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب».

ذلك، والأناجيل تصرح بغير مايذكره بولس:

جاء فى إنجيل متى، الإصحاح الخامس: ١٧ ـ ١٩: على لسان المسيح: لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل.

فإنى الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ..».

ويقول لوقا ١٦٧ : ١٧:

«إن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس».

والناموس المعنى هنا هو التوراة التى جاء بها موسى عليه السلام.

مركيون تلميذ بولس:

ظهر هذا التلميذ فى القرن الثانى الميلادى، وكان يعتقد بأن: إله اليهود الذى أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان فى الحقيقة إلها شريراً !!

وكان يعتقد أنه إله المحبة قد ظهر فى المسيح، ولقد وضع موقيون إله المحبة فى معارضة خالق العالم!! إله موسى.

واعتقد مركيون أن تلاميذ المسيح الاثنى عشر لم يفهموه، ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلا يخالف إنجيل بولس، وقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح.

من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحى خاص حتى لايضيع إنجيل نعمة الله، عن طريق التزوير[١].

وينقل (أدولف هارنك[٢] محاكمة بين إله المخلوقات والناموس، وبين الرب يسوع، فيقول:

«نزل يسوع إلى رب المخلوقات فى هيئة لاهوته، ودخل معه فى قصاص

(١) أدولف هارنك «تاريخ العقيدة»، لندن ١٩٦١ ص ٣٧٢، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

بسبب مـوته، قال له يسوع: إن الدينونة بينى وبينك . . شـرائعك تقضى لى، ألم تكتب فى ناموسك إن من قتل يقتل؟

فأجاب إله المخلوقات : لقد كتبت هذا . .

فقال له يسوع: سلم نفسك إذن ليدى . . .

قال خالق العـالم. لأنى قد ذبحتك فإنى أعطيك عـوضًا. كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم مايرضيك!!

وعندئذ تركه يسوع، وحمل بولس بعـيدًا!، وأراه الثمن، وأرسله ليكرر بأننا اشتـرينا بهذا الـثمن، وأن كل من يؤمن فـقد بيع عن طريق هذا الإله العـادل إلى الإله الطيب».

هذه ثمرة من ثمار بولس!! وهذا غرسه!![1].

كنت أود أن أورد بعض ما كتبه الإمام ابن حزم والدكتور موريس بوكاى عن بولس، لكنى عدلت عن ذلك إلى إيراد فقرة يعترف فيها بولس بعجزه أمام شهوات الجسد وبضعف إرادته، فيقول:

«لست أعـرف ما أنا أفـعله، إذ لست أفـعل ما أريده، بـل ما أبغـضه فـإياه أفعل . . .

إنى أعلم أنه لـيس سـاكنًا فى، أى فى جـســدى شىء صـالح لأن الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحـسنى فلست أجد. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده، بل الشـر الذى لسـت أريده فـإياه أفـعل . . لكنى أرى نامـوسًـا آخـر فى أعـضـائى يـحـارب نامـوس ذهنى، ويسـبـينى إلى نامـوس الخطيـة الكائن فى أعضائى . .[2]».

وهو الذى يقول:

---

(١) نقلت هذه الفقرة عن كتاب الباحث الأستاذ أحـمد عبدالوهاب: (المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٧٩ ص ٢٨٠).

(٢) انظر: رسالته إلى أهل رومية: الإصحاح السابع ١٥ ـ ٢٤.

«أظن أنا أيضا عندى روح الله »[1].

«كل الأشياء تحل لى . . . »[2].

وهو الذى قال عن الله:

«الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله »[3].

«جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس»[4].

والمسيح فى رأيه لعنة:

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة من أجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة»[5].

والمسيح عنده ـ قد صلب وعلق على خشبة».

(٥) مرقس:

هنالك إشارات ودراسات عن (مرقس) وإنجيله، لكاتبين مسلمين، على درجة كبيرة من الموضوعية والتثبت العلمى مثل:

ـ ما كتبه ابن حزم فى كتابه المعروف «الفصل فى الملل والأهواء والنحل».

ـ وما كتبه الشهرستانى فى كتابه: «الملل والنحل».

ـ وكذلك إشارات أبى الحسن العامرى ت ٣٨١ هـ فى: كتاب «الإعلام بمناقب الإسلام».

ـ وما كتبه حجة الإسلام، إمام الحرمين، أبو المعالى الجوينى فى رسالته:

«شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل».

ـ وما أورده أبو عبيدة الخزرجى فى «مقامع هامات الصلبان».

---

(١) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ٤٠.

(٢) «٦: ١٢، ١٠: ٢٣» السابق.

(٣) ٢ : ١٠ السابق.

(٤) ٢ : ١٠ السابق.

(٥) رسالته إلى أهل غلاطية ٣: ١٣.

ـ وكذلك ما سجله القرطبى فى «الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام».

ـ وما جاء فى كتاب شيخ الإسلام الإمام أحمد ابن تيمية (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

ـ والذى ورد فى «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى»، لابن القيم.

ـ وما ذكره القرافى فى كتابه المسمى «بالأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة».

ـ وما كتبه رحمة الله بن خليل الهندى فى كتابه: «إظهار الحق».

ـ وكذلك ما جاء في كتاب الشيخ عبدالرحمن الجزيري «أدلة اليقين».

ـ وفيما كتبه الإمام محمد أبو زهرة فى محاضراته عن النصرانية.

أقول: لن أنقل هنا ـ وأنا أعرف (بمرقس وإنجيله) ـ عن هذه المصادر، وأكثرها كما ذكرت على درجة ممتازة من التثبت العلمى والتحقيق الموضوعى، وجل هذه المصادر ـ مخطوطة أو منشورة ـ بين يدى، لكنى سأنقل عن مصادر نصرانية، لكتاب من المتخصصين فى دراسة اللاهوت وممن لهم باع فى التعريف بالكتاب المقدس وتفسيره وحل مشكلاته، أو ممن تخصصوا فى دراسة مقارنة الأديان من بينهم.

يعتبر إنجيل مرقس ـ من حيث الحجم ـ أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة، فهو يقع فى اثنتين وثلاثين صحيفة من الكتاب المقدس[1].

«والقول بأن متى ولوقا قد اتخذوا من إنجيل مرقس مصدراً لهما يكاد يكون مسلمًا به»[2].

ولكن من هو مرقس محرر هذا الإنجيل؟

(١) طبعة البروتستانت من ص ٥٦ إلى ص ٨٩.

(٢) دائرة المعارف البريطانية ص ٥٢٣ ط ١٩٦٠م.

لا أحد يملك حجة أو وثيقة تعرفنا بشخص مرقس!!

وكل مايذكر هو آراء شائعة لا حجة قاطعة عليها، أو دليلا مقنعًا يثبتها!!

ينقل الدكتور موريس بوكاى عن أكولمان ـ وهو باحث لاهوتى ـ قوله: «إن هناك كثيرا من تراكيب الجمل (فى هذا الإنجيل) تدعم الفرض القائل بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودى الأصل[1] .

وقد كتب أ. كولمان فى كتابه [2] فيما ينقل عنه بوكاى ص ٨٤ ـ أنه لايعتبر مرقس تلميذًا للمسيح، ويذكر إشارات كثيرة فى العهد الجديد تتحدث عن رجل اسمه «يوحنا ويلقب بمرقس» ويعلق الدكتور بوكاى على ذلك قائلا: إن هذه الفقرات لاتذكر أنه مؤلف إنجيل، وحتى نص مرقس نفسه لايشير إلى ذلك.

ويرى د. بوكاى أن فقر المعلومات الخاصة بهذه النقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية، على أنها عناصر ذات قيمة، وعن علاقة مرقس ببطرس يقول: إن التراث ـ النصراني ـ قد أراد أن يرى فى مرقس رفيقًا لبطرس فى روما، وذلك اعتماداً على نهاية رسالة بطرس الأولى، (إذا ما كان هذا الأخير هو فعلا كاتب هذه الرسالة)!! ويقال: إن بطرس قد كتب وجه رسالته إليهم قائلا: «جماعة المختارين ببابل تحييكم وكذلك مرقس أخى».

(بابل أى ربما روما)!!.

ذلك مانقرأ فى التعليقات على الترجمة المسكونية، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن مرقس الذى كان مع بطرس بروما هو المبشر !!

ويتساءل د. بوكاى قائلا: ترى أي سبب من هذا النوع هو الذى دفع ببياس Papias، أسقف هيرابولس، فى نحو عام ١٥٠م، إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقس الذى يقول عنه: إنه كان مترجمًا لبطرس، وإنه كان أيضًا مساعد بولس؟!.

---

(١) ص ٨٤ من الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة.

(٢) العهد الجديد المنشور عام ١٩٦٧ فى فرنسا.

ويرى أن إنجيل مرقس ـ من هذه الزاوية ـ يكون قد تحرر بعد موت بطرس، أى على أكثر تقدير بين ٦٥م، ٧٠م حسب الترجمة المسكونية. وفى حوالى عام ٧٠م حسب أ. كولمان[1].

ويذكر ف.س. جرانت[2]:

«أنه لايزال مايرويه بيباس نقلا عن (من يدعى) الشيخ (الذي يقال إنه يوحنا)، هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافى للنواحى التاريخية والأدبية فى إنجيل مرقس ـ إذ يقول: هذا ما اعتاد أن يقوله الشيخ: فى الواقع أن مرقس الذى كان ترجمانًا لبطرس، قد كتب بالقدر الكافى من الدقة التى سمحت بها ذاكرته، ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله ـ ولكن دون مراعاة للنظام.

ولقد حدث ذلك لأن مرقس لم يكن قد سمع (يسوع)، ولا كان تابعًا شخصيًا له، لكنه في مرحلة متأخرة، كما قلت أنا (ببياس) من قبل، قد تبع بطرس الذى اعتاد التوفيق بين تعاليم (المسيح) والمطالب . . . !!

ويتفق مع قول ببياس هذا، ما اقتبسه إيرينيوس فى قوله: بعد موت بطرس وبولس فى الاضطهاد الذى حدث فى روما تحت حكم نيرون، فإن مرقس ـ تلميذ بطرس وترجمانه ـ سلم إلينا كتابة ما صرح به بطرس».

ويعلق د. أ. نينهام ـ الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل[3]:

«لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وخاصة (بيسوع)، أو كانت له شهرة خاصة فى الكنيسة الأولى . . ومن غير المؤكد صحة القول المأثور، الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل، بأنه يوحنا مرقس المذكور فى أعمال الرسل ١٢ : ١٢، ٢٥، أو فى رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣، أو فى رسالة بولس إلى كولوسى ٤ : ١٠، أو فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤ :١١.

---

(١) انظر: الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٥٨.

(٢) صاحب كتاب الأناجيل.. «أصلها وتطورها» ص ٧٣، ٧٤

(٣) فى كتابه: تفسير إنجيل مرقس المطبوع فى إنجلترا عام ١٩٦٣ ص ٣٩

ويعلق الأستاذ نينهام قائلا: لقد كـان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جـميع الأحـداث التى ترتبط باسم فـرد ورد ذكـره فى العهـد الجـديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم!!

ولكن إذا تذكـرنا أن اسم مرقـس كان أكـثر الأسـماء اللاتـينية شـيوعًـا فى الإمبراطوية الرومانية . . . عندئذ نتحقق من مـقدار الشك فى تحديد الشخصية فى هذه الحالة».

من ذلك يتـضح أن واحدًا من عـلماء النصـرانية لايـعرف بالضـبط من هو مرقس كاتب الإنجيل، وإن كان الرأى الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه . . ويرى د. جـرانت أن هذا الرأى الشـائع من الموروثات الغـربية وهـو يشبـه ـ فى غرابته ـ استنتاج القديس أوغسطيس الخاطئ بأن مرقس كان واحدًا من الذين تبعوا متى، واختصروا إنجيله[١].

وكما أن صاحب هذا الإنجـيل، مجهول الهوية فإن تاريخ كـتابة هذا الإنجيل محل جدل وعدم اتفاق، يقول نينهام:

«إنه غالبًا قد كتب فى الفترة مابين ٦٥ ـ ٧٥م . . ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس فى الإصـحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠م»[٢] ويقول هورن: «ألف الإنجيل الثانى سنة ٥٦م ومابعدها إلى سنة ٦٥م»[٣] .

وعن اللغـة التي حرر بهـا هذا الإنجـيل، فهي اللغـة اليـونانية، يقـول ابن البطريق:

«وفى عـصر تارون قـيصـر كتب بطرس رئيس الحـواريين إنجيل مـرقس عن مرقس فى مدينة رومية، ونسبه إلى مرقس[٤]».

ويرى د. بوست فى قامـوس الكتاب المقدس أنه كتب باليـونانية [٥]، ويكاد

(١) الأناجيل: أصلها وتطورها: ص٧٣.

(٢) نينهام ص ٤٢ مصدر سابق.

(٣) عن الإمام محمد أبو زهرة: محاضرات: ص ٥٥.

(٤) محاضرات ص ٥٤.

(٥) محاضرات ص ٥٤.

يجمع الدارسون على ذلك، فيقول أ. كولمان: أن وجود المناحى اللغوية اللاتينية يوحى بأنه قد كتب إنجيله فى روما[(١)].

ويلفت «فردريك جرانت» الانتباه إلى خشونة وعامية اللغة الإغريقية التى حرر بها هذا الإنجيل[(٢)].

ويرى د. موريس بوكاى: «أن نص هذا الإنجيل يظهر عيبًا رئيسيًّا أوليًّا لا جدال فيه، فلقد حرر دون اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث... كما أن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملا للمعقولية».

وينقل عن الأب روجى قوله: «إن مرقس كان كاتبًا غير حاذق، وأكثر المبشرين ابتذالا، فهو لا يعرف أبدًا كيف يحرر حكاية..»[(٣)].

ويذكر علماء النصارى أن فى هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل - معضلات قادحة ليس من السهل التغلب عليها، منها مثلا: التناقض الداخلى فى أحداثه ورواياته، ومنها عدم اتفاق أى نسختين من النسخ المخطوطة منه على نص واحد، إذ إن كل واحدة تخالف الأخرى.

يقول نينهام، مفسر إنجيل مرقس:

«لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد، ومن بين مئات المخطوطات، لإنجيل مرقس، والتى لاتزال باقية حتى اليوم، لانجد نسختين اثنتين تتفقان تمامًا» [(٤)].

ويرى د. موريس بوكاى: أن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيل متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث، مثل حكاية آية يونس، والآيات التى يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته، فيسرد مرقس عنها حكاية لم تعد قابلة للتصديق [(٥)].

---

(١) ص ٨٤ من كتاب د. بوكاى السابق.

(٢) جرانت مصدر سابق ص ٢٨ - ٣٠.

(٣) د. بوكاى ص ٨٥ مصدر سابق.

(٤) انظر: Saint Mark Penguin Books, England, 1963 P.11

(٥) انظر: بوكاى ص ٨٥ ، ٨٦.

وانظر هذه القصص فى الإصحاح الثامن: ١١، ١٢، وقارن بينه وبين إنجيل لوقا مثلا فى الإصحاح السابع: ٢٢، والحادى عشر: ٢٠.

وتمثل خاتمة هذا الإنجيل مشكلة، فهى غير متفق عليها فى النسخ المختلفة، وتعتبر فى نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد، فقرات غير موثوق بها!!

ويجزم بوكاى بأن هذه الخاتمة غير موجودة فى أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمى: "Codex Sinaticus, Codex Faticanus" اللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع [١].

وينقل عن (أ. كولمان) مثل ذلك، ويعلق (الأب كانينجر) على هذه الخاتمة بقوله:

«لابد أنه حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمى، (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس فى الجماعة التى ضمنته .. وبعد أن جرت بين الأيدى الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك، لدى المبشرين الآخرين... وذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التى كانوا يعالجون بها ... (الأناجيل) حتى أعتاب القرن الثانى» نقل د. موريس بوكاى، هذا التعليق عن الأب R.P. Kan-nengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى فى بارس[٢].

وهنا يحسن أن ننقل تعليق د. بوكاى على كلام الأب كانينجر، أنه يقول: «يا له من اعتراف صريح بوجود التغييرات التى قام بها البشر على النصوص المقدسة!!

---

(١) ص ٨٦ الكتب المقدسة لبوكاى.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٨٧، وقد نقل د. موريس بوكاى هذا التعليق عن الأب R.P. Kannengisser الأستاذ بالمعهد اللاهوتى الكاثوليكى فى باريس، من كتابه: «الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان» الذى نشر سنة ١٩٧٤م فى باريس.

يا له من اعـتـراف، ذلك الذى تقـدمـه لنا تـأمـلات هذا العـالم اللاهوتى الكبير!!»[١].

ويلاحظ الدارس المتـتبع أن هذه الملاحظات الانتقـادية، الحديثة والمعـاصر، التى يوجهـها علمـاء النصارى للكتب المقـدسة عندهم، تمتـد، كما ظهـر لنا ـ إلى جانبين رئيسين، هما:

ـ جـانب السند ونقده نقـدًا علميًّـا، والتـحقق من انقطاعـه وعدم اتصـاله بصاحب الشرع.

ـ وجانب النص أو المتن، ونقده نقدًا علميًّا كذلك، وإظهار تناقضه وتدابره.

وكما رأينا، فـى الإشارات والمقتطفات السابقـة التى نقلناها عنهم، أن السند والمتن كليهما لايثبتان أمام النقد والتمحيص العلمى المنهجى.

وأقول: إن علـماء الإسلام الذين كـتبـوا فى مقـارنة الأديان عمـومًا، وفى النصرانية ومصادرها خصوصًا، هم الذين ارتادوا هذا الطريق، وهم الذين وضعوا أصوله وعناصره، بل إن هذه الدراسات النصرانية حول الكتب المقدسة، لم تخرج عن دائرة ما أثبته وبرهن عليه علماء الإسلام منذ القرن الثالث للهجرة[٢].

وحرى بنا أن نذكر فى هذا الصدد أنه ليس هنالك من شك فى أن لتوجيهات القرآن الكريم، والسنة المـطهرة، بشأن ما يمـكن أن يطلق عليه (ضوابط المعـرفة)، أثرها فى بحوثهم بشكل عام، وفى علم مقارنة الأديان بشكل خاص.

ومما يلاحظ كـذلك أن كثـيرًا من علمـاء اللاهوت النصارى المعـاصريـن قد أخذوا فى دراسة مابين أيديهم من نصوص العـهدين القديم والجديد، بنظرة نقدية متـحررة، ولـقد شـدنى عنوان كتـاب الأربعة أسـاتذة فى كلية اللاهوت بـجامـعة

(١) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٢) انظر مثـلا ما كتبه أبو عـثمان عمـرو بن بحر الجاحظ فى رسالتـه: «الرد على النصارى، ص٢٤ من الطبعة الثانية، من نشرة J. Finkel.

وانظر كذلك الكتب التى أشـرنا إليها من قبل لابن حـزم والجوينى والغزالى والقـرافى ورحمة الله الهندى وغيرهم.

كمبردج، وهو عبارة عن أربع محاضرات ألقاها هؤلاء الأساتذة جمعت تحت عنوان:

«اعتراضات على العقيدة المسيحية».

ومما جاء في مقدمة هذا السفر:

«لقد أصبحت أساسيات العقيدة المسيحية فى هذا العصر موضع ارتياب، وأن الاعتراضات التى تقوم ضد المسيحية، لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة، أو بتلك التبريرات الواهية»[1].

(٦) متى:

نلاحظ أن التخمين والظن وعدم التحقق هى الصفات الطاغية على كتابات اللاهوتيين النصارى حول شخصية «متى» الذى ينسب إليه هذا الإنجيل، كما أن عدم القطع ينسحب - أيضا - على التاريخ الذى حرر فيه هذا الإنجيل، والمكان الذى حرر فيه، والقوم الذين كتبه لهم!!

وأن التخمين والاحتمال واضح جداً فى الأسلوب الذى يعالج به المؤلفون النصارى مشكلات هذا الإنجيل، من الناحيتين الدينية والفنية.

لقد ورد ذكر (متى) فى إنجيل متى مرتين اثنتين؛ جاء فى الإصحاح التاسع/ ٩.

«وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متى، فقال له: اتبعنى فقام وتبعه».

والمرة الثانية التى ذكر فيها اسم متى، فكانت ضمن قائمة التلاميذ الاثنى عشر، انظر: الإصحاح العاشر/ ٣ «متى العشار».

فهل متى صاحب الإنجيل هو متى العشار؟ أو بعبارة أخرى: هل يذكر متى هنا نفسه؟ أو يصف لنا دعوة شخص آخر يدعى متى؟

---

(١) انظر لماكينبون وفيدلر وويليامز وبيزنت: «اعتراضات على العقيدة المسيحية». المقدمة ص ٤، ٥ طبعة كمبردج سنة ١٩٦٣م «وقد صدرت من الكتاب المذكور ثلاث طبعات فى شهر واحد».

ويرى مفسر هذا الإنجيل (J.C. Fenton) في كتابه [1] «إن ربط مؤلف هذا الإنجيل شخصيته بهذا التلميذ هي بالتأكيد خيال محض».

ويزداد الأمر غموضًا إذا ما عرفنا أن مرقس قد ذكر في إنجيليه الإصحاح الثاني/ ١٣.

«وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفي جالسًا عند مكان الجباية، فقال له: اتبعني، فقام وتبعه»

يقول (فنتون) مفسر إنجيل متى: «حدث هنا تغيير عام، فبدلا من قول مرقس: رأى لاوى بن حلفي ـ نجد متى قد غيره إلى: رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه «متى».

إن اسم لاوى لم يذكر في إنجيل مرقس مرة أخرى، كما أنه لم يضمن قائمة الاثنى عشر تلميذًا الذين ذكرهم مرقس في (٣:١٦: ١٩)، وقد ذكر اسم متى بينهم.

فلماذا أحدث مبشرنا (متى) هذا التغيير هنا؟

إننا لانجد أى دليل على أن اسم متى كان هو اسم التنصير للاوى، إنه من المحتمل ـ ولو أن هذا مجرد ظن ـ أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل(؟) نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذى كان اسمه متى، ويحتمل أن يكون المبشر (كاتب الإنجيل) قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثنى عشر (متى) الذى وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها»

ويتساءل الدكتور موريس بوكاى قائلا:

ماهى شخصية متى . . .؟

ويجيب لنقل صراحة: إنه لم يعد مقبولا اليوم القول إنه أحد حواريى المسيح، وبرغم ذلك يقدمه . . تريكو على أنه كذلك، في تعليقه على ترجمة العهد الجديد (المنشورة عام ١٩٦٠م) يقول:

---

(١) (٧٠)، (1. Saint Mattew., 1963, P. 136 ».

اسمه متى، واسمه قبل ذلك ليفى، وكان عشاراً أو جابيًا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم، عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلاميذه».

وذلك ما كان يعتقده آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإبيجان، ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا فى عصرنا!!

وهناك نقطة لا جدال فيها، وهى أن هذا الكاتب يهودى، فمفردات كتابه فلسطينية، أما التحرير فيونانى، ويقول أ. كولمان: «إن الكاتب، (أى متى)، يخاطب «أناسًا يتحدثون اليونانية، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية»[1].

وكذلك فإن الباحث اللاهوتى الدكتور جرانت يتفق مع موريس بوكاى ويقطع بأن:

«مؤلف إنجيل متى يهودي ولاشك، وهو يختلف عن مرقس الذى لايفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلا، كما أنه يختلف عن لوقا الذى يفهم اليهود جيدًا، ويعرف حسن إيمانهم وقوته!! لكن خلفيته الثقافية تأتى من العالم الواسع للإمبراطورية الرومانية والهللينية الشرقية، إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودى المولد، إن حملته العنيفة ضد الفريسيين وريائهم لاتحجب حقيقة موقفه تجاه الناموس (التوراة)، وهو أنه لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ـ ٥:١٨.

وهو لايجامل ذلك النوع المسيحى المتحرر (من قيود الناموس) الذى يبدو أن بشارة بولس (وتعاليمه) قد شجعت سلوكه ووجهة نظره المشئومة .. ولايزال من الواضح أن كلا من بولس الهللينى ومتى المبشر اليهودى له وجهة نظر تخالف الآخر تمامًا فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه[2].

ويقول تريكو ـ فيما ينقله لنا عنه بوكاى ص٨٠.

«تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهوديًا: لحمًا ودمًا وعظمًا وروحًا، وهو يحمل آثار اليهودية، ويتسم بسماتها المميزة».

---

(١) دراسة الكتب المقدسة ص ٨٠ ـ ٨١.

(٢) «الأناجيل: أصلها وتطورها، ص ١٤٠، ١٤١».

ويرى بوكاى أنه لما كـان اسم المؤلف غير مـعروف بالتحـديد، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة فى إنجيل متى نفسه. ومنها:

أن الكاتب معروف بتبحره في الكتب المقـدسة والتراث اليهودي، وأنه يعرف ويحتـرم رؤساء شعـبه اليهود، وإن أغلـظ في خطابه لهم، كما أنه أسـتاذ في فن التدريس، وفي إفهام قـول المسيح لمستمعيه، مع تأكيـده الدائم على النتائج العلمية لتعـاليمه، إنه يتفق جـيداً مع ملامح يهـودي متأدب اعتـنق المسيحيـة، وهو معلم حاذق يخرج من كنزه جديداً وقديمًا.

ومع هذه الصورة التى يرسمـها مورس بوكاى لمتى معتـمداً فى تكوينها على معطيات إنجيله، يذهب إلى تأكيـد وترسيخ رأيه الرامى إلى أن متى ليس تلميذاً من تلاميذ المسيح عليه السلام، فيقول:

«تلك صورة بعـيدة كل البعد عن صـورة الموظف البيروقراطى بكفـر ناحوم الذى يطلق عليـه مرقس ولوقـا اسم (ليفى)، والذى أصـبح واحداً من حـواريي المسيح الاثنى عشر» (١).

لغة هذا الإنجيل:

الرأى الشائع لدى كثـير من الباحثين هو أن هذا الإنجيل قد كـتب ـ أساسًا ـ باللغة العـبرية، ثم نقل منها إلى اللغـة اليونانية التى عرف بهـا، لكن هذه المصادر تسكت عن ذكر المترجم أو الإشارة إليه، اللهم إلا ابن البطريق الذى يقول:

«كتب متاوس (مـتى) إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس، وفسـره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا الإنجيل».

ولم يؤيد أحـد من المؤرخين ابن البـطريق فى هذا، بل إن الكثـيـرين منهم يقولون:

«إنه لم يعرف المترجم».

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فهى كما يذكر هورن:

«سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ من الميلاد» (٢).

---

(١) المصدر السابق. ص ٨١.

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية للشيخ أبى زهرة ص ٥١، ٥٢.

«أما (فنتون)، فيذكر أنه قد حرر فى الفترة من ٨٠ إلى ١٠٥ ميلادية[١].

وإن خلاف الدارسين النصارى حول المكان الذى ألف فيه هذا الإنجيل، ليس بأقل من خلافهم حول شخصية متى نفسه أو السنة التى حرر فيها إنجيله!!

مضمون إنجيل متى ومشكلاته:

لن نتحدث عن القضايا التى عالجها هذا الإنجيل بشكل مفصل، ولكن نكتفى بأن نذكر شيئًا عن الخط العام الذى انتهجه هذا الكتاب.

يقول د. موريس بوكاى: «يحتل إنجيل متى ـ بين الأناجيل الأربعة ـ المكان الأول فى نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وهى مكانة لها مايبررها.

فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما، فقد كتب ليثبت أن المسيح «يكمل تاريخ إسرائيل»: يقول هؤلاء المعلقون على الترجمة المسكونية؛ ولكى يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائمًا بفقرات من العهد القديم، تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذى ينتظره اليهود، ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح»[٢].

ويجعل متى المسيح ينتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) عن طريق داود (عليه السلام)، يقول فى مفتتح إنجيله، (١ :١٧):

«كتاب ميلاد يسوع بن داود بن إبراهيم..».

وينبه حجة الإسلام أبو المعالى الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ على غلط متى فى الحساب (حساب الآباء) وفى نسب المسيح معًا، إذ يقول:

«فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا»[٣].

---

(١) المصدر السابق ص ١١.

(٢) الكتب المقدسة فى ضوء.. ص ٧٩.

(٣) انظر لإمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجوينى: «شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل» ص ٤٢ من نشرة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م. وانظر: إنجيل متى: ١ : ١٧.

يقول الجوينى:

«وهذه المباحثة وما ألزمناه من الغلط (يقصد فى حساب أجيال آباء يوسف النجار) يسير بالنسبة إلى ما سنذكره من أمره وأمر صاحبه «لوقا» وذلك أنهما تباينا مباينة ناطقة بخطأ أحدهما أو خطأهما، والعجب أن كلا منهما يزعم:

أنه سمع ما وضعه فى إنجيله وتفوه به، بعد أن نزلت عليه روح القدس، واقتضت له العصمة من الخطأ فى قوله وفعله»[1].

ويثبت الجوينى رحمه الله، شجرة المسيح التى ذكرها متى وتلك التى ذكرها لوقا، ويعلق على الاختلاف بينهما بقوله:

«هذا نسب يوسف (والد المسيح بزعمهم)، ساقه لوقا هذا المساق، وذكر آباءه شخصًا شخصًا، منه إلى آدم.

وقد سمعت حديث صاحبه متى وما سلف منه من المباينة، فإن كانا صادقين: لزم أن يكون ليوسف أبوان محبلان لأمه، وكذلك الكلام فى كل جد من أجداده. وإن كانا كاذبين: جاز وقوع التبديل منهما، إما عمدًا أو غفلة، وحيئذ تسقط الثقة بما نقلاه، معتقدين أنه الحق!!

ثم يقول:

كيف يصدر الكذب ممن يعتقد فيهما أنهما معصومان بروح القدس حين حلت عليهما؟ وإن كان أحدهما صادقًا، والآخر كاذبًا، عادت الحالة حين فرضا كاذبين!!»[2].

ولقد تناول الإمام أبو محمد بن حزم الظاهرى ـ المتوفى ٤٥٦هـ هذه المسألة بالتفنيد والرد، فقال:

«فاعجبو لهذه المصيبة الحالة بهم، ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأوضرها وأرذلها وأنذلها!! متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار، ثم ينسب يوسف

(١)، (٢) انظر: شفاء الغليل ص ٤٤ ـ ٤٥ (الطبعة نفسها).

إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فأبا، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذى ذكر متى، حتى يخرجه إلى ناثان بن داود أخى سليمان ابن داود. ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبًا، فيكذب متى أو لوقا، أو لابد أن يكون كلا النسبين كذبا، فيكذب الملعونان جميعًا، ولا يمكن ألبتة أن يكون كلا النسبين حقًّا!!

ولوقا عندهم ـ لوَّق الله صورهم، وألاق وجوههم، ولقاهم البلاء، وألقى عليهم الدمار واللعنة ـ فى الجلالة ـ فوق جميع الأنبياء عليهم السلام!»[(١)].

وانظر لأبى عبيدة الخزرجى ٥٨٢هـ تفنيده لهذا المشكل العويص[(٢)].

ذكرت هاتين الفقرتين للإمامين الجوينى وابن حزم فى مسألة نسب المسيح عليه السلام، التى ذكرها كل من متى ولوقا، بشكل يغاير صاحبه، لأثبت أن بحث العلماء المسلمين فى مقارنة الأديان كان منهجيًا موضوعيًّا، يعتمد على دراسة معطيات النصوص ومقارنتها، وعلى دراسة السند واتصاله أو انقطاعه.

ولقد حذا بعض الباحثين اللاهوتيين المحدثين حذو العلماء المسلمين فى دراسة الأناجيل واعترفوا بما فيها من تناقض وتدابر يستحيل قبوله أو الاعتذار عنه[(٣)].

وهنالك مشكلات عديدة وتناقضات أخرى، مثل:

ـ خطأ استشهاده بنبوءات العهد القديم التى أسرف فيها غاية الإسراف.

ـ ومثل توقعه نهاية العالم «قبل أن يدرك الموت بعض معاصرى المسيح

---

(١) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ ٢ ص ١٠ وما بعدها، القاهرة ١٣١٧هـ.

(٢) أبو عبيدة الخزرجى: مقامع هامات الصلبان (بين الإسلام والمسيحية) ص ١٨٠ نشرة د. محمد شامه، مكتبة وهبة.

(٣) انظر مثلا فى مناقشة اختلاف إنجيلى متى ولوقا فى شجرة نسب المسيح عليه السلام:

ـ دكتور موريس بوكاى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٠٤ ـ ١٠٧.

Fenton: Saint Matthew, 1963, pp. 39 - 40

Carid, Saint Luke, 1963, P. 19.

والذين استمعوا إلى تعاليمه . . وقبل أن يكون ذلك الجيل الذى عاصر المسيح قد فنى»[١].

وبالطبع فإن شيئًا من ذلك ـ كما يقول جون فنتون وكما هو واقع ـ لم يحدث كما توقعه متى[٢].

على أن بعض الدارسين قد يأخذ على الجويني وابن حزم حدتهما وعلو نبرتهما فى أوصافهما التى رميا بها متى وغيره من أصحاب الأناجيل، أقول لهؤلاء:

إن الباحثين اللاهوتيين المعاصرين يتكلمون نفس هذه اللغة. يقول بوكاى عن مرقس مثلا: إنه الكاتب الغث . . وعن متى المتناقض . . اللامعقول، وعن يوحنا المزور . . إلخ، وانظر مثلا أوصاف الأب كانينجسير والدكتور جرانت وفنتون وكيرد التى وصفوا بها أصحاب الأناجيل!!

(٧) بطرس:

يعتبر العهد الجديد بطرس، واحدًا من تلاميذ السيد المسيح، أو من حوارييه، يظهر ذلك فى أكثر من موضع، منها مثلا ما جاء فى إنجيل مرقس[٣].

«ودخل يسوع أورشليم والهيكل . . وفى الغد لما خرج إلى بيت عينا جاع، فنظر شجرة تين من بعيد، عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئًا، وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمرًا بعد إلى الأبد . .» وجاء فى بقية النص أن:

«بطرس قال له: يامعلم، هذه التينة التى لعنتها قد يبست . . إلخ».

وجاء فى سفر أعمال الرسل، الإصحاح الرابع: ١٣:

«فعرفوهما (بطرس وصاحبه) أنهما كانا مع يسوع».

ولبطرس هذا رسالتان فى العهد الجديد.

تقول افتتاحية رسالته الأولى:

---

(١) إنجيل متى ١٦ : ٢٨، ٢٤: ٣٤.

(٢) «مصدر سابق» Saint Mattew.p21.

(٣) انظر: الإصحاح الحادى عشر ١١ ـ ١٤ ص ٧٧ من طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠م.

«بطرس رسول يسوع المسيح إلى . .»:

أما الرسالة الثانية فإن افتتاحيتها تقول:

«رسالة سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيمانًا ثمينًا مساويا لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح».

وتذكر دائرة المعارف الأمريكية أنه كان لبطرس إنجيل، لكنه إنجيل مرفوض، وهو من مصدر قديم، وقيل: إنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة . . فى الربع الأخير من القرن الثانى(١).

ويرى جنتر لاتركوفسكى أن رسالتى بطرس تقعان فى إطار الرسائل العامة، أى التى وجهها إلى كل الكنائس، وليست مثل رسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص معينين (٢).

ويحدد بوتر فى كتابه: (٣).

الفترة التى كتب فيها بطرس رسالته الأولى بسنة ٩٥ ميلادية، وكتب رسالته الثانية فى سنة ١٥٠م. وعلى ذلك يبعد أن يكون بطرس تلميذًا للمسيح عليه السلام.

ويذكر «سفر أعمال الرسل» أن بطرس كان واحدًا من الرسل الملهمين من الروح القدس.

جاء فى الإصحاح الأول ١٣ : ١٤.

«ولما دخلوا (أورشليم) صعدوا إلى العلية التى كانوا يقيمون فيها: بطرس ويعقوب ويوحنا وندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب».

ويعطى هذا السفر لبطرس دورًا مميزًا، فيظهره بمظهر خطيب التلاميذ أو المتحدث بلسانهم.

---

(١) «جـ ١٣ ص ٧٠ ـ ٨١».

(٢) انظر: Sacred writings, 1961. PP. 31 - 37

(٣) The Lost years of Jesus revealed, 1963, PP 20 - 21.

انظر مثلا ما جاء فى الإصحاح السادس عشر: ١٥.

«وفى تلك الأيام قام بطرس فى وسط التلاميذ، وكان عدة أسماء معًا نحو مائة وعشرين وقال . . ».

وكذلك فى الإصحاح الثالث: ١٤.

«فوقف بطرس مع الأحد عشر. ورفع صوته وقال . . . ».

ليس هذا فحسب، بل إن هذا السفر يظهر بطرس على أنه رسول صاحب معجزات خارقة للعادة، فهو يميت ويشفى من العرج المزمن ويبرئ المفلوج. إلخ[(١)].

كما أن هذا السفر يرينا بطرس داعية مجاهدًا ومتحديًا ومظهرًا لدعوة يسوع. الإصحاح الرابع: ٨.

أما رفقة بطرس ليوحنا أو صحبة يوحنا لبطرس فإنها ماثلة فى عدة مواضع من سفر أعمال الرسل[(٢)].

ولكن من هو مؤلف «سفر أعمال الرسل» الذى أمدنا بهذه المعلومات، وذكر أمر الرسل وإلهامهم وأعمالهم وأخبارهم . . . وذكر من بين هؤلاء بطرس؟

يذكر د. موريس بوكاى: إنه يقال: إن «لوقا» هو كاتب هذا السفر [(٣)].

أما لاتركوفسكى فيعتبر سفر أعمال الرسل ملحقًا للإنجيل الثالث، إنجيل لوقا، أو بعبارة أخرى فإنه يكون الجزء الثانى من رواية لوقا.

ويشبه هذا السفر الأناجيل من حيث إنه لايهتم بالتاريخ أو الترتيب الزمنى للأحداث، فالغرض منه تسجيل أعمال التلاميذ، وبيان كيفية تكوين الكنيسة الأولى، كما أنه يهاجم الوثنية، ويبرز توسع حركة التبشير بالمسيحية» [(٤)].

---

(١) انظر: الإصحاح الثالث ١ . ١٢ ـ الإصحاح التاسع ٣٢ ، ٣٤.

(٢) انظر: الثالث: ١ ـ الرابع. ١٣ ، ١٩ ـ الثامن: ١٤

(٣) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، ص ٦٧

(٤) ص ٣١ ص ٣٧ من المصدر السابق

ولكن من هو لوقا.. مؤلف سفر أعمال الرسل كما يذكر بعض الكتاب؟

وهل كان لوقا من تلاميذ المسيح عليه السلام؟

وهل كان ملهمًا؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يرجع إلى ما سجلناه عن لوقا.

ومما يجدر أن ننبه عليه هنا، هو أن لوقا كان المصدر الوحيد الذى ذكر أمر الرسل، وأمر رسالتهم، وأمر إلهامهم!!

وهذا يدفعنا إلى التحقيق والتدقيق حول شخصية لوقا!!

ومما يذكر هنا أيضًا، أن لوقا يزعم أن بطرس كان رسولا، ويوهم كلامه بأنه كان صاحب رسالة مطلقة، بينما بطرس نفسه يصرح بأنه ليس إلا رسول يسوع المسيح، يصرح بهذا فى مفتتح رسالتيه، يقول:

«بطرس رسول يسوع المسيح....».

«سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله..».

(٨) لوقا:

اختلف الباحثون فى شخصية لوقا، وفى صناعته، وفى القوم الذين كتب لهم إنجيله، وفى تاريخ تأليفه، واتفقوا على نقطتين، هما: أن لوقا ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه، وأنه قد حرر إنجيله باللغة اليونانية.

وإن لافتتاحية إنجيل لوقا أهمية كبيرة؛ ذلك أنها تلقى ضوءًا ساطعًا على ماكان يحدث فى صدر المسيحية، فيما يتعلق بتأليف الأناجيل، يقول لوقا:

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة[1] رأيت أنا - أيضا - إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالى إليك، أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذى علِّمت به.

(١) الكلمة هنا يعنون بها يسوع المسيح عليه السلام.

كـان فى أيام هيـرودس ملك اليهـودية، كـاهن اسمـه زكـريا من فـرقة أبيًّـا وامرأته. . » [الأولى ١ :٥].

تقدم لنا هذه الافتتاحية عدة ملاحظات، منها:

ـ أن لوقا يكتب رسالة شخصـية إلى ثاوفيلس، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالى، حسبما تتوافر لها ظروف وإمكانات الكتابة.

ـ وأن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخـصى بحت، بغية أن تصل المعلومات التى أعلم بهـا إلى ثاوفيلس، ولم يدع الرجل أنه قـد كتـبها بإلهـام أو مسـوقًا من الروح القدس!! أو أنه كـتبهـا لأنها الحق المقدس، بل يقـرر صراحة أن مـعلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصى، حيث إنه قد تتبع كل شىء من الأول بتدقيق.

ـ يقرر لوقا كذلك أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف أناجيل.

ـ كمـا يعترف بأنه لم ير المسـيح، ولم يتتلمـذ عليه، لكنه كتب رسـالته عن المسـيح إلى ثاوفيلس بناء عـلى المعلومات التى تسلـمهـا من الذين عاينوا المسـيح، وكانوا فى خدمته.

هذا، ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل ـ وهو أطول أسفار العهد الجديد ـ هو الجزء الثـانى من رسالة لوقـا إلى ثاوفيلس، وبعـد أن اعتـبر الجـزء الأول منها إنجيلا، صار يعرف باسم إنجيل لوقا؛ ذلك أن سفر أعمال الرسل يبدأ بقول لوقا:

«الكلام الأول الذى أنشأته ياثاوفيلس عن جمـيع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذى ارتفع فيه . . » [(١)].

ولقـد حاول العلمـاء معـرفة من يكون ثـاوفيلس هذا الذى كـتب إليه لوقـا رسالتيه: إنجيل لوقا، وأعـمال الرسل، لكن جهودهم ـ فى هذا الصدد ـ لم تصل إلى نتـائج محقـقة، ولم يتـعد الأمـر تقديم فـروض وتخمـينات. يقول الدكـتور فريدريك جرانت:

«لم نخطر بمن يكون ثاوفيلس هذا، وقـد يمكن افتراضه موظفًـا رومانيًّا . .

(١) أعمال الرسل: ١ ـ ٢ وقارن: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦٢، ص ٦٣.

كـذلك لم نخـطر بمن أولئك الكثـيـــرين الذين أخـذوا فى تأليف قـــصص مماثلة (أناجيل)» [١]. وليست شخصية ثاوفيلس فقط هى التى تثير مشاكل لدى الباحثين، وإنما شخصية لوقا نفسه تسير أيضا مثل هذه المشاكل فمن هو لوقا؟.

يقول جورج كيرد:

«إنه من النادر ذكر لوقا كشخصية بارزة فى سجلات التاريخ للقرن الأول من المسيحـية.. وإن كانت الفكرة السائدة لدى الكتـاب (النصارى) الأقدمين، هى أن مؤلف الإنجـيل كان لوقا الـطبيب الذى يذكره بولس كـصديق ورفـيق فى رسائله: (كولوس ٤:١٤، فليمون ٢٤، تيموثاوس ٤ : ١١).

وإن كليـمنت السكندرى، ترتليـان، وأوريجين، وإيزبيـوس وجيـروم، كل هؤلاء يعتقدون بأن لوقا هو المؤلف. ويضيف الأخيران، أنه من أنطاكية»[٢].

ويذكر د. موريس بوكاى:

لقد أراد بعضهم التـعرف على هويته فى شخصيـة الطبيب الذى يحمل اسم لوقـا، والذى يذكـره بولس فى بعض رسـائله. وتلاحظ التـرجمـة المسكونيـة أن «بعضـهم قد رأى تأكيـدًا لمهنة الطب التى كان المؤلف يمـارسها، وذلك بسـبب دقة وصفه المرض».

وهذا تقدير مبـالغ فيه تمامًا، فلوقا لايعطى «أوصـافا» من هذا النوع إذا شئنا الدقـة، «والمفـردات التى يستـخـدمهـا هى مـفـردات أى إنسان مـثـقف فى هذا العصر»[٣].

ويذكر جورج كيرد، مفسر إنجيل لوقا، فى مقدمة تفسيره:

«لقد كان لوقا ينتمى إلى الجيل الثانى من المسـيحيين .. وقد يوحى اهتمامه بالأمميين «غيـر اليهود» وتجنبـه الخوض فى المسائل اليهـودية البحتـة، بأنه كان أمميًا (غير يهودى...)»[٤].

---

(١) مصدر سابق: ص ١٢١ ومابعدها.

(٢) Saint Luke, pp. 16 - 17.

(٣) انظر: الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٨٨.

(٤) ص ١٦ المصدر السابق.

فهو ليس من تلاميذ المسيح، وليس من اليـهود، ولكنه ـ فيما يرى بوكاى ـ وثنى آمن بالمسيحية[1]، واتجاهه بالنسبة إلى اليهود يتضح مـباشرة، فهو ـ فيما ينقل بوكاى عن أ. كولمان ـ يحـذف من روايته أكثر الآيات اليهـودية عند مرقس، ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود، وعـلاقته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود.

على حين يقول متى فى إنجيله:

إن المسيح طلب إلى حوارييه أن يجتنبوا السامريين.

ويعلق بوكاى على ذلك بقوله:

«وذلك مثال جلى ـ بين أمثلة كثيـرة ـ على أن المبشرين، يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية!!

ويتساءل قائلا:

كـيف يمكن إذن إنكار أن الأنـاجـيل ليـست إلا كـتـابات «خـصـامـيـة» أو «ظروفية»؟ [2].

ولوقا «كاتب حوليات» فى رأى أ. كولمان.

و«روائى حقيقى» فى نظر الأب كاننجسر.

وإن إنجيل لوقا عمل أدبى . . كتب بلغة يونانيـة كلاسيكية راقية، تخلو من حوشى الكلام[3].

وعن تاريخ كتابة إنجـيل لوقا، يرى النقاد الحاليون أنه كـتب مابين عامى ٨٠ و٩٠م[4].

وهذا بينما يرى (جرانت) أنه قد أصدر لوقا إنجيله حوالى عام ٨٠، أ ٨٥م.

(١) أى من المستجيبة على حد وصف الجاحظ فى : «الرد على النصارى» ص ٩٩ من نشرة دار الصحوة.

(٢) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٨٧، ٨٨

(٣) المصدر السابق ص ٨٧.

(٤) المصدر السابق ص ٨٨.

وبعد ذلك بحوالى خمس سنوات فإنه ذيل كتابه الأصلى برسالة ثانية نعرفها الآن باسم أعمال الرسل، لكى ترد على أسئلة المثقفين وربما كبار موظفى الرومان مثل ثاوفيلس، ثم نشر مصنفه فى حوالى ٩٥م[١].

ولقد حدد كل من الدكتور بوست وهورن ولارون، تواريخ مختلفة متفاوتة لكتابة هذا الإنجيل [٢].

مشكلات إنجيل لوقا:

ينطوى هذا الإنجيل ـ فى واقع الأمر ـ على عدة مشكلات، على رأس هذه المشكلات تلك التى نتجت عن تسلسل نسب المسيح كما أورده لوقا، والاختلاف بينه وبين التسلسل الذى أورده متى[٣].

ـ وكذلك فإن مايرويه لوقا عن طفولة المسيح، يختلف عما يرويه متى حول الموضوع نفسه.

ـ وهناك مسألة سر القربان المقدس، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للمسيحيين، على حد تعبير موريس بوكاى.

ـ يلاحظ الأب روجى فى كتابه «مقدمة إلى الإنجيل»، (ص٧٥):

أن إنجيل لوقا وهو يسوق سر القربان المقدس، الإصحاح ٢٢ ـ الآيات من ١٩ ـ ٢٤، يختلف عن إنجيل متى فى : الإصحاح ٢٦ ـ الآيات ٢٢ ـ ٢٤.

ويلاحظ أن الصيغة التى ينقلها لوقا تقارب كثيراً تلك التى يذكرها بولس فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثة، الإصحاح ١١ ـ ٢٣ : ٢٥ [٤].

ولئن كان لوقا فى صدر إنجيله يقر بأنه يكتب إنجيله بغير إلهام، فإنه فى رسالة أعمال الرسل، يتحدث عن إلهام الرسل وعن صلتهم بالروح القدس . . إلخ، وهذه مسألة يناقض فيها لوقا نفسه؟

---

(١) د. جرانت: الأناجيل: أصلها وتطورها، ص ١٢١.

(٢) انظر: محاضرات فى النصرانية ص ٥٧.

(٣) انظر حديثنا عن إنجيل متى.

(٤) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، ص ٨٩.

ـ كما أنه يحـدد تاريخ صعود المسيح ـ فى إنجيله ـ بيـوم الفصح ويحدده فى أعمال الرسل، بأربعين يومًا بعد الفصح!!

ومما يجدر ذكره ـ فى هذا المقام ـ أن لوقا، الذى يقر فى صدر رسالته الأولى إلى ثاوفيلس، بأنه لايكـتب له عن إلهام، ولا يكتب له بتوجـيه ووحى من الروح القدس.

ويصرح هو نفسـه بأن رسالته الثانية إلى ثاوفـيلس (سفر أعمال الرسل فـيما بعد)، إن هى إلا امتداد لرسالته الأولى، ووفـاء بوعده، حيث ذكر له أنه سيكتب له على التوالى.

أقول:

إن لوقـا هذا هو المصدر الوحـيد الذى زعم الإلهـام للرسل، وزعم أن لهم صلة بالروح القدس!!

والسؤال الآن: ماقيمـة هذا الزعم الذى يجىء من رجل لم يكن من تلاميذ المسيح عليه السلام (بحسب تصريحـه هو)، ولم يكن من تلاميذ تلاميذه (بحسب استنتاجات علماء اللاهوت)، ولم يكن من خدام الكلمة (أى المسيح)، ولم يكتب ما كتب عن وحى وإلهام؟!

وبعد: فلـعلنا نتمكن قـريبًا إن شاء الله تـعالى، من إنجاز دراسـتنا عن هذه القضيـة: قضية انقطاع السند وتناقض المتن، فى الأناجـيل والرسائل، من المصادر الإسلامية الأصلية، بعد أن ذكرنا هنا أبرز مـا قاله واستنتجه الدارسون اللاهوتيون النصارى.

وماتوفيقى إلا بالله.

الفصل التاسع

النبوة والأنبياء فى التوراة والقرآن الكريم

«دراسة مقارنة»

(١) الأنبياء وحاجة البشر إليهم:

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم، وأكرمه، وفضّله على كثير ممن خلق؛ إذْ خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخّر له الكون بما فيه ـ وما أعظم ما فيه! ـ وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، وعلمه البيان..

وتفضل عليه فخاطبه وكلفه وأرشده، وأمره ونهاه، وبين له سبل الفلاح، وعرّفه أن هذه الحياة ليست الخاتمة، لكنها حياة تتلوها حياة يلقى فيها الإنسان جزاء ما قدم.. وهذا لا يستقل عقل الإنسان بإدراكه(*)، كما أن الله جعل فى هذه الحياة طيبات وخبائث ليس لحس الإنسان وعقله استقلال فى الوقوف عليها، وهنالك جمل من القضايا ممكنات لا طريق للعقل إلى الجزم بأحد جانبيها، وواجبات وممتنعات لا تظهر للعقل ـ إن ظهرت ـ إلا بعد طول نظر وتواصل فكر، ولو استقل الإنسان بها لتعطلت قطعا أكثر مصالحه.

وعلى الجملة، فإن الله تعالى قد أراد من الإنسان ـ فى هذه الحياة ـ اعتقادا صحيحا وسلوكا قويما، يحقق مصلحته ويجلب سعادته، وليس له أن يدرك ذلك مستقلا بحسه وعقله، فكان أن تفضل الله ـ رحمة بالإنسان ـ فاختار رجالاً واصطفاهم وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه إلى الناس.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾(١).

﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ ﴾(٢).

هؤلاء هم الرسل، وهم خيار الخلق، وصفوة الله تعالى من بين جميع الناس، هداهم الله واجتباهم، وأنعم عليهم، فهم قمم البشرية الشوامخ خلقا وسلوكا وصبرا وجهادا:

(*) آية ذلك هذا الركام الهائل من النظريات والآراء التى انقدحت بها عقول الفلاسفة ـ وهم من عباقرة البشر غالبا ـ فإنهم عندما يبحثون فى المسائل الإلهية بعقولهم المجردة ـ غير مستضيئين بنور الوحى، يخرجون بكلام غث بارد سخيف فج؛ وما ذلك إلا لأن هذه المسائل لا تستقل العقول ـ مهما كانت عبقريتها ـ بإدراكها جملة وتفصيلا.

(١) سورة يوسف ١٠٩، سورة النحل ٤٣.

(٢) سورة غافر ١٥.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(١).

وملاك الأمر أن الله تعالى لا يرسل إلى خلقه إلا خيارهم وصفوتهم خلقا وسلوكا ونسبا(٢)، فقد اقتضت حكمته أن يختار هؤلاء دون سواهم، وأن يهبهم صفات تميزهم عن غيرهم، فامتازوا بصدق الدعوة والأمانة والإخلاص والتوبة، ونزهوا عن جميع الرذائل وسائر الأخلاق الذميمة، ولهذا اختصت النبوة بأشرف أفراد النوع الإنسانى من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى والعصمة من الزلل والزيغ والكذب والبهتان(٣).

هذه على الإجمال صورة أنبياء الله فى الإسلام، فما هى ملامح الصورة التى رسمتها التوراة وأسفار العهد القديم ـ المسلَّمة عند اليهود والنصارى على أنها أسفار الدين المقدسة ـ لهؤلاء الرسل الكرام.. وحتى تتضح الصورة سنقابل فى هذا المبحث بين ما ورد فى التوراة وكتب العهد القديم وما جاء فى القرآن الكريم خاصا بالأنبياء عليهم السلام؛ ولأن مثل هذا البحث يعجز عن سوق كل ما جاء فى حق جميع أنبياء الله فى التوراة والقرآن، فإننا سنقتصر على بعض هؤلاء الرسل الكرام، كما سنقتصر على النصوص التوراتية ومقابلتها بالنصوص القرآنية من غير تعويل على شروح العلماء واستنباطاتهم.

وليعذرنا القارئ الكريم إذ ننقل له نصوصا من التوراة المنسوبة(٤) إلى موسى عليه السلام فى حق الأنبياء، ما كان لنا أن نتلفظ أو نستشهد بها لولا أن القرآن قد حكى عن بنى إسرائيل ما افتروه على الله جل جلاله وعظم سلطانه، مثل قولهم:

(١) سورة مريم: ٥٨

(٢) قارن فتاوى الإمام ابن تيمية جـ١٥ صـ٣٠ طبعة الرئاسة العامة بالرياض.

(٣) انظر كتاب لوامع الأنوار البهية لمحمد بن أحمد السفارينى صـ ٢٢٦، ٢٦٧، جـ٢ طبعة دمشق.

(٤) تقرر التوراة الحالية أنها تنزيل من رب العالمين؛ حيث ذكر فيها: «ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى» الخروج ١٩ : ٢٠ «ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات» الخروج ٢٠ :١ «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل» سفر التثنية ٣١ :٩.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (١) ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (٢) ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (٣)، كما أن الرسول ﷺ قال: «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج»(٤).

ورحم الله أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إذ يقول: «لولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا.. لكنت لأن أخر من السماء أحب إلى من أن ألفظ بحرف مما يقولون، ولكنى لا أصل إلى إظهار جميع مخازيهم وما يسرون من فضائحهم إلا بالإخبار عنهم والحكاية منهم»(٥).

٢ ـ نوح ـ عليه السلام ـ فى التوراة والقرآن

تصور التوراة نوحا ـ عليه السلام ـ على أنه رجل خمر وسكر، يعاقر الخمر حتى تدور برأسه.. وتذهب بعقله، فيتعرى.. وتنكشف سوأته، فيراه ابنه حام على هذا الحال المزرى.. فيخبر أخويه بذلك.. وعندما يفيق نوح من خمره وسكره يلعن ابنه حام، ويحكم عليه بالعبودية والمذلة لأخويه.

«... وابتدأ نوح يكون فلاحًا، وغرس كرمًا، وشرب منه الخمر، فسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان، عبدالعبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدًا لهم»(٦).

---

(١) سورة آل عمران/ ١٨١

(٢) سورة المائدة/ ٦٤

(٣) سورة التوبة/ ٣٠

(٤) رواه البخارى، انظر ص٤٩٦ جـ٦ من فتح البارى لابن حجر العسقلانى، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل.

(٥) الجاحظ: المختار فى الرد على النصارى، بتحقيقنا، ونشر دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ وقد نقل ابن حزم صاحب الفصل فى الملل والأهواء والنحل، هذه العبارة عنه، انظر جـ١ ص٣٢٨.

(٦) سفر التكوين ٩: ٢١ ـ ٢٦.

هذه صورة نوح عليه السلام، التى يرى اليهود والنصارى أن الله قد كلم بها موسى عليه السلام، ثم كتبها موسى ووضعها فى التوراة، ووضع التوراة فى التابوت، وسلمها لبنى إسرائيل،وجعل الهارونيين من بنى لاوى ـ أحد أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر ـ حفظة لها وحراسا عليها.

وأحسب ـ من جانبى ـ أن الأمر لا يعدو أن يكون تأصيلا لنظرية بنى إسرائيل العنصرية العرقية القاضية برفع سلالتهم فوق كل السلالات.. ووراء اختلاق هذه القصة الخبيثة باعثان شنيعان خسيسان، هما:

أولهما ـ تأصيل اصطفاء السلالة الإسرائيلية ورفعها ـ عرقيا وعنصريا ـ فوق الكنعانيين أعدائهم التقليديين؛ ذلك أن الكنعانيين إن هم إلا الفلسطينيون أصحاب الأرض التى استولى عليها بنو إسرائيل.. وكانت بينهم دماء وحروب وثارات!!

ثانيهما ـ التشنيع على أول رسل الله نوح عليه السلام والتشغيب عليه، تنفيذا لخطتهم الخبيثة فى تشويه صورة كرام البشر عموما ورسل الله خصوصا، على ما سيذكر إن شاء الله.

أما صورة نوح ـ عليه السلام ـ فى القرآن الكريم، فهى ـ على عكس ما جاء فى التوراة ـ فهى صورة وضيئة مشرقة، فهو ـ عليه السلام ـ أول رسل الله إلى الناس، وهو [1]، من صفوة الصفوة، وخلاصة الخلاصة، فهو واحد من أولى العزم من الرسل الكرام:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

---

(١) روى البخارى فى حديث الشفاعة«... يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض،وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك» انظره فى فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٦/ صـ٣٧١.

(٢) سورة الأحزاب/ ٧

يعلق العلامة الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله: إن الله قد أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر[1]. هذا، وقد أرشد الله محمداً ﷺ أن يصبر كما صبر أولو العزم ومنهم نوح عليه السلام.

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[2].

ويشهد الله عز وجل بأن نوحا كان عبداً شكوراً:

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [3].

وإن الله عز اسمه قد اصطفى نوحًا وهداه إلى صراطه المستقيم:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4].

﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [5].

وقد أطلق اسمه على سورة من سور القرآن العظيم؛ تنويها بشأنه، وإعلاءً لذكره، وثناءً عليه، وتشريفا له. فهو عليه السلام، قد أنعم الله عليه، وهداه، واصطفاه، واجتباه، وواثقه على تبليغ رسالته إلى عباده[6]. فكيف يذكر الله تعالى ـ فيما تفتريه التوراة على الله ـ أنه كان سكيراً عربيداً متهتكا متعريا كاشفاً لعورته؟!، أو كيف يسوغ ـ في العقل ـ لغير متصون أن يلعن ابنه لأنه اطلع على عورته.. وهل يعقل أن يكتب موسى عليه السلام هذا الكلام عن أخيه نوح عليه السلام.. وهل يرضى هذا لنفسه واحد من كرام الناس!! فضلا عن صفوة الناس؟.. لكنه الحقد الفريسي الإسرائيلي على خيرة البشر وهداتهم!!

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ٦ صـ ٣٨٣ طبعة دار الشعب بمصر.

(٢)سورة الأحقاف ٣٥.

(٣) الإسراء ٣.

(٤) آل عمران ٣٣.

(٥) الأنعام ٨٤.

(٦) وذكر نوح عليه السلام في سورة النساء؟ ١٦٣، الأعراف/ ٥٩، يونس/ ٧١، هود ٢٥، ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، الأنبياء/ ٧٦، مريم/ ٥٨، المؤمنون/ ٢٣، العنكبوت ١٤ الأحزاب/ ٢٧، الشورى/ ١٣، الحديد/ ٢٦، الصافات/ ٧٥، ٧٩، نوح/ ١، ١٢، ٢٦.

وهل أصبح أبناء حام عبيدا كما جاء فى التوراة على لسان نوح؟ يعلق ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ على ذلك بأسلوبه الساخر المعروف متهكما بواضع التوراة، فيقول:

«.. ثم نسى المحرِّف، وقال بعد ستة أسطر: «بنو حام هم: كوش، ومصرايم، وفوحا.. إلخ وكوش بن حام ولد له نمروذ الذى ابتدأ يكون جباراً فى الأرض.. وكان أول مملكته بابل» فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح عليه السلام!؛ لأن أبناء حام صاروا ملوكا على أبناء سام، ولم يصبحوا عبيدا كما حكم نوح على أبناء حام بزعمهم[1]!!

(٣) لوط ـ عليه السلام ـ فى التوراة والقرآن.

تذكر التوراة أن لوطًا، عليه السلام ـ قد تلكأ فى الاستجابة لأمر الله له بالخروج من المدينة التى حل عليها عذاب الله، وقد دفعه الملكان دفعًا للخروج، وتزعم التوراة كذلك أن امرأته قد نجت معه:

«.. ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين: قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودين لئلا تهلك بإثم المدينة، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه.. وأخرجاه، ووضعاه خارج المدينة...»[2].

ليس هذا فحسب، لكن التوراة الفريسية تأبى إلا أن تمرغ وجه لوط ـ حاشاه ـ فى الوحل، فتنسب إليه، عليه السلام ـ جريمة معاقرة الخمر، والسكر، والزنى بابنتيه!! والإنجاب منهما سفاحا!! وهذا مما يأباه لأنفسهم شرار الخلق وأراذلهم فما بالك بالرسل الأئمة الهداة؟!

«.. وصعد لوط من صوعر، وسكن فى الجبل وابنتاه معه؛ لأنه خاف أن يسكن فى صوعر، فسكن فى المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض!!، هلم نسقى أبانا

(١) ابن حزم: الفصل، جـ١ صـ ٢١١، ٢١٢.

(٢) سفر التكوين ١٩: ١٥ ـ ١٧.

خمـرًا، ونضطجع معـه؛ فنحيى من أبينا نـسلا!!، فسـقتـا أباهما خمـرا فى تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها!!!

وحدث فى الغـد أن البكر قالت للصـغيرة: إنى قـد اضطجعت البـارحة مع أبى، تعالى نسقيه خمرا الليلة أيضا، فادخلى عليه... اضطجعى معه، فنحيى من أبينا نسلاً!! فسقـتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة أيضا، وقامت الصـغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها!!

فحبلت ابنتـا لوط من أبيهما!!، فولدت البكر ابنا دعت اسـمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة ولدت أيضا ابنا دعت اسمه: بن عمى، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم»(١).

ولا ريب أن هذا تحريف إسـرائيلى باعثـه: وصم أعدائهم التقلـيديين: بنى موآب وبنى عمون، وأى جريمة أفحش أو أقذع من كونهم أبناء زنى، وأى زنى!! وكذلك وصم لوط ـ عليه السلام ـ بكل هذه الخـساسات والمناكر!!، وأيضا الطعن فى شرف نبى الله داود عليه السلام؛ لأن جدته لأمه كانت من بنى موآب!!

ويعلق على ذلك حبر من كبار أحبـار يهود بعد أن شرح الله صدره للإسلام فى نهاية القـرن السادس الهـجرى، فيكشف غـرضهم الخـبيث من وراء دس هذه القصة الوقحة فى التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، فيقول:

«هذه الحكاية منسوبة إلـى لوط النبى فى التوراة الموجودة بأيدى اليـهود فلم يقدروا على جحدها، فيلزمهم من ذلك أن الولدين (ممزريم) (يعنى أولاد زنى) إذ توليدهمـا على خلاف المشـروع، وإذا كانت روث (راعـوث) من ولد موآب، وهى جدة داود عليـه السلام، وجدة مـسيحـهم المنتظر، فقد جـعلوها جميـعا من نسل الأصل الذى يطعنون فيه.

«وأيضًا، فـمن أفحش المحال أن يكون شـيخ كبـير قد قـارب المائة سنة وقد سقى خـمرًا حتى سكر سكرًا حـال بينه وبين معرفة ابنـتيه، فضـاجعته إحـداهما واستنزلت منيه وقـامت عنه وهو لايشعر ـ كما نطق كـتابهم ـ وهذا حديث من لا

---

(١) سفر التكوين، ١٩: ٣٠ ـ ٣٨.

يعرف كيفية الحبل؛ لأنه من المحال أن تعلق المرأة من شيخ طاعن فى السن قد غاب حسه لفرط سكره، ومما يؤكد استحالة ذلك أنهم زعموا أن ابنته الصغرى فعلت كذلك به فى الليلة الثانية، فعلقت أيضا، وهذا ممتنع من المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم فى ليلة، ويعلق منه أيضا فى الليلة الثانية.

«إلا أن العداوة التى ما زالت بين بنى عمون وموآب وبين بنى إسرائيل بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال؛ ليكون أعظم الأخبار فحشًا فى حق بنى عمون ومؤاب».

«وأيضا فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة فى الهارونيين، فلما ولى طالوت، وثقلت وطأته على الهارونيين، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود، بقى فى نفوس الهارونيين التشوق إلى الأمر الذى زال عنهم، وكان هذا عزرا خادما لملك الفرس، حظيًا لديه، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم».

«فلما كان «عزرا» هارونيًا، كره أن يتولى عليهم فى الدولة الثانية داودى، فأضاف فى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود: أحدهما: قصة بنات لوط، والآخر: قصة شامار.

«ولقد بلغ ـ لعمرى ـ غرضه؛ فإن الدولة الثانية التى كانت لهم فى بيت المقدس (بعد عودتهم من الأسر البابلى المعروف) لم يملك عليهم فيها داوديون؛ بل كانت ملوكهم هارونيين»[(1)].

وإن قالوا: لا ملامة على لوط فى ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران، وهو لا يعلم من هما، قلنا: فكيف عمل إذ رآهما حاملتين؟! وإذ رآهما قد ولدتا ولدين نغير رشده؟! وإذ رآهما تربيان أولاد الزنى؟!

هذه فضائح الأبد، وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام[(2)].

(1) انظر للمهتدى: السموأل بن يحيى المغربى ت ٥٧٠هـ، كتابة القيم: «إفحام اليهود» بتحقيقنا، ونشر دار الهداية بالقاهرة، ١٤٠٦هـ.

(2) ابن حزم: الفصل، جـ١ صـ ٢٢٤.

أما لوط، عليه السلام، فى القرآن، فقد فضّله الله - مع إخوانه الرسل - على العالمين:

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(١)

وما يدعو للدهشة والغرابة أن دعوة لوط فى جوهرها دعوة للطهر والعفاف والسمو بقومه عن وهدة التمرغ فى الشذوذ الجنسى، والارتكاس فى وحل الرذيلة والفجور الفاحش؛ فوصمه بنو إسرائيل بما جاء ليطهر الناس منه!!

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(٢).

هؤلاء المجرمون يشهدون أن لوطًا كان من المتطهرين، وبنو إسرائيل يتهمونه بأبشع أنواع الفسوق والشذوذ!!

ولقد كان لوط من الصالحين، وآتاه الله حكما وعلمًا، وأنجاه الله من القرية التى كانت تعمل الخبائث، إنهم كانوا قوم سوء فاسقين.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣)

ولقد كان لوط قاليا لفسوق قومه. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾(٤)

ويؤكد القرآن الكريم رسالة لوط، وأن الله قد شهد فى حقه أنه كان من المحسنين (٥)، فكيف يسعى محرفو التوراة إلى وصمه عليه السلام بأبشع الرذائل!! إنهم زنادقة مبالغون فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام.

(١) الأنعام/ ٨٦.

(٢) الأعراف ٨٠ - ٨٤.

(٣) الأنبياء ٧٤ - ٧٥.

(٤) سورة الشعراء/ ١٦٨.

(٥) هود ٧٧ - ٨١، النمل ٥٤ - ٥٦، العنكبوت ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٣، الصافات ١٣٣.

(٤) إسماعيل واسحاق عليهما السلام فى التوراة والقرآن.

من الذبيح؟ إسحاق أم إسماعيل؟

هذه مسألة ذكرت فى التوراة والقرآن الكريم. وقد نصَّت التوراة صراحة أن الذبيح هو إسحاق:

«.. وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، قال: ها أنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض أمريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك، فبكَّر إبراهيم صباحا، وشد على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه ومعه إسحاق ابنه.. فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحاق ابنه... وكلم إسحاق إبراهيم أباه، وقال: يا أبى. فقال: ها أنذا، فقال: هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف؟! فلما أتيا الموضع، ربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب..»[(١)].

فقد ذكر اسم إسحاق أربع مرات فى هذه الفقرة، أولها: «خذ ابنك وحيدك... إسحاق[(*)]».

فهل كان إسحاق وحيد أباه؟

تنص التوراة على أن إسحاق كان وحيد أباه!!، وتنص فى مواضع أخرى أن إسحاق لم يكن فى يوم من الأيام وحيدا لأبيه؛ لأن الله قد رزق إبراهيم بإسماعيل قبل أن يرزقه بإسحاق بأربع عشرة سنة، وأن عمره حين ولادة ابنه إسحاق «مائة عام»، جاء فى سفر التكوين:

«وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه»[(٢)].

«وعندما بشره الملك بولد من سارة، سقط على وجهه من الضحك وقال فى قلبه: هل يولد لابن مائة سنة؟! وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة؟!».

---

(١) سفر التكوين، ٢٢: ١ - ١٣.

(*) فى الترجمات الحديثة للتوراة العبرانية: خذ ابنك المفضل «The Favored son»، وبعض مفسرى اليهود يرون «أن إسماعيل ابن غير شرعى لإبراهيم لأنه ابن الجارية»، وهذا تحريف يرده نص التوراة الحالى. انظر هامش ص٣٨، ٣٩ من كتاب «محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن» لإبراهيم خليل أحمد، طبعة خامسة.

(٢) سفر التكوين ٢١: ٥.

وعندما ولد إسماعيل كان عمر أبيه إبراهيم (ستا وثمانين) سنة طبقا لنص التوراة أيضا:

«.. وأما ساراى (سارة) امرأة أبرام (إبراهيم) فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها: هاجر، فقالت ساراى لأبرام: هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة، ادخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين، فدخل على هاجر فحبلت.. فأذلتها ساراى، فهربت من وجهها.. فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية، فقال لها: ها أنت حبلى، فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل.. وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام»(١).

وفى التوراة ـ كذلك ـ أن إبراهيم قد دعا الله أن يبارك إسماعيل قبل أن يولد له إسحاق، بل قبل أن يبشر به:

«وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنًا تدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدى معه عهدا أبديا ومع نسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنذا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدى أقيمه مع إسحاق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت، فى السنة الآتية»(٢).

---

(١) سفر التكوين ١٧/ ١٧

(٢) سفر التكوين ١٧ ـ ١٨ ـ ٢١، أى أن التوراة تعطى حق البكورية لإسحاق وتحرم إسماعيل منه، والبكورية واستحقاقها لها قانونها النصى فى التوراة، جاء فى سفر التثنية: «إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين: المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان له: لا يحل أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر؛ بل يعرف ابن المكروهة بكرًا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه أول قدرته؛ وله حق البكورية» التثنية ٢١: ١٥ ـ ١٧.

جاء هذا النص فى التوراة «الطبعة اليهودية» سنة ١٩٦٢م، وهذا النص التوراتى يكذب ويناقض نص سفر التكوين الذى يمنح البكورية لإسحاق عن غير استحقاق؛ بل رغم أنف شريعة التوراة ذاتها فى البكورية.

ولقد دافع الكاتب اللاهوتى المعروف هيستنج صاحب «قاموس الكتاب المقدس» عن حق إسماعيل فى البكورية، وقال: لقد جانب التوفيق كتاب سفر التكوين فى هذا الأمر.

James Hastings, Dictionary of the Bible, P 626, London, 1961.

لا خلاف إذن على ما جاء فى التوراة من أن الذبيح هو وحيد إبراهيم «خذ ابنك وحيدك الذى تحبه»، لكن هذا الوحيد لم يكن إسحاق؛ بل كان إسماعيل الذى قبله بأربع عشرة سنة كما جاء في التوراة، ولا ريب أن إقحام اسم إسحاق فى هذا الموضع من التوراة تحريف قطعى أوقع نصوص التوراة فى التكاذب والتناقض والاضطراب، ونصوص الوحى لا تختلف ولا تتكاذب ألبتة.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (1).

ولا ريب أن اسم إسحاق ـ هنا ـ مقحم، منسوب إلى الله، وليس من عند الله.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(2).

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(3).

وقد جاء ذكر الذبيح فى القرآن الكريم فى موضع واحد، ولم يعين فيه القرآن اسم الذبيح صراحة؛ وهذا جعل بعض العلماء والمفسرين يأخذ تصريح التوراة بأنه إسحاق مأخذ التسليم دون نظر أو تدبر فى الأمر؛ ذلك أن نسق الآيات القرآنية قاطع بأن الذبيح إسماعيل وليس بإسحاق...، فبعد أن ذكرت قصة الذبيح ثنى القرآن بذكر البشارة بإسحاق.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (108) سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (4).

(1) سورة النساء ٨٢.

(2) سورة آل عمران ٧٨.

(3) سورة البقرة ٧٥.

(4) سورة الصافات ١٠٠ ـ ١١٣.

هذا، وقد بشر الله سارة بإسحاق وبابن لإسحاق هو يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر بذبح إسحاق ولما تتحق بعد البشارة بيعقوب، أى إن كان الذبيح إسحاق فإن البشارة بيعقوب لا تتحق.. وهذا خلف للوعد وإبطال للبشارة[1].

﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[2].

كما أن آيات القرآن تقدم إسماعيل على إسحاق، إذا ذكرا معًا فى آية واحدة بصورة مطردة[3].

وجماع الأمر فى ذلك أن التوراة ترى أن إسماعيل ابن الجارية، و ابن الجارية لا عهد له ولا ميراث، «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق»[4].

«فقال الله لإبراهيم: فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل»[5]

وإسماعيل، عليه السلام، فى القرآن الكريم نبى رسول صادق الوعد[6]، من الصالحين[7]، الصابرين[8]، الأخيار[9]، وأنه قد عهد الله إليه مع أبيه أن

---

(١) لقد عالج ابن تيمية هذه المسألة فى المجلد الرابع من فتاواه ص ٣٣١ ـ ٣٣٦، كما عالجها ابن كثير والقرطبى والطبرى من قبل وكثير من العلماء والمفسرين، انظر مثلا تفسير ابن كثيرا جـ ٧ ص ٢٧ ـ ٣٠، و «قصص الأنبياء» له أيضا، ص ١٤١ بتحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، طبعة القاهرة، وانظر تفسير القرطبى حـ ١١ صـ ١١٤.

(٢) هود/ ٧١.

(٣) انظر مثلا البقرة ٣٣، ١٤٠.

(٤) سفر التكوين ٢١: ٩ ـ ١٠.

(٥) التكوين ٢١:١٢.

(٦) مريم ٥٤ ـ ٥٥.

(٧) الأنبياء ٨٦.

(٨) الأنبياء ٨٥.

(٩) صـ ٤٨.

يرفعا قواعد بيته الحرام، وأن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود[1]، وهذه من أرفع المهام وأكرمها دون ريب، وأن إسماعيل قد قدم أروع مثل للتضحية والفداء استجابة لأمر الله تعالى فى قصة الذبح المشار إليها، والذى حرصت التوراة الحالية على أن تسلبه منه وتنسبه باطلا إلى أخيه إسحاق عليهما السلام.

(٥) إسحاق ويعقوب، عليهما السلام، فى التوراة والقرآن.

قد يسبق إلى الخاطر أن محاولة كتبة التوراة تجريد إسماعيل من شرف التضحية والفداء ـ فى قصة الذبح ـ ومنحها إلى إسحاق، أن إسحاق عليه السلام قد نجا من محاولة التشويه والتدنيس، التى عقدوا العزم على رمى الأنبياء جميعا بها!!!.

وواقع الحال عكس ذلك قطعًا، فإسحاق ـ فى التوراة ـ رجل خب تسهل خديعته والاحتيال عليه!!، ولكن ممن يخدع؟ من ابنه يعقوب. فينسبون إلى يعقوب أنه كذب على أبيه، واحتال، وتخابث، وسرق أو استلب بركة أخيه البكر عيسو التى استحقها من أبيه لبكوريته طبقا للقواعد التوراتية؛ جاء فى سفر التكوين:

«.. حدث لما شاخ إسحاق، وكلّت عيناه عن النظر، أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: يا بنى قد شخت، ولست أعرف يوم وفاتى، فلآن خذ عدتك.. اخرج إلى البرية، وتصيد لى صيدًا، واصنع لى طعامًا كما أحب، وأتنى به لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت.

«وكانت رفقة (أم يعقوب وعيسو) سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيدا ليأتى به، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: إنى سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا: إيتنى بصيد وأطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى.. فالآن يا بنى اسمع لقولى: اذهب إلى الغنم، وخذ لى جديين جيدين من المعز، فاصنعهما لأبيك كما يجب، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته.

«فقال يعقوب لرفقة أمه: هو ذا عيسو أخى رجل أشعر، وأنا رجل أملس،

---

(١) البقرة ١٣٣.

ربما يجسنى أبى فـأكون فى عينيه كـمتهاون، وأجلب على نفـسى لعنة لابركة، . .
وأخذت رفقة بثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت، وألبست يعقـوب ابنها الأصغـر، وألبست يديه وملاسـة عنقه جلود جـديى المعز، وأعطت الأطعمة التى صنعت فى يد يعقوب ابنها.

«فدخل إلى أبيه وقال: يا أبى. فقال: من أنت يا ابنى؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكـرك، قد فعلت كما كلمتنى، قم اجلس وكل من صـيدى لكى تباركنى نفسك. . فـقال إسحاق ليـعقوب: تقـدم لأجسك يا بنى: أأنت هو ابنى عيـسو أم لا؟، فتقدم يعـقوب إلى إسحاق، فجسه، وقال: الصـوت صوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه، فباركه، وقال: كن سيدا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين»[1].

بعد أن يفـرغ قارئ هذا الفـصل من قراءته يخـيل إليه قطعـا أنه أمام قـصة بوليسيـة مما يؤلف عن الصعاليك والشطار والعيّارين، ولا ينقـدح فى خاطره قطعا أنه يقرأ وحيًا إلهيًّا يتعلق بنبى ابن نبى، كتبه نبى، عن الله عز وجل!!

وقد علق العلامة ابن حزم على ذلك بقوله:

فى هذا الكلام فـضائـح وأكذوبات وأشـياء تشـبـه الخرافـات،وأول ذلك: إطلاقهم على نبى الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه،وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء، فكيف من نبى مع أبيه النبى أيضا؟!! . . هذه سوءات مضاعفات.

وثانيـة: هى إخبـارهم أن بركة يعـقوب إنما كـانت مسـروقة مأخـوذة بغش وخديعة وتخابث، وحـاشى للأنبياء عليهم السلام من ذلك. ولعـمرى إنها لطريقة اليهود، فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع إلا الشاذ.

وثالثة: وهى إخبارهم أن الله تعالى أجـرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاشى لله من هذا.

ورابعة: وهى التى لا يشك أحد فى أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب

(١) سفر التكوين ٢٧: ١ ـ ٤٥.

إذ خدعه - بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس - إنما قصد بتلك البركة عيسو، وله دعا؛ لا ليعقوب، فأى منفعة للخديعة هنا لو كان لهم عقل؟!

وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً؛ من ذلك:

نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام، وهو نبى الله تعالى ورسوله فى أربعة مواضع:

أولها: قوله لأبيه إسحاق «أنا عيسو ابنك بكرك» فهذه كذبتان فى نسق؛ لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره.

وثانية: قوله لأبيه: صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وكل من صيدى، فهذه كذبتان فى نسق؛ لأنه لم يكن قال له شيئًا، ولا أطعمه من صيده[1].

وكذبة أخرى: وهى بطلان بركة إسحاق، إذ قال له: تخدمك الأمم، وتخضع لك الشعوب، وتكون سيد إخوتك، ويسجد لك بنو أمك، ومعلوم أن ذلك لم يقع والذى تحقق عكس ذلك تمامًا، فى أكثر أيام بنى إسرائيل، كما نص عليه فى كتبهم.

ولم يقف كتبة التوراة مع نبى الله يعقوب (إسرائيل) عليه السلام عند هذا الحد؛ لكنهم ذكروا أنه احتال على أخيه عيسو، وابتاع منه بكورتيه، فجرده من البركة والبكورية معًا [2]، وقد صرخ عيسو متحسراً على ذلك، فقال:

«.. أخذ بكوريتى، وهو ذا الآن قد أخذ بركتى!!!»[3].

وجاء فى سفر إشعيا، وفى سفر ميخا - من أسفار العهد القديم - أن يعقوب قد عصى الله، وأثقل عليه بآثامه، وأتعبه:

يزعمون أن الله قد قال ليعقوب: «أنت لم تدعنى يا يعقوب، ... ولم تحضر لى شاةً..، ولم أستخدمك بتقدمة، .. لكن استخدمتنى أنت بخطاياك، وأتعبتنى آثامك»[4].

---

(١) انظر: الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ١ صـ ٢٢٧ - ٢٢٩ (بتصرف يسير).

(٢) سفر التكوين ٢٥: ٣١ - ٣٩.

(٣) سفر التكوين ٣٧:٣٦.

(٤) سفر إشعيا ٤٣: ٢٢ - ٢٤، وسفر ميخا ١: ٢ - ٨.

ويظهر كتبة التوراة يعقوب فى صورة الرجل الخب الذى يخدع ويُخدع، فقد خدعـه «لابان» خاله وزوّجه «ليـئة» بدلا من «راحيل»، وأدخله عليـها دون نكاح صحيح(١).

وقد خدع يعقوب قلب لابان الآرامي؛ إذ لـم يخبره أنه هارب، فهرب وكل من كان له»(٢).

وقد سرقت زوجته أصنام أبيها،وكذبت عليه وعلي زوجها(٣).

كمـا ينسب كُتاب التـوراة حوادث زنى متكـررة فى بيت يعقوب، فـقد زنى شكيم بن حمور بابـنة يعقوب «دينا» (٤). واضطجع ابنه رأوبين سفـاحا مع سرية أبيه (٥)، وكذلك يهوذا يزنى بثامار(٦)؛ مما يعكس صورة ملطخـة بالرذيلة والفجور والدعارة لبيت يعقوب عليه السلام!!

والحق إن عجب قارئ التوراة ـ المنسوبة إلى موسى عليه السلام والتى يؤمن بها اليهود والنصارى جميعا ـ لا ينفذ من الصورة الكالحة البشعة التى رسمها هؤلاء الأنذال ليعقـوب عليه السلام؛ إن يعقـوب هو (إسرائيل (٧) الذى ينتسـب إليه بنو إسرائيل، ومنهم هؤلاء الزنادقة الكفرة الذين كتبوا لهم أسفارهم تلك).

وإذا كان أبوهم ـ إسرائيل ـ كاذبا محتالا سـارقًا، وإذا كانت بركته وبكوريته قد استلبـها من أخيه بالتـخابث والخديعة فـما يبقى له من فضل وفـضيلة؟! وماذا يبقى لبنيه من بعده؟!

---

(١) سفر التكوين ٢٩: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) التكوين: ٣١.

(٣) التكوين ٣١: ٣٤ / ٣٥.

(٤) التكوين ٣٤/ ٣.

(٥) التكوين ٣٥/ ٢٢.

(٦) التكوين ٣٨: ٦ ـ ١١، ٣٤ ـ ٣٥.

(٧) وسمى يعقوب إسرائيل؛ لأنه تغلب على ملاك الرب، وجاهد ملاك الرب وصمد أمامه أو جاهد الرب وصمد أمـامه، أو صرع ملاك الرب.. حسبـما جاء فى كتبهم من تفـسير لهذا، انظر سفر التكوين.

أما إسحاق فى القرآن الكريم فـإنه قد بشر الله به إبراهيم حين أراد أن يذبح أخاه إسماعيل، وقد اصطفـاه الله لرسالته، وهداه واجتباه، وهو ﴿ لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾[1] ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[2]، وهو ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3].

أما يعقوب (إسرائيل) فقد أثنى الله عليه وعلى أبيه فقال:

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين (٧٢) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[4].

فهو من العـابدين الصالحين، وهو إمام يهدى بأمـر الله، وقد أوحى الله إليه فعل الخيرات.. وكان من المهتدين. يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيًا (٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليًا﴾ [5].

فإسرائيـل ـ فى القرآن ـ له لسان الصدق أمـين على النبوة والوحى[6]، وله فى كتب بنيـه لسان الكذب والاحتيـال والخديعة!! ونعوذ بالله من الخـذلان، فقد حق فيهم قول الحق عز وجل:

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا ﴾[7].

وصدق الله، ﴿فسوف يلقون غيًا ﴾.

---

(١) سورة ص ٤٨.

(٢) سورة ص ٤٥.

(٣) سورة الصافات ١١٢، الأنبياء ٧٢.

(٤) سورة الأنبياء ٧٢، ٧٣، وانظر الآية ١٦٣ من سورة النساء.

(٥) سورة مريم ٤٩ ـ ٥٠.

(٦) سورة العنكبوت ٢٧.

(٧) سورة مريم ٥١.

(٦) موسى وهارون، عليهما السلام، فى التوراة والقرآن الكريم.

تذكر التـوراة أن موسى، عليه السـلام، أبّان الخروج من مصر قـد أمر بنى إسرائيل بنهب جيرانهم من المصريين وسلب أمتعتهم، والتحايل على ذلك:

«. . فيكون حينما تمضون أنكم لا تمـضون فارغين؛ بل تطلب كل امرأة من جارتها (المصريـة) ومن نزيلة بيتها أمتعـة فضة، وأمتعة ذهب، وثيابًـا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين»(١).

وكرام الناس لا يأمرون أتباعهم بالنهب والسلب والاحتيال لذلك.

وليت التوراة انتهت عند هذا الحد!! لكنهـا وجهت إلى موسى ـ أعظم أنبياء بنى إسرائيل قاطبة ـ وإلى أخيه وشريكه فى الأمـر هارون، عليهما السلام، جريمة خيانة الرب عز وجل!! وعـدم تقديسه أو عدم الإيمان به إيمانا عمـيقا!!، وتذكر التوراة ـ الحاليـة ـ ذلك عن موسى صراحة دون مـواربة، وتؤكد ذلك بأن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقابا لهما على إثمهما وخيانتهما الرب وسط بنى إسرائيل:

«فقال الرب لموسى وهارون:

من أجل أنكما لم تؤمنا بى حـتى تقدسانى أمام أعـين بنى إسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم إياها»(٢).

وجاء فى سفر التثنية:

«وكلم الله موسى. . قـائلا: اصعد إلى جبل عفـاريم فى أرض موآب الذى قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا، ومت فى الجبل الذى تصعـد إليه، وانضم إلى قومك، كـما مات هارون من قـبل فى جبل هور، وضم إلى قومه؛ لأنكما ختتمـانى فى وسط بنى إسرائيل عند مريبة قادش فى برية صـيـن، إذ لم تقـدسـانى فى وسط بـنى إسـرائيل؛ فـإنك تنـظـر الأرض من

(١) سفر الخروج ٣: ٢١، ٢٢.

(٢) سفر العدد ٢٠: ١٢، ١٣.

قبالتها، ولكنك لا تدخل إلى هناك، إلى الأرض التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل»[1].

لم يكف كاتب التوراة ذلك؛ بل نسب إلى موسى عليه السلام أنه هو الذى صنع لبنى إسرائيل الحية النحاسية التى قدسها الإسرائيليون ونذروا لها وقدموا لها الذبائح؛ حتى جاء حزقيا ابن آحاز ملك يهوذا فسحقها:

«وسحق (حزقيا) حية النحاس التى عملها موسى؛ لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها، ودعوها نحشتان» [2].

أما هارون شريك موسى عليهما السلام، فقد كال له واضع التوراة فأوفى المكيال؛إذ اتهمه بخيانة الرب ـ كما مر ـ وخيانة موسى أخيه، فترك أخاه يذهب إلى الجبل ليتلقى الهداية من ربه، فاستغل الفرصة وصنع لبنى إسرائيل عجلا ذهبا صنما وأمرهم بعبادته، وعبده معهم، وبنى له مذبحا، وعيَّد له عيداً، وذبح له.. جاء فى سفر الخروج:

«... ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا؛ لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه!!، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحًا أمامه، ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب (يعنى للعجل الصنم) فبكروا فى الغد، وأصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة» [3].

هارون عليه السلام ـ فى زعم المبطلين كُتَّاب التوراة ـ يصنع عجلاً إلهًا لبنى إسرائيل ويصوره بالإزميل، والله قد أمرهم فى الوصايا العشر قائلاً:

---

(١) سفر التثنية ٣٢: ٤٨ ـ ٥٢.

(٢) سفر الملوك الثانى ١٨: ٤.

(٣) سفر الخروج: الإصحاح الثانى والثلاثين كله.

«لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة» [1].

فلم يجد النذل واضع التوراة لموسى وهارون عليهما السلام جريمة مناسبة يفتريها عليهما، فوصمهما بخيانة الرب والتقصير فى تقديسه أمام شعب إسرائيل، وصنع العجل الصنم، والحية النحاسية ليتعبدا بها بنى إسرائيل!!

أما صورة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم فأبرز قسماتها الجلال والبهاء والرسالة والنبوة والوحى وكلام الله عز وجل. وشتان شتان بين صورته فى التوراة التى تنسب ـ زورا وبهتانًا ـ إليه، وبين صورته فى القرآن الحكيم. فهو ـ فى القرآن ـ قد جمع الله له النبوة والرسالة، وهو من أولى العزم من الرسل، فهو من الخمسة الكبار فى جَلَدهم وصبرهم واحتمالهم وطاعتهم.. صبر على فرعون المتأله الجبار، وصبر على قومه ذوى اللجاج والعناد والفساد والإفساد، ولقد أفاض القرآن فى سَوْق قصته العجيبة ووصف سجاياه الكريمة [2] ما لم يفض به فى قصة رسول آخر.

وهو أعظم أنبياء بنى إسرائيل الذى أنزل الله عليه التوراة، وآتاه الله الكتاب والفرقان والبينات، وآتاه الله سلطانا مبينًا، وهو كليم الله كلمه سبحانه مباشرة تكريما له وتشريفا، فهو كليم الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]، وقد اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه وآياته وسلطان مبين.

---

(١) سفر الخروج ٣٤/ ١٧

(٢) انظرها فى سورة البقرة ٥١، ٦١، ٦٧، ٧١، ٨٧، ٩٢، ١٠٨، ١٣٦، ٢٤٦، ٢٤٨، آل عمران ٨٤، النساء ١٥٣، ١٦٤، المائدة/ ٢٠، ٢٦، الأنعام/ ٨٤، ٩١، ١٥٤ الأعراف/ ١٠٣، ١٥٦، ١٦٠، يونس/ ٧٥، ٨٩، هود ١٧، ٩٦، ١١٠، إبراهيم/ ٥، ٦، ٨ الإسراء ٢، ١٠١، ١٠٢، الكهف ٦٠، ٦٦، مريم ٥١، طه ٩، ٩٨، الأنبياء ٤٨، الحج ٤٤، المؤمنون ٤٥، ٤٩ الفرقان ٣٥، الشعراء ١٠، ٦٦، النمل ٧,٩، ١٠، القصص ٣، ٤٨، ٧٦، العنكبوت ٣٩، السجدة ٢٣، الأحزاب ٧، ٦٩، الصافات ١١٤، ١٢٠ غافر ٢٣، ٣٧، ٥٣، فصلت ٤٥، الشورى ١٣، الزخرف ٤٦، الأحقاف ١٢، ٣٠ الذاريات ٣٨، النجم ٣٦، الصف ٥، النازعات ١٥، الأعلى ١٩.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

هذه صورة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم؛ صورة الجلال والكمال والرفعة والطاعة لله والأمانة على كلامه ووحيه.

وليس بغريب على بنى إسرائيل الذين وصموا أباهم بكل خسيسة أن يصموا أعظم رسلهم موسى عليه السلام الذى قادهم فى خروجهم من مصر، وخلصهم من عبوديتهم لفرعون وعذابه المهين.

أما هارون فكان نبيًّا من أنبياء الله أوحى إليه مع أخيه:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾(٢).

بعثه الله إلى فرعون مع موسى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا﴾ (٣).

وقد شد الله به أزر موسى أخيه وأشركه فى أمر رسالته:

﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (٤).

وقد برأ القرآن الكريم ساحة هارون، فذكر أن الذى صنع لهم العجل هو السامرى؛ أما هارون النبى فقد نهاهم وحذرهم وبذل جهده فى منعهم حتى كادوا أن يفتكوا به ويقتلوه.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]

﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف ١٤٤.

(٢) سورة يونس ٨٧.

(٣) سورة يونس ٧٥.

(٤) سورة طه: ٢٩ ـ ٣٢.

(٥) طه: ٨٧-٨٨.

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (١)

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (٢).

وهارون فى القرآن الكريم من المؤمنين (٣) المحسنين (٤)، وليس من الخائنين للرب كما فى التوراة الحالية المزورة التى تذكر أيضا أن هارون ومريم أخته قد قاما معاندين لموسى من أجل امرأته الكوشية:

«وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها؛ لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية، فقالا: هل كلم الرب موسى وحده؟! ألم يكلِّمنا نحن أيضا...؟ ! إلخ»(٥).

(٨) داود عليه السلام فى التوراة والقرآن

لم يكن داود - عليه السلام - فى نظر كُتَّاب أسفار العهد القديم - إسرائيليًّا خالصًا؛ فهو ينحدر - من جهة أمه من موآب، ونقاء النسب من جهة الأم خصوصًا قضية بالغة الأهمية فى التراث اليهودى؛ فلا يعتبر يهوديا خالصًا، أو لا يعد يهوديًّا مطلقًا من كانت أمه غير يهودية، وجدة داود عليه السلام (راعوث) موآبية كما ذكر من قبل.

ويظهر أن واضعى أسفار العهد القديم كانوا فى غاية الحرص على إثبات ذلك وتقريره، وقد دفعهم حرصهم على كتابة سفر قائم برأسه ووقفه على بيان هذا النسب وتفصيله(٦). وقد عرفنا من حديث التوراة عن لوط - فى سفر التكوين

---

(١) طه: ٩٠، ٩١.
(٢) طه: ٩٥، ٩٦.
(٣) الصافات ١٢٢.
(٤) الصافات ١٢١.
(٥) سفر العدد ١٢: ١، وسفر الخروج ٢: ١٦ - ٢٢.
(٦) هو سفر راعوث، وعدد إصحاحاته (فصوله) أربعة، ويشغل من ص ٤٢٠ - ٤٢٥ فى طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠م.

ـ أن موآب ـ أصل الموآبيين ـ فرخ زنى، فهو قد نتج من مضاجعة بنت لوط البكر أباها لوطًا النبى ـ حاشاه ـ بعد أن سقته الخمر، فأفقدته وعيه، فواقعته!!

وخلاصة القول تنحصر فى أن نسب داود عليه السلام مطعون فى إسرائيليته؛ بل مطعون فى شرفه وحصانته فى ذات الوقت!!

ويبدو جليا أن النذل الموسخ واضع أسفار العهد القديم الحالية يلح إلحاحًا، ويتهافت تهافتا على تلطيخ شرف داود عليه السلام الذى جمع الله له النبوة والملك معًا، فوصمه بأحط المناكر وأرذلها دركة، ولم يكتف بما مر من اتهامه بأنه سليل زنى، فحدث عن بيت داود، وصوره على أنه زنى وفسوق ودعارة وفجور!!!، لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك.. فهاهم أولاده يزنون بأخواتهم، ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب!! فأمنون ابنه يزنى بأخته ثامار[1]، وبشالوم ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك، فيدخل على نساء أبيه أمام جميع إسرائيل!![2].

هذا عن بيت داود عليه السلام، أما هو نفسه فإن مؤامرة العهد القديم عليه أدهى وأمر، وأشنع وأفحش وأوضر، فهو فى نظر بنى إسرائيل... ماذا أقول؟ إن لسانى لينعقد، وإن قلمى ليكاد يقفز من يدى، وأفضل من أن أقول شيئا أن تقرأ هذا النص الذى أورده سفر صموئيل الثانى، وقد نقلته لك كاملا:

«... وأما داود فأقام فى أورشليم (وقد أرسل جيشه بقيادة موآب ومعه الشعب الإسرائيلى للجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائهم بنى عمون) وكان فى المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً.

فأرسل داود، وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى؟. فأرسل داود رسلا، وأخذها، فدخلت إليه، فاضطجع معها، وهى مطهرة من طمثها!! ثم رجعت إلى بيتها.

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٣: ١ ـ ٢٢.

(٢) سفر صموئيل الثانى ١٦: ٢٠ ـ ٢٣.

وحبلت المرأة!!، فأرسلت، وأخبرت داود، وقالت: إنى حبلى.

فأرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إلى أوريا الحثى. فأرسل يوآب أوريا إلى داود. فأتى أوريا إليه، فسأل داود عن سلامة يوآب، وسلامة الشعب ونجاح الحرب!!!

وقال داود لأوريا: أنزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك، وخرجت وراءه حصة من عند الملك.

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته!! فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لا تنزل إلى بيتك؟

قال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى،وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر!!

وفى الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب فى المكتوب يقول:

اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت!! (ففعل يوآب)...، ومات أوريا الحثى!!...

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها،و لما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته، [1].

وعزى داود بتشبع، ودخل إليها، واضطجع معها، فولدت ابنًا، فدعا اسمه سليمان، والرب أحبه[2]. وأما الأمر الذى فعله داود فَقَبُحَ فى عينى الرَّب»[3].

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١١: ١ ـ ٢٧.

(٢) سفر صموئيل الثانى ١٢ ـ ٢٤.

(٣) سفر صموئيل الثانى ١١: ٢٧.

فالاغتصاب، والزنى، والخيانة، وفقدان المروءة، والتحايل والتخابث والخداع لتغطية جريمة السفاح، ثم قتل أوريا الحثى زوج المرأة، كل ذلك مناكر خسيسة يترفع عنها آحاد الناس وعامتهم، فضلا عن كرامهم وخيارهم وصفوتهم.. فضلا عن سادتهم وأنبيائهم ورسلهم!!

وإن أوريا الحثى زوج بتشبع فى رأى بنى إسرائيل الذين وضعوا أسفار العهد القديم، أشرف، وأوفر نبلا، وأكثر مروءة، وأحسن وفاءً من داود؛ إذ لم يسمح له خلقه وشهامته وإخلاصه أن يذهب إلى بيته ويستمتع بزوجته، بينما جيش إسرائيل - ومعهم تابوت العهد - فى الخيام والخنادق يحاربون. أما داود - عندهم - فرجل غير عابئ بذلك، غير مستشعر لأدنى مسئولية، همه ملذاته ونزواته!!

وانتهى كاتب هذا السفر إلى غايته التى رمى إليها، وهى أن الرب قد قبح فى عينيه جداً ما فعله داود!!، ومن ثم فقد أرسل ناثان إليه ليوبخه ويقرعه ويزجره زجراً شديداً، ويضرب له مثل النعاج، ويتوعده:

«فأرسل الرب ناثان إلى داود، فجاء إليه، وقال له:

كان رجلان فى مدينة واحدة، واحد منهما غنى، والآخر فقير، وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جداً، وأما الفقير فلم يكن له شىء إلا نعجة واحدة صغيرة.

«فجاء ضيف إلى الرجل الغنى، فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذى جاء إليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير، وهيأ للرجل الذى جاء إليه.

«فحمى غضب داود وقال: حَيٌ هو الرب؛ إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك، ويرد النعجة أربعة أضعاف؛ لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق.

«فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل، هكذا قال الرب إله إسرائيل، أنا مسحتك على إسرائيل، وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيت سيدك، ونساء سيدك فى حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا، وإن كان ذلك قليلا كنت

أزيدك.. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه؟؟ !!، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف، وأخذت امرأته لك امرأة.

«والآن. لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احتقرتنى.. هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك.. وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس!!»[1].

يرمى كاتب هذا السفر إلى تأريث عداوة إسرائيل لبيت داود، وأن يجعل ذلك حكما إلهيا، وأن يهيج عليهم، ويؤصل ذلك من الكتاب المقدس!!

أما داود - فى زعمه - فلم ينزجر من كلام الرب وتهديده ووعيده، بل تمادى فى الغى - والعياذ بالله - وعزى بتشبع، ودخل عليها، واضطجع معها، فولدت له ابنا، فدعا اسمه سليمان، والرب أحبه[2].

فسليمان عليه السلام - فى هذا الكتاب الرقيع - ابن هذه المرأة!! التى قتل أبوه رجلها وزنى بها!!

هذا عن داود فى شبابه!!، أما عندما «شاخ الملك داود، وتقدم فى الأيام، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ، فقال له عبيده: ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك، ولتكن له حاضنة، ولتضطجع فى حضنك، فيدفأ مولانا الملك، ففتشوا عن فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا ابيشج الشمونية، فجاءوا بها إلى الملك، فكانت حاضنة الملك!!»[3].

هذا، ولم يكن داود - فى العهد القديم - مشفقا بالضعفاء والمعوقين، بل أقصاهم من مدينة أورشليم [4].

(١) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ١ - ١١.
(٢) سفر صموئيل الثانى ١٢ : ٢٤.
(٣) سفر الملوك الأول ١ : ١ - ٤.
(٤) صموئيل الثانى ٥ : ٨.

وتقابلك فى القرآن الكـريم صورة لداود عليه السلام ـ مقـابلة لهذه الصورة التوراتية الدنسة، فالصورة القرآنية لداود طاهرة القـسمات، وضيئة الملامح . . فهو النبى ذو الأيد، ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١).

قال قتـادة: أعطى داود قوة فى العبـادة، وفقهًا فى الإسلام، وقـد ذكر أنه عليـه السلام كـان يقـوم ثلث الليل ويصـوم نصف الدهر(٢)، وانظر مـــا ورد فى البخارى عن عبادة داود وحُبُّ محمد ﷺ لها (٣).

ولقد كان داود بطلا مقـدامًا فقد قتل عدوّ الله الجـبار جالوت، وقد آتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء:

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ (٤).

وقد أنزل الله عليه زبوراً ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (٥).

وقد آتى الله نبيـه داود حكمًا وعلما، وسـخـر الجبال يسـبحن معـه والطـير مسخر له (٦)، وقد فضله الله على كثير من عباده المؤمنين(٧):

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٨).

﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾(٩).

(١) سورة ص ١٧.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٧ صـ ٤٩، وانظر تفسير القرطبى صـ ١٥٨ جـ ١٥.

(٣) فتح البارى جـ ٦ صـ ٤٥٥.

(٤) سورة البقرة ٢٥١.

(٥) سورة النساء ١٦٣.

(٦) الأنبياء ٧٨/ ٨٠.

(٧) النمل ١٥ ـ ١٦.

(٨) سورة سبأ ١٠ ـ ١١

(٩) ص ١٧ ـ ٢.

أما مثل النعاج الذى ضرب لداود فى القرآن الكريم فى سورة (ص) [1] وقصة تسور المحراب، فلا يسوغ فى العقول الصريحة والفطن المستقيمة أن تفسر هذه الآيات بما جاء فى العهد القديم مما سقناه سابقا من أن داود قد اعتدى على زوجة جنديه أوريا الحثى ثم قتله وضمها إلى نسائه، ثم أنجب منها سليمان عليه السلام.

كيف يسوغ هذا من داود وهو الأواب، ذو الأيد، الذى أعطاه الله فضلا وزبوراً وحكمة وعلمًا وفصل خطاب؟!

كيف يسوغ هذا منه وهو الذى له عند الله زلفى وحسن مثاب؟! وهو الذى سخر الله معه الكون يسبح بتسبيحه؟! هذا لا يجوز إلا فى عقل واضع الكتاب المذكور، لنذالته ورقاعته، وسوء طويته، وفساد فطرته، وخبث غرضه.

ولقد دست هذه القصة الإسرائيلية فى بعض كتب التفسير، وينبغى أن نذكر هنا ما كتبه العلامة الحافظ ابن كثير:

«وذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات،ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه،ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين إلا أنه ضعيف عند الأئمة.

الأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عزوجل، فإن القرآن حق، وما تضمنه فهو حق أيضا»[2].

هذا،وقد جاء ذكر داود عليه السلام فى عدة مواضع من القرآن الكريم [3]، كلها مقرونة بالثناء والتبجيل والإكرام له من ربه عز وجل.

---

(1) سورة ص ٢١ ـ ٢٦

(2) تفسير القرآن العظيم، جـ ٧ صـ ٧١.

(3) انظر: سورة البقرة ٢٥١، النساء ١٦٣، المائدة ٧٨، الأنعام ٨٤ الإسراء ٥٥، الأنبياء ٧٨ ـ ٨٠، النمل ١٥ ـ ١٦، سبأ ١٠ ـ ١١ص ١٧، ٢٤، ٢٦، ٣٠.

(٩) سليمان عليه السلام، فى التوراة والقرآن.

أم سليمان عليه السلام فى رأى واضع العهد القديم هى بتشبع المرأة التى زنى بها داود عليه السلام!!

وقد عاش سليمان ـ حسب افتراء كتب العهد القديم ـ مسرفًا مرتابًا إلى حد السفه الذى لا يعقل ولا يصدق، ومن عجب أن كتاب العهد قد ألحوا فى ذكر هذه المسألة:

«كان طعام سليمان لليوم الواحد ثلاثين كرسميذ، وستين كر دقيق، وعشرة ثيران مسمنة، وعشرين ثورًا من المراعى، ومائة خروف ما عدا الأيائل والظباء واليحامير والأوز المسمن»[(١)].

ليس هذا كل ما انقدحت به فطنة واضع سفر الملوك، لكنه سار فى شوط محاولة تلطيخ شرف الرسل الكرام إلى غاية مداه، فوصم سليمان عليه السلام، بالارتياب والشرك وعبادة الأوثان والإعراض عن دين آبائه الأئمة الهداة؛ نزولا على رغبات زوجاته الوثنيات المشركات:

«وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون: مؤابيات، وعمونيات، وأدوميات، وصيدونيات، وحثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل: لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتكم».

«فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه».

«فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين، ومولك رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه»

---

(١) سفر الملوك الأول ٤: ٢٢ ـ ٢٣.

«حينئـذ بنى سليمان مـرتفعة لكمـوش رجس المآبيين على الجـبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن».

«فغـضب الرب على سليـمان؛ لأن قلبـه مال عن الرب إله إسـرائيل الذى تراءى له مـرتين، وأوصاه فى هذا الأمـر أن لا يتـبع آلهة أخـرى، فلم يحفظ مـا أوصى به الرب».

«فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلـك عندك، ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بهـا فإنى أفرق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعـبدك؛ إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك، بل مـن يد ابنك أمزقـها، على أنى لا أفـرق منك المملكة كلهـا؛ بل أعطى سـبطًا واحـدًا لابنك؛ لأجل داود عبـدى، ولأجل أورشليم التى اخترتها»(١).

يضع كاتب هذا السفر مقدمات تؤدى إلى النتـائج التى قصد إليها، فسليمان عليه السلام ـ حسب افتراءاته ـ قد استهان بالـرب وتعاليمه الصريحة القاضية بعدم التزوج من هذه القبائل حتى لا تميل قلوب شعب إسرائيل إلى أوثانها وأرجاسها.. فتـحدى سليمان هذه النواهى وتعـدى حدود الله وتزوج منهاليس زوجـة أو اثنتين لكن سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية!!

وقد أحبهن حبًا طار له عقله وصوابه، خصوصا فى حال شيخوخته. ونسى النذل الرقيع كاتب السفر ـ أن هذه فترة النضج والاستقرار العاطفى والنفسى، فلم يكن قلب سليمـان خالصا مع الرب.. فهـو لم يحفظ عهده وفـرائضه ووصاياه، وأشرك به أوثان القبائل الأخرى وأرجاسها!!

فينزل سليمـان عند رغائب زوجاته الوثنيات ونزواتهن، فيبنى لآلهـتهن بيوتًا وهياكل مقابل هيكل الرب فى أورشليم (مع ملاحظة أن الذى بنى هيكل الرب فى أورشليم هو سليمان نفسـه عليه السلام حسبما جاء فى كتـبهم)، ويذبح لها ويوقد ويتقرب!! إلـى أن غضب الرب عليه فذكـره وأوصاه وحذره مرتين من مـغبة هذا

(١) سفر الملوك الأول ١١: ١ ـ ١٣.

التصرف الشائن!!، بيد أن سليمان عليه السلام ـ عند واضع العهد القديم ـ يتمادى فى فعل الشر فى عينى الرب ولا يبالى بغضب الرب أو رضاه!!.

وهنا يكشف واضع هذه الكتب الفريسى الكاذب غرضه من تلطيخ بيت داود وسليمان وهو انتزاع كرسى المملكة منهم!!ليتوسَّد سدتها مكانهم!!، إذ عاقبة اجتراح السيئات وتضييع عهد الرب هى تمزيق المملكة من أيديهم وانتزاعها منهم.. وهنا يحقق الفريسي الخبيث واضع العهد القديم غرضه الدنيء من مؤامرته على بيت داود عليه السلام.

وقد حلل لنا هذه المؤامرة خبير بخصائص النفس الإسرائيلية، وأحد كبار أحبارهم ـ بعد إسلامه ـ فى كتابه الرائع «إفحام اليهود» (١).

والأمر إذًا بيِّن جليٌّ:

«قال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك وأنك لم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا»، وقد تكررت هذه الفقرة فى أسفار العهد القديم مرات؛ حتى يظهر لشعب إسرائيل أن سلب الملك من بيت داود هو حكم الله تعالى!! وليس مؤامرة الفريسيين مزورى التوراة وخصوم الأنبياء أجمعين، ومفسدى ديانة عيسى بواسطة بولس السلِّيح، فليس بغريب عليهم ولا عجيب منهم أن يتآمروا على بيت داود لسلب الملك منهم.

والحق أن واضعى هذا الكتاب لم تقتصر مؤامراتهم على داود وبيته وآله فحسب، لكنها امتدت فشملت الأنبياء جميعا، وما ذلك إلا لزندقتهم وإلحادهم وكراهتهم للأديان،وليس هناك طريق أنجح فى الطعن على الأديان من الطعن فى الأنبياء الذين بلَّغوها للناس، فهذا مقصدهم ـ قاتلهم الله ـ . وقد شهد بذلك عيسى عليه السلام ـ فيما نسب متَّى إليه فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيله.

---

(١) وقد أغاظ هذا الكتاب الوثيقة ـ اليهود، وأقامهم ولم يقعدهم؛ حتى ألف فيلسوفهم المعروف بسعد بن منصور بن كمونة فى القرن السابع الهجرى كتابًا فى الرد على (إفحام اليهود) أسماه: «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث» وقد نشره المستشرق اليهودى الأمريكىMoshe Parlmann فى لوس انجلوس سنة ١٩٦٧م، ثم أعادت دار الأنصار تصويره ونشره بالقاهرة.

وقد نسب العهـد القديم إلى سليمان عليـه السلام سفراً داعـراً ماجنًا يترفع أراذل الشعراء عن التدنى إلى رقاعته، وسأقدم نموذجا واحدا منه يقفك أيها القارئ الكريم على زندقـة واضعي هذه الكتب وخـذلانهم، ينسبـون إلى سليمـان الغزل التالى فى حبيبته:

«ما أجمل ـ رجليك بالنعلين! . .

داوئر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع!

سرتك كأسٌ مدورة لا يعوزها شراب ممزوج!

بطنك سبرة حنطة مسيجة بالسوسن!

ثدياك كخشفتين توأمى ظبية!

عنقك كبرج من عاج!!

عيناك كالبرك فى حبشون عند باب بث ربِّيم!!

أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق!

رأسك عليك مثل الكرمل!

وشعر رأسك كأرجوان!

ملك قد أسر بالخصل!

ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات!!

قامتك شبيهة بالنخلة، وثديك بالعناقيد!!

قلت؛ إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها!!

وتكون ثدياك كـعناقيد الكرم. . ورائحـة أنفك كالتـفاح. . وحنكك كـأجود الخمر!!

حبيبتى السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين»[1].

---

(١) سفـر نشيد الإنشاد، الإصـحاح السابع ١ ـ ٩ صـ ٩٩٠ من طبـعة البروتستـانت بالقاهرة ١٩٧٠م.

هذا أمر طبيعى عند الفريسى كاتب هذا السفر؛ لأنه قال إن لسليمان ألف امرأة.. كلهن قد أملن قلبه إليهن وإلى أوثانهن فأشرك بالله ـ حاشاه ـ وفات هذا الكاتب الرقيع أن يذكر لنا فى أى واحدة منهن نظم سليمان، عليه السلام، هذا الغزل المكشوف؟!

هذه صورة سليمان عليه السلام فى العهد القديم..

أما فى القرآن الكريم فقد ورد ذكر سليمان عليه السلام فى أكثر من سورة[1]، وهو فى القرآن الكريم عبد أواب:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [2]، وله عند الله زلفى وحسن مئاب: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[3].

وقد سخر الله له الريح والجن وعلمه منطق الطير، وأثنى عليه وعلى والده، وآتاهما علما وحكمة وآتاه فهما من لدنه:

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [4] ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [5]

وسليمان كان رسولا فكيف يتهم بالشرك أو الكفر: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾[6].

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ

---

(١) البقرة/ ١٠٢. النساء/ ١٦٣، الأنعام/ ٨٤، الأنبياء /٧٨ ـ ٨٢، النمل/ ١٥ ـ ٤٤ سبأ/ ١٢ ـ ١٤و ص/ ٣٠ ـ ٤٠.

(٢) ص ٣٠.

(٣) ص ٤٠.

(٤) الأنبياء ٧٩.

(٥) سورة الأنبياء ٨١ ـ ٨٢.

(٦) سورة البقرة ١٠٢.

عباده الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (١).

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢).

هذه صورة سليمان (٣) فى القرآن الكريم، كل آية تضفى قسمة من قسمات الجلال والوقار والإيمان، والأوابية لله عز وجل، وتظهر اصطفاء الله له، وإنعامه عليه، وتبشره بما أنعم الله عليه من الزلفى والمثاب الحسن.

وهكذا فإن صورة رسل الله عليهم السلام، فى القرآن الكريم وحى الله المحفوظ بحفظه تعالى، وفى العهد القديم الذى افتراه الكتبة الفريسيون ونسبوه إلى الله ـ وما هو من عند الله ـ صورتان متقابلتان متناقضتان متضادتان، لا تلتقيان ولا تتقاربان. . كما لا يلتقى الإيمان والعز والطاعة والإمامة والطهر، مع الشرك والصغار والتسفل والمجون!!، وكما لا يلتقى الوحى المعصوم مع الكذب والافتراء!!

اصغ مرة أخرى إلى القرآن وهو يتحدث عن رسل الله بالتبجيل والإكبار:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ

(١) النمل ١٥ ـ ١٦

(٢) سبأ ١٢ وانظر الآيات إلى ٤٤

(٣) يزعم فيلسوف اليهود ابن كمونة فى «تنقيح الأبحاث»: أن داود وسليمان لم يكونا رسولين بل كانا ملكين فحسب، ونقول: نصوص العهد القديم ذاتها لا تؤيد ابن كمونة فى دعواه؛ لأنه أراد أن يبرر اتهام التوراة لهما بالزنى والفواحش فنفى النبوة عنهما؛ لأنه أيسر عنده من الاعتراف بتحريف التوراة!!

مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (١).

وتبقى نقطة أخيرة مهمة، هى كيفية التعرف على الأنبياء فى العهد القديم، وخصوصا أن هذا الكتاب لا يعيِّن الأنبياء تعيينا واضحًا؛ كما أنه يحدثنا عن ظهور أنبياء كذبة كثيرين (٢) يجعل تمييز النبى الصادق من الدعى أمراً يحتاج إلى نظر وتدبر، وعلى كل حال فقد وردت عبارات تصف بعضهم بالنبوة صراحة، مثل «أخيا» (٣) و«حننيا» (٤)، وعبارات يفهم منها ذلك مثل عبارة:

«روح الله حلت عليه» (٥) و «كلام الله فى فمه» (٦) و «قول الرب صار إليه» (٧)و «وكلَّمه الله» (٨). وهنالك نفر قد نسب إلى كل منهم سفر باسمه وأطلق على جملة هذه الأسفار:

«أسفار الأنبياء» إشارة إلى أنهم كانوا أنبياء.

والحق أن ما جاء فى هذه الكتب عن رسل الله الكرام لهو خير دليل وثائقى على تحريف هذه الكتب وتزويرها؛ لأنه قد ثبت أن هؤلاء أنبياء، والأنبياء لا تكون أخلاقهم كما جاء فى هذه الكتب قطعا؛ فما جاء فى هذه الكتب بشأن الأنبياء ـ موضوع محرف بالضرورة الملزمة.. والله المستعان.

---

(١) سورة الأنعام: ٨٣ ـ ٩٠.

(٢) سفر الملوك الأول ١٨: ١٩، سفر ارميا ٢٣: ١٣ ـ ١٦، ٢٣: ٢٥ ـ ٣٢، ٢٧: ١٤ ـ ١٥، سفر حزقيال ١٣: ٣ ـ ٤، ١٣: ١٧ ـ ١٩.

(٣) سفر الملوك الأول ١٤ ـ ٢.

(٤) أرميا ٢٨: ١، ٢٨ ٠ ١٥.

(٥) صموئيل الأول ١٠/١٠.

(٦) أرميا ١:٩.

(٧) هوشع ١٠١.

(٨) خزقيال ١:٧، ١٢: ١، ١٣: ١ ـ ٢.

الفصل العاشر

مقومات الشخصية الإسرائيلية
فى
التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم

(١) اختيار إسرائيل وتفضيلهم على العالمين: متى؟ ولماذا؟

هذه المسألة (مسألة اصطفاء بنى إسرائيل واختيارهم الإلهى، وتفضيلهم على العالمين) مسألة دقيقة تترتب عليها آثار وأحكام، ومن ثم فهى تحتاج إلى تجلية وبيان، ذلك أن القرآن الكريم، والتوراة الحالية قد نطقا بهذا التفضيل الإلهى لبنى إسرائيل وحكما به صراحة.. جاء فى القرآن الكريم قوله عز من قائل:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(١).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤).

تقطع هذه الآيات الكريمة بأن الله تعالى قد أنعم على بنى إسرائيل، وفضلهم واختارهم – على علم منه سبحانه ـ على العالمين.. فهم مختارون مفضلون من الله على العالمين.

أما التوراة الحالية وبقية أسفار العهد القديم فقد أوردت نصوصا تفيد أن بنى إسرائيل شعب مختار مفضل، جاء فى سفر التكوين:

«أما موسى فصعد إلى الله، فناداه الرب من الجبل قائلا: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل: الآن. إن سمعتم لصوتى، وحفظتم عهدى، تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لى كل الأرض... وأنتم تكونون لى مملكة مقدسة»(٥).

---

(١) سورة البقرة/ ٤٧، ١٢٢

(٢) سورة الجاثية/ ١٦

(٣) سورة الدخان/ ٣٢.

(٤) سورة الأعراف/ ١٤٠، وانظر سورة غافر آية/ ١، فقد أورث الله بنى إسرائيل الكتاب.

(٥) سفر التكوين ١٩: ٣ ـ ٦.

وجاء فى سفر تثنية الاشتراع: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من بين جميع الأمم التى على الأرض»(١).

وجاء فى سفر الأحبار:

«أنا الرب إلهكم الذى فرزكم من بين الأمم»(٢).

واضح من نصوص التوراة أن الله قد اصطفى بنى إسرائيل، واختارهم وفرزهم شعبا خاصا مقدسا له من بين جميع الأمم!

لكن ما نوع هذا التفضيل والاصطفاء والاختيار على العالمين؟

أهو مطلق أم مشروط مقيد؟

من تأمل الآيات القرآنية الكريمة، وتأمل النصوص التوراتية نقف على حقيقة مهمة.. هى أن هذا الاختيار أو الاصطفاء والتفضيل كان مقيدا مشروطا.. فهو لا يتحقق إلا بتحقق شرطه، وهو الإيمان بالله وطاعته، والوقوف عند أمره ونهيه، أى حفظ عهد الله الذى عاهدهم به، ورعاية ميثاقه الذى واثقهم به، فإن فعلوا ذلك كانوا شعبا مختارا مفضلا وإن لم يفعلوا فليس ثمة اصطفاء لهم أو تفضيل.

جاء فى سفر الخروج فى كلام موجه من الرب إلى موسى: «هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل: إن سمعتم لصوتى، وحفظتم عهدى، تكونوا لى خاصة من بين جميع الشعوب(٣).

وورد فى سفر التثنية:

«.. ويجعلك الرب رأسا لا ذنبا، وتكون فى الارتفاع فقط، ولا تكون فى الانحطاط، إذا تسمع لوصايا الرب إلهك التى أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل،

---

(١) سفر التثنية ٧:٦.

(٢) سفر اللاويين ٢٠/ ٢٤.

(٣) الخروج ١٩: ٣ ـ ٥.

ولا تزيغ عن جميع الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم يمينا أو شمالا؛ لكى تذهب وراء آلهة أخرى لتعبدها»(١).

«ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك تأتى عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك: ملعونا، تكون فى المدينة: وملعونا تكون فى الحقل، ملعونة تكون سلتك ومعجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك، ملعونًا تكون فى دخولك: وملعونا تكون فى خروجك، يرسل الرب عليك اللعنة: يلصق بك الوباء حتى يبيدك عن الأرض.. يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك فى طريق واحدة تخرج عليهم، وفى سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قلقا فى جميع ممالك الأرض: وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ووحوش الأرض، وليس من يزعجها»(٢).

وقد أكد سفر الملوك الأول ذلك المعنى، إذ جاء فيه: «إن انقلبتم وأبناؤكم من ورائى، ولا تحفظون وصاياى وفرائضى التى جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى، وتسجدون لها، فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض: والبيت الذى قدسه لاسمى أنفيه من أمامى - ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب: ويقول: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذى أخرج آباءهم من مصر، وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها!! وعبدوها - لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر»(٣).

أما القرآن فقد أكد فى آيات كثيرة أن الله - تعالى - قد عاهد بني إسرائيل وواثقهم. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ (٤).

---

(١) التثنية ٢٨/١٢ : ١٤.

(٢) سفر التثنية ٢٨ : ١٥ - ٢٦.

(٣) سفر الملوك الأول ٩: ٦ - ٩.

(٤) سورة البقرة: آية ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1].

فالأمر إذًا ـ أمر اختيارهم واصطفائهم ـ رهن بحفظ عهد الله ـ والوفاء بميثاقه ـ فهل حفظ بنو إسرائيل العهد والتزموا بالميثاق؟.

الواقع أنهم ـ حسب ما جاء فى أسفار العهد القديم، والقرآن الكريم، لم يحفظوا عهد ربهم بل ضيعوا وتنكبوا صراطه ـ وأشركوا به ـ وعبدوا الأصنام، وتركوا أوامره، وتعدوا حدوده ـ وقد أفاضت كتبهم فى تسجيل هذه الوقائع ورصدها وكشفها على ما سنذكره منها ـ إن شاء الله ـ ومن ثم قد فقدوا استحقاقهم الاصطفاء والاختيار على العالمين. فإنه كان ابتلاء واختبارا لهم [2]. ولم ينجحوا فى هذا الاختبار، وسقطوا سقوطا ذريعا مريعا. ومن مقتضيات إقامة التوراة الإيمان بالرسول الذى بشرت به وهو محمد ﷺ فهل فعلوا؟!

(٢) - مغزى التوافق بين النصوص القرآنية والتوراتية فى هذه المسألة:

الحق أن آيات القرآن الكريم لتتفق فى هذه النقطة مع نصوص التوراة الحالية اتفاقا واضحا، مما يؤكد أن ما ورد فى أسفار التوراة الحالية حول هذه المسألة، مسألة تعليق اصطفاه الله لبنى إسرائيل وتفضيلهم على العالمين، واختيارهم على العالمين، على حفظ عهد الرب، والوفاء بميثاقه، وأنهم لم يحفظوا، بل فرطوا وضيعوا فخسروا بذلك حقهم فى الاصطفاء والاختيار على العالمين، مما يؤكد أن مضمون ما جاء فى أسفار التوراة الحالية ـ فى هذه المسألة بالذات ـ فيه بقية باقية من وحى الله تعالى، وأثارة من النبوة ولا ريب.

وإذا كانت القاعدة أن ما صدقه القرآن ـ مما جاء فى كتبهم ـ صدقناه وما كذبه كذبناه، وما سكت عنه سكتنا عنه: فلا نصدق به أو نكذب[3]. فلا ضير

(١) سورة البقرة: آية ٨٣. وانظر: البقرة ٨٥ـ،٨٦.

(٢) اقرأ الآيتين ٣٢، ٣٣ من سورة الدخان.

(٣) قال العلامة ابن حزم ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الفصل» جـ١ ص٣١٩ ط: الرياض «ما نزل القرآن والسنة بتصديقه صدقنا به ـ وما نزل النص بتكذيبه ـ أو ظهر كذبه كذبنا به، وما لم ينزل نص تصديقه أو تكذيبه، وأمكن أن يكون حقًا أو كذبا لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما أمرنا =

علينا إن قلنا: إن كلام التوراة هنا فيه بقية من وحى، وأثارة من نبوة، وسيأخذك العجب من هذا الوفاق بين نصوص قرآنية وتوارتية كثيرة حول هذا الموضوع - سنوردها فى مكانها - إن شاء الله - من هذا البحث.

أما هذا الوفاق فإنه غير قادح - ألبتة - فى الحكم بتحريف التوراة وتغييرها وتزييفها؛ ذلك أننا لم نقل إن جميع هذا الكتاب المسمى التوراة: بجميع أسفاره وفقراته وكلماته وحروفه وألفاظه قد بدله أحبار بنى إسرائيل وغيروه وزيفوه لكننا نقول: إن أحبارهم قد حرفوا هذه التوراة تحريفا لفظيا وذلك بالزيادة فى مواضع، والحذف والنقص من مواضع والتبديل فى مواضع، كما حرفوه تحريفا معنويا، وهذا يكفى فى اسقاط حجيته تماما وإثبات بشريته ووضعه. وعلى ذلك فلا مانع من أن تبقى آثار نصوص فيه لم يغيرها التحريف، أو لم يطمسها كلية. ومقياسنا للحكم على ذلك وتبيينه هو تصديق القرآن الكريم، وموافقته له. وما يقال فى التوراة يقال - كذلك - فى الإنجيل والله أعلم.

=رسول الله : ﷺ أن نقوله. وجاء فى فتح البارى للحافظ ابن حجر العسقلانى جـ ٨ ص ١٧٠ فى شرح قوله «لا تصّدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، أى: إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون فى - نفس الأمر - صدقا فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه، فتقعوا فى الحرج: ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه. ويقول الإمام شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية جـ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: «إن المسلمين لا يدعون أن كل نسخة فى العالم من زمن محمد ﷺ بكل لسان من التوراة والإنجيل والزبور بدلت ألفاظها، فإن هذا لا أعرف أحدا من السلف قاله، وإن كان من المتأخرين من قد يقول ذلك، كما فى المتأخرين من يجوز الاستنجاء بكل ما فى العالم من نسخ التوراة والإنجيل، فليست هذه الأقوال ونحوها من أقوال سلف الأمة وأئمتها. . ثم يسوق محاورة عمر - رضى الله عنه لكعب الأحبار لما رأى بيده نسخة من التوراة، إن كنت تعلم أن هذه هى التوراة التى أنزلها الله على موسى فاقرأها، فعلق الأمر على ما يمتنع العلم به، و لم يجزم بأن ألفاظ تلك مبدلة؛ لما لم يتأمل كل ما فيها.

والقرآن والسنة المتواترة يدلان على أن التوراة والإنجيل الموجودين فى زمن النبى ﷺ فيهما، مما أنزله الله - عز وجل - والجزم بتبديل ذلك فى جميع النسخ التى فى العالم متعذر، وانظر: ما ذكره الحافظ المؤرخ المفسر ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٦٢ ط: القاهرة: نشر: مكتبة الفلاح بالرياض.

(٣) مقومات الشخصية الإسرائيلية فى أسفار العهد القديم:

إن المرء ليأخذه العجب مذاهب بعيدة حين يعلم أن توراة بنى إسرائيل الحالية تعتبر سجلا دقيقا ومفصلا لشرورهم، وآثامهم، وصمم آذانهم عن صوت الله، ومخالفتهم شريعته، وخيانتهم لعهده، بل كفرانهم به، وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه، وقتل أنبيائه فى أطوار تاريخهم. فما من سفر من أسفارهم إلا يزخر بعبارات السخط والغضب التى صبها الله على بنى إسرائيل صبا فى كل عهودهم منذ أن أخرجهم الله من مصر، إلى أن أهلكهم بظلمهم، وقضى بخراب بلادهم، وتقطيعهم فى الأرض؛ جاء فى سفر الخروج:

«قال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب، فإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم»[١].

وجاء فى سفر العدد:

وقال الرب لموسى:

«حتى متى يهيننى هذا الشعب؟! وحتى متى لا يصدقوننى؟! بجميع الآيات التى عملت فى وسطهم، إنى أضربهم بالوباء وأبيدهم»[٢].

وكلم الرب موسى وهارون قائلا:

«حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على؟! قل لهم: حى أنا، ويقول الرب، لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى.. فى هذا القفر تسقط جثثكم.. أنا الرب: قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة علىّ.. فى هذا القفر يفنون ويموتون»[٣].

فهذا حكم الله على بنى اسرائيل بأنهم متصلبو الرقاب، قساة القلوب، شريرون متذمِّرون على الله، متفقون على عصيانه، ومن ثم كان وعيد الله لهم

---

(١) سفر الخروج ٣٢: ٩ ـ ١٠.

(٢) سفر العدد ١٤: ١١ ـ ١٢.

(٣) سفر العدد ١٤: ٢٦ ـ ٣٥.

شديدا.. فمن ضرب بالوباء.. إلـى غضب يحل عليهم.. إلى إفنائهم، وإبادتهم في القفر.

وجاء في سفر التثنية ما يؤكد ذلك ويوثقه:

«فـاعلم أنه ليس لأجل برك (يا شـعب إسـرائيل) يعـطيك الرب إلهك هذه الأرض.. لأنك شعب صلب الرقبة!!

اذكر.. لا تـنسى كيف أسـخطت الرب: إلهك في البرية!! من اليـوم الذى خرجت فيه من أرض مصر، حـتى آتيتم إلى هذا المكان. كنتم تقاومون الرب حتى في حوريب أسخطتم الرب عليكم؛ ليبيدكم[1].

وخاطب الله بنى إسرائيل قائلا:

جيل أعوج ملتو.

الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم؟!!.

سمنت وغلظت واكتسيت شحما!!.

أغاوره بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس.. ذبحوا لأوثان ليست لله، لآلهة لم يعرفـوها ـ إنهم جيل مـتقلب!! أولاد لا أمـانة لهم!! هم أغارونى بما ليـس إلها، أغاظونى بأباطيلهم!!..

إنه قد اشتعلت نار بغضبى.. فأجمع عليهم شرورا، وأنفذ سهامى فيهم.

قلت: أبددهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم!!

إنهم أمـة عديمـة الرأى!!، لا بصيـرة فيـهم!!.. لو عـقلوا لفطنوا.. وتأملوا آخرتهم!![2].

إنهم حسب مـا جاء في كتابهم المقـدس ـ جيل أعوج، جيل مـتقلب، إنهم

---

(١) سفر التثنية ٩: ٦ ـ ٨.

(٢) سفر التثنية ٣٢: ٥ ـ ٢٩.

شعب غبى، غير حكيم، إنهم أمة عديمة الرأى، لا بصيرة فيهم، وأنهم أغاظوا ربهم بعبادة الأوثان، فتوعدهم أشد وعيد، توعدهم بتبديدهم إلى زوايا الأرض، وإبطال ذكرهم من الناس!!

هذا، وقد فصل سفر التثنية ما توعدهم الله به؛ فجاء فيه:

«يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب.. لا تنجح فى طزفك، بل لا تكون إلا مظلوما مغصوبا كل الأيام.. وتكون دهشا ومثلا وهزأة فى جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.. الغريب الذى فى وسطك يستعلى عليك متصاعدا، وأنت تنحط متنازلا، هو يكون رأسا وأنت تكون ذنبا!!

وتأتى عليك جميع هذه اللعنات، وتتبعك وتدكك حتى تهلكك؛ لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحفظ وصاياه وفرائضه التى أوصاك بها، **فتكون فيك آية وأعجوبة!! وفى نسلك إلى الأبد!، تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك،** فيجعل سير حديد على عنقك حتى يهلكك!!

يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة، ضربات راسخة، حتى يهلكك، فتبقون نفرا قليلا[1].

وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، **كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم، فتستأصلون[2] من الأرض، ويبددك الرب فى جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصائها[3].!!.. لا تطمئن، ولا يكون قرار لقدمك.. وترتعب ليلا ونهارا، ولا تأمن على حياتك.. يردك الرب إلى مصر فتباعون هناك لأعدائك عبيداً وإماء.**

هذا حال بنى إسرائيل، وموسى - عليه السلام - بين ظهرانيهم، والتوراة تتنزل عليهم، وقد ازداد حالهم السيئ سوءا من بعده، فانتكسوا وارتكسوا، وقد سجلت كتبهم ذلك فى نصوص مطولة مفصلة، نكتفى بإيراد نماذج منها، فقد جاء فى سفر الملوك الأول:

---

(١)، (٢) اقرأ قول الله تعالى فى سورة الأعراف: آية ١٦٧: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾

(٣) اقرأ قول الله تعالى فى سورة الأعراف: ١٦٨: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾.

«وكان أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون، واتقوا آلهة أخرى - يعنى أشركوا به - وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم».

«وعمل بنو إسرائيل سرا ضد الرب إلههم أمورًا ليست بمستقيمة، وبنوا لأنفسهم مرتفعات (هياكل لعبادة الأوثان) فى جميع مدنهم، وأقاموا لأنفسهم أنصابًا وسوارى (للأصنام) على كل تل عال، وتحت كل شجرة خضراء!!

وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم وعملوا أمورا قبيحة لإغاظة الرب!! وعبدوا الأصنام التى قال لهم الرب عنها: لا تعملوا هذا الأمر.

«وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا - شطرى مملكة بنى إسرائيل بعد سليمان - على يد جميع الأنبياء، وكل راء قائلا:

ارجعوا عن طرقكم الرديئة، واحفظوا وصاياى وفرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم، والتى أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء، فلم يسمعوا!! بل صلَّبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم، وساروا وراء الباطل!! وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم، الذين أمرهم الرب ألا يعملوا مثلهم وتركوا جميع وصايا الرب إلههم!!

«وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين، وعملوا سوارى، وسجدوا لجميع جند السماء، وعبدوا البعل، وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار، وعرفوا عرافة، وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته!!

فغضب الرب جدا على إسرائيل، ونفاهم من أمامه، ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده، ويهوذا - أيضا - لم يحفظوا وصايا الرب إلههم!؛ بل سلكوا فى فرائض إسرائيل التى عملوها!!

«فرذّل الرب كل نسل إسرائيل، وأذلهم، ودفعهم ليد ناهبين، حتى طردهم من أمامه لأنه شق إسرائيل بيت داود، فملكوا يربعام بن نباط، فأبعد يربعام إسرائيل من وراء الرب، وجعلهم يخطئون خطيئة عظيمة، وسلك بنو إسرائيل فى جميع خطايا يربعام التى عمل، ولم يحيدوا عنها، حتى نحى الرب إسرائيل من أمامه، كما تكلم عن جميع عبيده الأنبياء» (١).

وماذا عمل يربعام بن نباط هذا؟

«عمل يربعام عجلى ذهب وقال لهم: كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم. هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع واحداً فى بيت إيل، وجعل الآخر فى دان، وعمل يربعام عيداً فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر كالعيد الذى فى يهوذا».

وقد سار ملوك بنى إسرائيل على سنة يربعام، كما سجل ذلك فى أسفارهم التى يقدسونها، وملك «ناداب بن يربعام» على إسرائيل، . . . وعمل الشر فى عينى الرب، وسار فى طريق أبيه، وفى خطيئته التى جعل بها إسرائيل يخطئ».

من أجل خطايا (زمرى) التى أخطأ بها بعمله الشر فى عينى الرب، وسيره فى طريق يربعام، ومن أجل خطيته التى عمل بجعله إسرائيل يخطئ»(٢).

«وعمل (عمرى) الشر فى عينى الرب، وأساء أكثر من جميع الذين قبله، وسار فى جميع طريق يربعام، وفى خطيئته التى جعل بها إسرائيل يخطئ لإغاظة الرب إله إسرائيل بأباطيلهم»(٣).

---

(١) سفر الملوك الأول ١٧ : ٧ ـ ٢٣ بعد موت سليمان انقسمت مملكة إسرائيل إلى شطرين (إسرائيل ويهوذا) ملك رحبعام بن بن سليمان على يهوذا،وملك يربعام بن نباط، وهو ليس من بيت داود على إسرائيل، وقد أشرك يربعام، وبنى أوثانا وهياكل،ودعا بنى إسرائيل لعبادتها فأجابوه وأعانوه وتسارعوا إلى باطله.

(٢) سفر الملوك الثانى ١٢ : ٢٨ ـ ٣٢،وقد تابع ملوك بنى إسرائيل يربعام على بدعته السيئة هذه، ولم يتناهوا عن هذا المنكر!!

(٣) سفر الملوك الأول ١٥ : ٢٥ ـ ٢٦.

وعمل «أخاب» الشر في عيني الرب أكثر من جميع الذين قبله، وكأنه كان أمرا زهيدا سلوكه في خطايا يربعام، حتى اتخذ إيزابل ابنه اشبعل ملك الصيدونيين امرأة، وسار وعبد البعل، وسجد له، وأقام مذبحا للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة، وعمل آخاب سواري، وزاد في العمل لإغاظة الرب، أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله.

ولا يتصور القارئ الكريم أن حال مملكة يهوذا كان أفضل من حال مملكة إسرائيل، وأن ملوكهم وشعبهم كانوا أمثل من أولئك، جاء في سفر الملوك الثاني: تكلم الرب عن يد عبيده الأنبياء: من أجل أن منسى ملك يهوذا قد عمل الأرجاس، وأساء أكثر من جميع الذي عمله الأموريون الذين قبله، وجعل - أيضا - يهوذا يخطئ بأصنامه... ؛ لذلك قال الرب:

ها أنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا.. حتى إن كل من يسمع به تطن أذناه!! وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن، يمسحه ويقلبه على وجهه[٢]!!!؛ لأنهم عملوا الشر في عيني، وصاروا يغيظونني من اليوم الذي خرج فيه آباؤهم من مصر [٣] إلى هذا اليوم[٤].

من اليوم الذي خرج فيه بنو إسرائيل من أرض مصر، ووطئت أقدامهم أرض سيناء قاصدين الأرض الموعودة أو الأرض المقدسة. . أرض فلسطين، وهم يعملون الشر في عيني الرب ليغيظوه إلى اليوم الذي كتبت فيه أسفارهم هذه،

---

(١) تأمل - في ضوء هذه العبارة - ما وقع لأورشليم على يد بختنصر والبابليين، وعلى أيدى الرومان قبل ميلاد المسيح عليه السلام - وبعده!!، واقرأ صدر سورة الإسراء.

(٢) تأمل هذه العبارة في ضوء قوله تعالى في سورة الأعراف/ ١٣٨ : ﴿وجاوزْنا بنِي إسْرائيل الْبحْر فأتوْا علىٰ قوْمٍ يعْكُفُون علىٰ أصْنامٍ لَّهُمْ قَالُوا يا مُوسى اجْعل لَّنا إلهًا كما لهُمْ آلِهةٌ قال إنَّكُمْ قوْمٌ تجْهلُون﴾

(٣) سفر الملوك الثاني٢١ : ١ - ١٥ . والعجيب الغريب أن مملكة إسرائيل التي حكمها يربعام - وهو عبد لسليمان عليه السلام -، لن يحكمها ملك على دين موسى وشريعة التوراة، فمنذ قيامها - بعد موت سليمان - وإلى زوالها، وهي على الكفر والوثنية والارتداد عن ديانة موسى!! أما مملكة يهوذا فكان حالها مذبذبا بين الإيمان والكفر، وإن كان الكفر عليها غالبا!!

انظر فصل: «نقد سند التوراة» من هذا الكتاب.

وتذكر كتبهم أنهم لم يتوقفوا عن عمـل الشر فى عين الرب لإغاظته - حسب تعبير العهـد القديم - لكـنهم تمادوا فى الغى والعدوان، ومن ثم أنذرهم الله وتـوعدهم وكشف عن جانب مما سينالهم من عقاب... فكانت النذارة حاسمة، وكان الوعيد أليمًا.. اقرأ ما جاء فى سفر أرمياء أحد أنبيائهم:

«ها هى أيام تأتى، يقول الرب:

تصيـر جثث إسـرائيل أكلا لطيـور السماء ولوحـوش الأرض...، وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الـطرب، وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس؛ لأن الأرض تصير خرابًا»(1).

«وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى (حـيوانات تعيش فى المدن الخربة المهجورة)، ومدن يهوذا أجعلها بلا ساكن!

ها أنذا أطعم هذا الشعب افسنتينا، وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم فى أمم لم يعـرفـوها هم ولا آباؤهم»!!، وأطلق وراءهم السـيف حـتى أفنيـهم لأجل تركـهم شريعتى التى جعلتها أمامهم،ولم يسمعوا لصوتى، ولم يسلكوا بها؛ بل سلكوا وراء عناد قلوبهم!! وراء البعليم التى علّمهم إياها آباؤهم.. هاأنذا..»(2).

وحتى نساء إسرائيل يتوجه إليهن الوعيد والنِذارة:

«اسـمعن أيتـهـا النسـاء كلمة الرب.. علـمن بناتكن الرثاية، ولتـعلِّم المرأة صاحبتها الندب؛ لأن الموت طلع إلى كوانا، ودخل قصورنا...»(3).

يقول الله - على لسان أرمياء - فيما نسبه إليه بنو إسرائيل:

«.. قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم؛ لذلك قال الرب: هاأنذا جالب شرًّا عليهم، لا يستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إلى

---

(1) أرمياء ٧: ٣٢ - ٣٤.

(2) اقرأ العبارة فى ضوء قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ .

(3) أرمياء ٩: ١١ - ١٦.

فلا أسمع لهم...؛ لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا!، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى...»[1]. لذلك توعدهم الله قائلا:

«أُذَرِّيهِمْ بِمِذْارِة فى أبواب الأرض»[2].

«لأن هذه المدينة (أورشليم) قد صارت لغضبى ولغيظى من اليوم الذى بنوها فيه إلى هذا اليوم؛ لأنزعنها من أمام وجهى من أجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم، ورؤساهم وكهنتهم وأنبياؤهم (يقصد أدعياء النبوة) ورجال يهوذا، وسكان أورشليم».

«وقد حولوا لى القفا لا الوجه!!»

«وقد علمتهم، فلم يسمعوا ليقبلوا أدبا؛ بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه».

«وبنوا المرتفعات للبعل الذى فى وادى هنوم، ولمولك.. الأمر الذى لم أوصهم به.. ليعملوا هذا الرجس!!»[3].

أما ما سجله عليهم نبيهم حزقيال فهو يؤكد هذه الخصال النفسية المتسفّلة، فقد جاء فيه:

«هكذا قال السيد الرب:

أيتها المدينة (أورشليم) السافكة الدم فى وسطها!

الصانعة أصناما لنفسها لتتنجس بها؛ قد أثمت بدمك الذى سفكت.. ونجست نفسك بأصنامك التى عملت، وقربت أيامك، وبلغت سنيك!!، فلذلك

(١) أرمياء ١١: ١٠ ـ ١٣.

(٢) أرمياء ١٥: ٧. واقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾.

(٣) أرمياء ٣٢: ٣١ ـ ٣٥، واقرأ قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾.

وللتعرف على الديانات الوثنية التى كانت سائدة آنئذ ومدى تأثيرها على اليهود انظر:

Martin Hengel: Judaism and Hellenism, pp. 261 ` 310, SCM Press, London, 1981

وانظر لنفس المؤلف وهوأستاذ متخصص فى جامعة (Tubingen) كتابه الثانى:

Jews, Greeks, and Barbarians., PP 57 - 83, SCM, London, 1980.

جعلتك عارا للأمم وسخرة لجميع الأرض القريبة إليك والبعيدة عنك، يسخرون منك يا نجسة الاسم!! يا كثيرة الشغب!!

ازدريت أقداسي، ونجست سبوتي!! أنا الرب تكلمت، وسأفعل: أبددك بين الأمم!، وأذريك في الأراضي!!»[1].

«يا جبال إسرائيل اسمعي كلمة السيد الرب هكذا قال للجبال والآكام والأودية والأوطئة: ها أنذا جالب عليكم سيفا، وأبيد مرتفعاتكم فتخرب مذابحكم وتتكسر شمساتكم وأطرح قتلاكم قدام أصنامكم، وأضع جثث بني إسرائيل قدام أصنامكم، وأذرى عظامكم حول مذابحكم.. فتقفر المدن، وتخرب المرتفعات»[2].

«أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف ـ حسب خطاياكم ـ فتأكلون بنيكم وبناتكم!!، وألقي جثثكم على جثث أصنامكم..، **وأذريكم بين الأمم.. فتهلكون بين الشعوب**»[3].

هذه هي بعض ملامح نفسيتهم التي أشربت العجل، واستمرأت الوثنية، وتهالكت على الشرك والرجس.. هذه خصائص النفس الإسرائيلية كما وردت في أسفارهم، و هم أعلم بأنفسهم.. وبإلحادهم وشركهم، وقسوة قلوبهم، وتصليب رقابهم، وغلظتهم، وعصيانهم وفسوقهم.

ولقد حرصت على نقل نصوصهم نقلا حرفيا ـ مغضيا الطرف عما بها من ركاكة أو مخالفة للأصول. حتى يتعامل القارئ مع هذه النصوص التي يقدسونها تعاملا مباشرا، كما ركزت على النقل من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ أو التوراة، وهي أوثق كتبهم، وأولاها بالقبول والاعتداد.

---

(١) من الفرائض المقدسة في الديانة اليهودية (الأسبات) أي الراحة يوم السبت، لكن بني إسرائيل لم يرعوا حرمة هذه الفريضة، وتحايلوا عليها، ونجسوها. اقرأ قول الله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٣]. واستحضر قوله تعالى: ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا** ﴾ . وقارن ذلك مع آخر نص حزقيال ٢٢.

(٢) حزقيال ٦: ٣ ـ ٦.

(٣) حزقيال ٢٦: ١ ـ ٣٩.

وخلاصة القول وملاك الأمر: (أن الإسرائيليين قد نقضوا عهد الرب، ولم يلتزموا بميثاقه، فحقت عليهم كلمة العذاب،وفقدوا استحقاقهم الاصطفاء والتفضيل والاختيار على العالمين قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدى الذى قطعته مع آبائهم!).

وأختم كلامى عن خصائصهم النفسية فى كتبهم بسوق هذه الصورة الرمزية البشعة التى رسمها نبيهم حزقيال لمدينتى أورشليم والسامرة ـ عاصمتى شطرى المملكة ـ . . هذه الصورة التى تجسد بشكل خطير كفران بنى إسرائيل وخيانتهم واستحقاقهم النكال الذى أوقعه الحق سبحانه وتعالى بهم؛ يقول حزقيال:

«كان امرأتان ابنتا أم واحدة، وزنتا بمصر، فى صباهما زنتا، هناك دغدغت ثديهما، وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما. . وأسماهما السامرة (أهولة) وأورشليم (أهوليبة).

وزنت أهولة (السامرة) وعشقت محبيها آشور، وتنجست بكل من عشقتهم. . بكل أصنامهم،ولم تترك زناها من مصر أيضا؛ لأنهم ضاجعوها فى صباها، وزغزغوا ترائب عذرتها، . لذلك سلمتها ليد عشاقها. . ليد بنى آشور الذين عشقتهم هم كشفوا عورتها. . ، أخذوا بنيها وذبحوها بالسيف. . فلما رأت أختها (أورشليم) أهوليب ذلك أفسدت فى عشقها أكثر منها، وفى زناها أكثر من زنى أختها. . فرأيت أنها قد تنجست، ولكليهما طريق واحدة. . فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب، ونجسوها بزناهم، فتنجست بهم، وكشفت عورتها، فجفتها نفسى كما جفت أختها»[1].

«قال السيد الرب: ها أنذ أسلمك يا أورشليم! فيعاملونك بالبغضاء ويتركونك عريانة، فتنكشف عورة.. زناك.. أفعل هذا لأنك زنيت وراء الأمم؛ لأنك تنجست بأصنامهم»[2].

فبيت إسرائيل ـ حسب ما أوردت كتبهم ـ بيت الخزى والخيانة والنجاسة،

---

(١) سفر حزقيال ٢٣: ١ ـ ١٨.

(٢) السابق ٢٣: ٢٨ ـ ٣٠.

وليس وراء شهادتهم على أنفسهم شهادة!! وقد طمس الله على بصائرهم، وأمسك أيديهم عن تحريف هذه النصوص الصريحة الكاشفة لعوراتهم وعوارهم بين الأمم. . فهم أمة غبية عديمة الرأى، وشعب غير حكيم لا بصيرة لهم!! ولا ريب عندنا أن هذه النصوص التى أمسك الله أقلامهم عن تحريفها هى قليل من كثير، أو غيض من فيض كما يقال. لكن ما تبقى من هذه النصوص ـ فى العهد القديم ـ، وما اقتطفناه منها ـ هنا ـ كاف فى إظهار دفائن نفسيتهم، وكشف ملامحها الكالحة، وإبراز قسماتها المنكرة!!.

(٤) مقومات الشخصية الإسرائيلية فى الإنجيل:

أرسل الله عيسى ـ عليه السلام ـ إلى بنى إسرائيل، فأعرضوا عنه، وصدوا عنه صدودا؛ بل تآمر عليه رؤساؤهم من الأحبار الربانيين والكهنة والكتبة ـ وكانت الكلمة والرئاسة لطائفة الفريسيين، وحالوا بينه وبين الناس، ووسوسوا إلى أسيادهم الرومان، ووشوا على رسولهم عندهم، وكل هذا سجل بالتفصيل فى الأناجيل الأربعة (متى ولوقا ومرقس ويوحنا) التى تعترف بها كنائس النصارى قاطبة، وسجل كذلك فى إنجيل برنابا وهو سفر لا تعترف به كنائس النصارى.

ولم يهدأ لليهود بال، ولم يقر لهم قرار حتى دسوا رجلهم (شاول) الذى تسمى ـ فيما بعد ـ (بولس) وزعم لنفسه الرسالة فأفسد ديانة عيسى ـ عليه السلام ـ ومن ثم فإن العلماء يرون أن نسبة هذه النصرانية الراهنة إلى بولس[١]، أحق وأجدر من نسبتها إلى المسيح ـ عليه السلام ـ .

ودار بين المسيح ـ عليه السلام ـ وأحبار بنى إسرائيل مناقشات ومجادلات[٢] أظهرت رياءهم ومكابرتهم وبغضهم للحق، وإعراضهم عن الله ورسله، ومن ثم كشف المسيح ـ عليه السلام ـ كثيرا من أخلاقهم وخصائص نفسيتهم ومقومات شخصيتهم، فيما نسب إليه فى الأناجيل، ويعجب المرء من هذا التطابق بين ما جاء

---

(١) درس أحد الباحثين جهود بولس ودوره هذا، ونال به درجة الماجستير بإشراف كاتب هذه السطور فى كلية الدعوة والإعلام بالرياض وانظر كتابنا (الملل والنِّحل)

(٢) انظر مثلا: الإصحاح الحادى عشر والتاسع عشر والعشرين، والحادى والعشرين من إنجيل لوقا، ومرقس ١٢. ٣٨ ـ ٤٠، ٣: ١٩ ـ ٣، لوقا ١ ١٥ ـ ٢٤، يوحنا ٧: ١٠ ـ ٤٦.

فى التوراة وما جاء فى الأناجيل على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ فى هذه المسألة: يقول المسيح فيهم: «أيها الجيل غير المؤمن والأعوج، إلى متى أبقى معكم؟ وإلى متى أحتملكم؟!»[1]. «جيل شرير خائن»[2].

«يا أولاد الأفاعى، كيف تقدرون وأنتم أشرار أن تتكلموا كلاما صالحا»[3].

«... فهم ينظرون دون أن يبصروا، ويسمعون دون أن يسمعوا، أو يفهموا».

«.. ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارف، وكراسى باعة الحمام، وقال لهم: مكتوب بيتى بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»[4].

ما أغرب هؤلاء!! هيكل سليمان، أو بيت الله بيت الصلاة، حوَّله الإسرائيليون إلى مغارة لصوص!! وإلى سوق لصيارفة الربا وباعة الحمام!! بل وضعوا مكرهاتهم فى البيت الذى دعى باسمى لينجسوه!! (أرمياء).

وأنقل للقراء الكرام ـ فى هذا المقام ـ فقرات من الخطبة الجامعة التى ألقاها عيسى ـ عليه السلام ـ فى الهيكل أمام الجموع والتلاميذ، وحذر فيها من أخلاق علماء بنى إسرائيل وأحبارهم وكهنتهم وربانييهم الفريسيين[5]، وكشف عن دفائن نفوسهم، ووضع النقاط فوق الحروف، كما يقال، فلم يبق مجال لأى تعليق أو شرح أو تفصيل. قال المسيح ابن مريم:

«اعتلى الكتبة والفريسيون كرسى موسى.. لا تعملوا مثلما يعملون؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون؛ بل يحزمون أحمالا ثقيلة لا تطاق، ويضعونها على أكتاف الناس.

---

(1) متى ١٩: ١٧.
(2) متى ١٢: ٣٤.
(3) متى ١٣: ١٣ ـ ١٥.
(4) متى ٢١: ١٢.
(5) لئن كانت هذه أخلاق علمائهم وصفوتهم، فما بالك بأخلاق عامتهم وجمهورهم؟!!

«وكل ما يعملونه فإنما يعملونه لكى يلفتوا نظر الناس إليهم»!!

«فهم يُعرضون عصائبهم، ويطيلون أطراف أثوابهم، ويحبون أماكن الصدارة في الولائم وصدور المجالس فى المجامع، وأن تلقى عليهم التحيات فى الساحات، ويدعوهم الناس: يا معلم، يا معلم»!!

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم تغلقون ملكوت السموات فى وجوه الناس.. فلا أنتم تدخلون، ولا تدعون الداخلين يدخلون»!!.

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون!، فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل، وتتذرعون بإطالة الصلاة!؛ لذلك ستنزل بكم دينونة أقسى».

«الويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراؤون! فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودا واحدا؛ فإذا تهود جعلتموه أهلا لجهنم»!!

«الويل لكم أيها القادة العميان!».

«تقولون: من أقسم بالهيكل، فقسمه غير ملزم؛ أما من أقسم بذهب الهيكل فقسمه ملزم»!!

«أيها الجهال والعميان! أى الاثنين أعظم: الذهب أم الهيكل»؟!

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم تؤدون حتى عشور النعناع والشبت والكمّون، **وقد أهملتم أهم ما فى الشريعة: العدل والرحمة والأمانة.** كان يجب أن تفعلوا هذا، ولا تغفلوا تلك».

«أيها القادة العميان! إنكم تصفّون الماء من البعوضة، ولكنكم تبلعون الجمل!! «الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم تنظفون الكأس والصحفة من الخارج، ولكنهما من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع! أيها الفريسى الأعمى: نظف أولا داخل الكأس ليصير خارجها - أيضا - نظيفا.

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم كالقبور المطلية بالكلس، تبدو جميلة من الخارج، ولكنها من الداخل ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة، كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا، ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق!!».

«الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! فإنكم تبنون قبور الأنبياء، وتزينون مدافن الأبرار، وتقولون: لو عشنا فى زمن آبائنا لما شاركناهم فى سفك دم الأنبياء. فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلى الأنبياء! فأكملوا أنتم ما بدأه آباؤكم ليطفح الكيل».

«أيها الحيات أولاد الأفاعى!! كيف تفلتون من عقاب جهنم؟! لذلك ها أنذا أرسل إليكم أنبياء[1] وحكماء ومعلمين، فبعضهم تقتلون، وتصلبون، وبعضهم تجلدون فى مجامعكم، وتطاردونهم من مدينة إلى مدينة، وبهذا يقع عليكم كل دم زكى سفك على الأرض: من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين محراب الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم: إن عقاب ذلك سينزل بهذا الجيل!!».

«يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها!! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، فلم تريدوا! «ها إن بيتكم يترك لكم خرابا!!»[2].

لا ريب أن خصائص بنى إسرائيل الخلقية، وملامحهم النفسية التى وردت فى الأناجيل على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ فيما نسب إليه ـ تتفق؛ بل تتطابق مع ما جاء فى التوراة، وأن ما جاء فى القرآن الكريم، وحى الله المحفوظ بحفظه، المهيمن على هذه الكتب، ليصدق ما ذكر فيها بشأن أخلاق بنى إسرائيل وخصائصهم النفسية، مما يجعلنا نؤكد ـ مرة أخرى ـ ما قلناه فى صدر بحثنا هذا ـ أن ما جاء فى التوراة والإنجيل فى هذه المسألة ـ بقية وحى وأثارة نبوة، وأن يد التحريف لم تطمسه جملة، ولم تغيره كلية، **وهذا كاف فى استحضار البعد الغائب فى التعامل مع بنى إسرائيل اليوم، وإنى قد حرصت على تتبع ذلك، ورصده وتوثيقه، ثم تقديمه للمثقف الذى ينبغى أن يتعرف على التقريرات الإلهية،وحقائق الوحى اليقينية الهادية فى خضم هذا المعترك الجلل، وعلى من بيدهم أمر العباد ألا يغضوا الطرف، وألا يتجافوا عن حقائق الوحى الإلهى.** والله من وراء القصد.

(١) ربما قصد بالأنبياء هنا العلماء «علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل»، أو هو خطأ فى الترجمة، أو هو تحريف فى اللفظ الأصلى.

(٢) اقرأ إنجيل متى، الإصحاح الثالث والعشرين.

(٥) مقومات الشخصية الإسرائيلية فى القرآن الكريم:

إن المتدبر لآيـات الكتاب الحكيم ليقف على حقيقة كبرى، تتمثل فى أن القرآن لم يتناول موضوع بنى إسرائيل: قصتهم وأخلاقهم وسلوكهم فى آية أو آيتين؛ أو فى سورة أو سورتين؛ لكن تناولها بفيض زاخر من الآيات الكريمة؛ حتى أنه لا تكاد تخلو أكثر سور القرآن الكريم من الحديث عنهم، وهذا فيه من العبرة ما فيه، وهذا يجعل بحث موضوع مقومات الشخصية الإسرائيلية فى القرآن الكريم أمرا غير ميسور فى مثل هذه الصفحات القلائل، ومن ثم فإننا سنكتفى بتقديم نماذج فحسب من الآيات الكريمة، تكشف عن جوانب من خصائص بنى إسرائيل النفسية والخلقية، أما إحصاء جميع الآيات القرآنية التى فيها ذكر أو إشارة إلى ذلك، فهذا يعنى أن نسجل هنا قرابة ثلث آيات الكتاب العزيز أو يزيد!!.

وسنكتفى فى هذا المقام بذكر بعض النماذج التى تشير إلى أمهات خصائصه النفسية والخلقية وجوامعها.

* ومن أبرزها وأولها الإلحاد فى العقائد الذى تمثل فى تطاولهم على الله تعالى، وعلى رسله وعلى ملائكته، وعلى وحيه وكلماته، وعلى جنته وناره، وعلى عباده المؤمنين المتقين؛ قال تعالى:

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (١).

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾(٢).

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٣).

وتأمل قوله تعالى: (كلما) وهى تفيد العموم والتكرار مما يدل على اطراد التكذيب أو القتل!!

(١) آل عمران : ١٨١ .

(٢) المائدة: ٦٤ .

(٣) البقرة: ٨٧ .

وزعم اليهود أن جبريل عدو لهم، فقطعتهم الآيات الكريمة:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾(١).

ومما يدل على استخفافهم بالوحي، وتطاولهم على كتاب الله:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

ولم يكن الأمر مجرد استخفاف بآيات الله العظيم، لكنه انسلاخ منها:
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾(٣).

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤).

وعن افترائهم على الجنة واستخفافهم بالعذاب:
﴿ قَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾(٥).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(٦).

---

(١) البقرة: ٩٧ ، ٩٨.
(٢) آل عمران : ٧٨.
(٣) الأعراف: ١٧٥، ١٧٦.
(٤) الجمعة: ٥.
(٥) البقرة: ١١١.
(٦) آل عمران: ٣٤.

ويحثنا القرآن الكريم، ويسترعى نظرنا إلى التأمل فى حالهم العقدى السيئ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[1].

والحق أن إلحادهم واختلال عقيدتهم كان بمثابة المحور الذى يدور بهم، ويدورون به، فيختل فى نفوسهم وسلوكهم كل شىء، ويفسر فى ضوئه كل أفكارهم ومخططاتهم وسلوكهم وأخلاقهم وخصائصهم الأخرى!!

* ومن خصائصهم النفسية التى أفاض القرآن فى بيانها وكشفها: قسوة قلوبهم يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[2].

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[3].

وبنو إسرائيل أعلم بقلوبهم، والقلب الأغلف هو القلب المختوم عليه، الذى أثقلته الأكنة من الآثام والذنوب فجعل عليه الران[4]؛ فلا يفقه إلا ما وافق شهواته ونزواته ورغائبه الأثيمة. وقد كشف القرآن الكريم هذه الخاصة النفسية الإسرائيلية وجلاها.. اقرأ هذه الصورة الإعجازية التى رسمها القرآن لقسوة القلب الإسرائيلى. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[5].

---

(١) النساء: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) المائدة: ١٣.

(٣) البقرة: ٨٨.

(٤) راجع كتابنا: تأملات حول وسائل الإدراك فى القرآن · الحس والعقل والقلب، واللب والفؤاد ـ طبعة عالم الكتب ـ الرياض ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٥) سورة البقرة: ٧٤.

إنهم قد احترفوا الذنوب احترافا حتى رانت الذنوب على قلوبهم، فأظلمت وانطمست، ومن ثم اقتحمت كل ضروب الكفر، وتهافتت عليه، ثم جعلته دينها وديدنها، وطال عليهم الأمد فى هذا الضلال، فتوارثته الأجيال، ولذلك أكثر القرآن العظيم فى بيان هذا الجانب، وجاء فيه بقوارع غاية فى الإيجاز والإعجاز، لتلفت الأنظار، وتنبه المؤمنين إلى حقيقة هذا الشعب العصى الكنود[1]. الذى لم ينج من وحشيته وهمجيته وبربريته، حتى صفوة خلق الله؛ أنبياؤه ورسله الكرام.

* ومما ذكره القرآن من خصائصهم الخلقية البارزة: نقضهم العهود، وعدم وفائهم بالمواثيق، قال تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وتدبر قول الحق ـ عز وجل ـ (كلما) فهى تفيد أن نقض العهد سمة إسرائيلية مطردة فى كل عصورهم قديمها وحديثها على السواء:

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾[3]. هكذا كان الإسرائيليون (ينقضون عهدهم فى كل مرة) ولا يزالون (وهم لا يتقون). ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم﴾[4].

* ومن خصائصهم النفسية الأصيلة: الحقد والحسد. يقول عز من قائل:

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[5].

---

(١) انظر: الدراسة التى نشرها الأستاذ الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد، بعنوان (معركة الوجود بين القرآن والتلمود) فى مواضع متعددة متفرقة، ، ط : القاهرة بدون تاريخ وقد أفدنا منها كثيراً.

(٢) سورة البقرة: آية ١٠٠.

(٣) سورة الأنفال: ٥٦.

(٤) سورة النساء: آية ١٥٤، ١٥٥. وانظر: سورة البقرة: آية ٩٣، وسورة الأحزاب: آية ٢٦، ٢٧.

(٥) سورة النساء: آية ٥٣، ٥٤.

﴿ودَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1].

انطوت النفس اليهودية على حقد بالغ وغل أسود، وحسد عاصف للناس عامة، والمؤمنين منهم خاصة، وكما نبهنا مرارا كان من شؤمهم ولؤمهم الذى تفردوا به جعلهم ذلك دينا ينسبونه إلى الوحى الأعلى، ويؤججون باسمه سعارهم النفسى المحتدم. ومن ثم دأبوا على الكراهية الوحشية للمجتمعات البشرية والكيد الدائم لها، ولو أحسنت إليهم تنفيسا عن وحر صدورهم.

ومن أجل ذلك: حذر الله من اتخاذ بطانة منهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

وما أجلَّ هذه اللفتة القرآنية فى ختام الآية الكريمة: (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون). فهل يعقل المسلمون بيان ربهم الأعلى؟!

وهل يعون هذه المعانى القرآنية الهادية ؟!.

وهل تتحول هذه الكلمات إلى حقائق حية يتحركون بها فى واقع الحياة؟! حتى يواجهوا معركة وجودهم مع اعدى أعدائهم بروح القرآن وعزم الإسلام[3].

* أما الفساد فى الأرض: فهم سدنته ورعاته ومعلموه، اقرأ قول الحق عز اسمه: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]. ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[5].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

(١) سورة البقرة: آية ١٠٩.

(٢) آل عمران: آية ١١٨.

(٣) انظر: كتاب معركة الوجود بين القرآن والتلمود من (ص١٣٠ - ١٣٤).

(٤) سورة المائدة آية٦٢.

(٥) سورة المائدة : آية ٤٢.

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

تسجل هذه الآية جملة من خصال السوء الجديرة بالتأمل.. وأول هذه الخصال: أن الحق لا يزيدهم إلا طغيانا وكفرا فهم أعداء الحق دائما.

وثانيها: أن قلوبهم تفور بالعداوة والبغضاء إلى يوم القيامة!!

وثالثها: أنهم وقّادو الفتن والحروب بين الشعوب!!

ورابعها: أنهم يجدون ويجددون دائما فى إفساد الأرض كلها والله لهم بالمرصاد؛ لأنه لا يحب المفسدين[2].

* ثم بين القرآن الكريم خاصتين متقابلتين متناقضتين فى النفس الإسرائيلية، هما: - الاستعلاء من جهة، وملازمة الجبن والذلة والمسكنة من جهة أخرى. يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3].

وقد اختار الله بنى اسرائيل وفضلهم على العالمين اختبارا وابتلاء، لكنهم فهموه فهما معكوسا منكوسا، فهموه على أنه اختيار عرقى عنصرى سلالى.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[4].

وعن جبنهم واستخذائهم وقعودهم يقص الحق تعالى دعوة موسى - عليه السلام - إياهم لدخول الأرض المقدسة وجوابهم الجبان:
﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.[5] فماذا كان جوابهم؟ اقرأه فى الآية الكريمة التالية:

---

(١) المائدة: ٦٤.
(٢) معركة الوجود ص ١٣٩.
(٣) سورة الجمعة: ٦, ٧.
(٤) المائدة :١٨ .
(٥) المائدة :٢١.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

وماذا قالوا بعد؟ قالوا: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

انظر: رسولهم موسى ـ عليه السلام ـ يدعوهم ويحثهم ويستجيش عزائمهم وهممهم لدخول الأرض المقدسة، التى كتبها الله لهم، ووعدهم بها، لكنهم يخلدون إلى الأرض ويتقاعسون ويجبنون؛ لأنهم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

أما الموت: فإنهم: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]. ومن أجل ذلك الجبن والحرص على الحياة، فإنهم: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤].

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

* ومن الخصائص التى أكد القرآن على التزام بنى إسرائيل بها: التحريف والتزييف والجدل الباطل، اقرأ قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦].

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وتدبر قوله الله: (من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) فهو تحريف مع سبق التعمد والإصرار. ومن أجل ذلك صارت كلمة

(الإسرائيليات) علما على فعل بنى إسرائيل الكذب والوضع والتزييف والتأويل الفاسد.. إلخ.

وبعد: فهنالك ثلاث فوائد نختتم بها هذا المبحث:

أولها: أننا لا نستطيع أن ندعى أننا قد جلينا أخلاق اليهود أو خصائص نفسيتهم، كما جاءت فى القرآن الكريم، لأن هذا لا يتم إلا بسوق جميع الآيات الكريمة المتعلقة بالموضوع، وقد ألمحنا إلى صعوبة ذلك فى صدر المبحث.

ثانيها: أن هذه الصفات الخلقية. والخصائص النفسية لم يدمغ بها القرآن الكريم كل وجميع بنى إسرائيل، لكن أكثرهم قد تدنس برجسها وأقلهم قد تسامى وترفع عنها وتمسك بحبل الله المتين، وهذه معجزة قرآنية تتمثل فى دقة بلاغاته وبيناته وعدل أحكامه، وتدبر التقريرات الإلهية التالية:

﴿وقد كان فريق منهم﴾.

﴿من الذين هادوا﴾.

﴿وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان..﴾.

﴿ود كثير من أهل الكتاب..﴾.

واضح من هذه البيانات الإلهية أن أكثر بنى إسرائيل ومعظمهم وغالبيتهم قد انتكسوا فى الإثم، وارتكسوا فى الوثنية والشرك، ومع ذلك فقد أنصف القرآن تلك الجماعة القليلة التى رشدت من بيهم.

ثالثها: هذا الاتفاق البين بين نصوص التوراة الحالية والإنجيل الحالى والقرآن الكريم على دمغ إسرائيل بهذه الأخلاق الذميمة والخصائص المتسفلة، وهذا يعنى أن جميع الكتب التى يقدسها أصحابها تلتقى - رغم الاختلافات الجوهرية والأصلية بينها - تلتقى على هذه المسألة، وهذا له مغزاه ومعناه.

والله أعلم.

الفصل الحادي عشر

الحوار الإسلامي المسيحي
في الأندلس
ملامح ... ونماذج

بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للحضارة

الأندلسية - بجامعة القاهرة

3 - 5 مارس 1998

أ. ملامح عامة:

١ ـ حوار .. لاصدام:

لقد ظهر جليًا أن الأمم الشرقية بعامة ـ والإسلامية منها على وجه الخصوص ـ لا تسلم بنظرية «صمويل هانتنجتون» عن صدام الحضارات والأديان خصوصًا الغربية اليهودية المسيحية والحضارة الإسلامية والكنفشيوسية.

ومن الواضح الجلى أن بعض المؤسسات الحاكمة فى الغرب تتبنى اليوم عمليا تلك النظرية التى تبشر بالصراع والحرب، بل إنها بدأت فى وضعها موضع التنفيذ، والشواهد الكثيرة تثبت ذلك وتؤكده.

ومن المسلم به لدينا أن الحوار بين الأديان عمومًا وبين الإسلام والمسيحية خصوصًا كان ولا يزال مطلبًا حضاريًا يتطلع إليه الواعون من أتباع الديانتين فى كل مكان لأنه يعود على الجميع بالنفع الحضارى والإنساني.

٢ ـ ضمان حرية الاعتقاد:

وقد أعلن الإسلام منذ البداية أن حرية اختيار الدين والعقيدة مكفولة لجميع الناس، بل إن الإسلام جعل الإنسان مسئولا مسئولية كاملة عن اختيار عقيدته الدينية، ولا سلطان لأحد مهما يكن موقعه السياسى أو الاجتماعى أو المذهبى على أى شخص ذكرًا كان أم أنثى ليملى عليه إرادة تعوق اختياره الحر للدين الذى يدين به، سواء أكان الإسلام أم غير الإسلام، وإذا اختار الإنسان أن يبقى على دين غير الإسلام مثل اليهودية أو المسيحية أو المجوسية فإن على الدولة الإسلامية أن تحمى اختياره وأن تحمى حقه فى أن يكفر بالإسلام ويعيش فى ظل دولة الإسلام وفى مجتمعه متمتعًا بحقوقه التى كفلها له الإسلام، دونما ضغط عليه أو إكراه له، وآيات القرآن فى ذلك واضحة حاسمة؛ يقول تعالي: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويوجه الله ورسوله فى أسلوب قاطع فيقول له:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩] ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾. وهكذا فالإسلام يشرع للناس حرية اختيار الدين والاعتقاد بعد أن يبين لهم الرشد والغي، ويحترم هذه الحرية ويحميهما ويضمنها ضمانا تامًا.

٣ ـ اختلاف الناس سنة إلهية محكمة تؤدى إلى التعاون والتآلف:

يرى الإسلام أن اختلاف الناس؛ اختلاف التنوع والتعدد سنة إلهية محكمة ماضية وقانون اجتماعى مستقر.. فهنالك الاختلاف الاثنى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات: ١٣] فالتعارف والتعاون المتبادل هو الثمرة التى أرادها الله من هذا التنوع الإثنوجرافى أو الاختلاف إلى شعوب وأمم وجماعات وقبائل.. وكذلك اختلاف اللغات والألسنة، واختلاف الملل والأديان والعقائد بين الناس هو القاعدة، ولم يشأ الله أن يجمع الناس على دين واحد أو ملة واحدة لكن الملل عديدة، ومنها حق وباطل، رشد وغى وتقع على الإنسان وحده ـ كما ذكرنا ـ مسئولية الاختيار، يقول تعالي ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ [النحل: ٩٣].

أى أهل دين واحد.

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ﴿١١٨﴾ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴿١١٩﴾﴾ يقول المفسرون أي: لو أراد الله لجعل الناس أصحاب ديانة واحدة لكنه لم يجعلهم كذلك، ولا يزالون مختلفين في الدين.. لماذا؟ لأنه أراد التنوع والتعدد والاختلاف، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨].

وأن يختار الإنسان ديانته بحرية تامة ويكون مسئولا أمام الله وحده عن اختياره هذا. وما دامت القاعدة الإسلامية العامة هى أن الله تعالى قد شاء ـ مشيئة كونية ـ أن يجعل الناس أممًا متعددة وليس أمة واحدة، وأصحاب أديان متعددة

وليس دينًا واحدًا، وأنهم مسئولون مسئولية فردية عن اختيار الدين الذى يتدينون به، وأنهم مسئولون أمام الله وحده وليس أمام سلطة دينية أو سياسية أو حزبية. وما دام الله تعالى قد أخبرنا أن الاختلاف والتعدد ينبغى أن يكون سبيلاً إلى التعارف بين الناس، أى إلى التآلف والسلام والتعاون وليس إلى التشاحن والتخاصم والتصادم.

ما دام ذلك كذلك، فإن الحوار بين أصحاب الأديان المختلفة والحضارات المتعددة هو السبيل إلى تحقيق هذا التعاون، ومن هنا قلنا أن المسلم يؤمن بالحوار وليس بالصدام كما تتنادى به المؤسسات الغربية اليوم، وتوشك أن تشعل حربًا عالمية ثالثة لا تبقى ولا تذر.

٤ ـ الانفتاح والتسامح

أدت هذه النظرية الإسلامية ـ فيما أدت إليه فى عصور الازدهار الحضارى إلى التسامح والبعد عن الجمود والتعصب، أدت إلى الانفتاح على الآخر والتواصل معه بلا عقد أو حساسيات، وبلا توجس أو انغلاق أو انكفاء على الذات. ومن هنا فإن علماء الإسلام أخذوا فى دراسة أديان العالم والتعرف عليها والتأريخ لها وتحليلها، ووصفها، ومقارنتها والحوار مع علمائها، ومجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن، يقول آدم متز Adam mez [(١)] : «إن تسامح المسلمين مع اليهود والنصارى ـ وهو التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى ـ كان سببًا فى نشأة علم لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى فى الغرب، هو علم مقارنة الأديان أو مقارنة الملل، ويقول: إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وأوربا التى كانت كلها على المسيحية فى العصور الوسطى، وجود عدد كبير من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين.. يتمتعون بنوع من التسامح لم يكن معروفًا فى أوربا فى العصور الوسطي، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أى دراسة الملل والنحل على اختلافها والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم، وينظر ماكتبه فرانزروزنتال، وإريك شاربي، ودائرة المعارف البريطانية».

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية، ترجمة الدكتور أبو ريدة، ص٢٨٨ طبعة الهيئة المصرية العامة بمصر.

أما على الجانب الآخر فإن الغرب المسيحى ـ كما يذكر مؤرخ الأديان إريك شاربى فى كتابه Comparative Religion A History .

لم يدرس الغرب المسيحى ـ طوال تلك القرون (إلى منتصف القرن التاسع عشر) الأديان المخالفة إلا بغرض دحضها وتمام قهرها، كما أن نظرياتهم اللاهوتية عن أصل أو نشأة الأديان الأخرى انتهت إلى أنها رجس من أعمال الشياطين، أو من أعمال الملائكة الساقطين. ولم يكن هذا رأيا شعبيًا لكن كبار آباء الكنيسة مثل جوستن، وتاتيان، ومانشيوس فلكس، وترنوليان، وسريا نوس قالوا به وعلّموه...

ويضيف شاربي: إن الانغلاق الصارم والتعصب (Strict Exclusiveness and Intolerence) كانا وراء ذلك. بل ووراء الاعتقاد بأن أية دراسة للأديان الأخرى لن تقود إلا إلى تناقض حاد مع المسيحية.

وإذا ما انتقلنا إلى الفكر الإسلامي لنسأل: هل كانت دراسته للأديان الأخرى بهدف فهمها ووصفها وصفًا علميًا وتحليلها تحليلا منهجيًا ومقارنتها، أم كانت كلها دراسات جدلية خصامية هدفها الأوحد هو الرد والإبطال والدحض؟

يمكننا أن نقول مطمئنين: أنه لم تكن كل جهود المسلمين فى دراسة الأديان ذات طبيعة جدلية حجاجية Apologetical and polemical Nature ولكنها اشتملت إلى جانب المناظرة والجدل ـ على التأريخ والوصف والتحليل العلمي، والمقارنة الموضوعية، والنقد المنهجي، بل والدراسة الفنومنولوجية والاجتماعية والأنثروبولوجية للأديان.. ويمكننا أن نقدم نماذج وأمثلة واضحة لكل جانب من هذه الجوانب التى تعد من صحيح علم الدين المقارن بأدق معانيه المعاصرة.

ب ـ الحوار الإسلامى المسيحى فى الأندلس:

تأثر الحوار بالمناخ الحضارى السائد:

تأثر الحوار الدينى فى الأندلس بين الإسلام والمسيحية بالمناخ الحضارى والدينى السائد والمسيطر؛ فحين تسمو الحضارة وتزدهر يتمتع الناس بحالة من الانفتاح والتسامح، وهجران الانغلاق والتعصب، وعلى ذلك فحين كانت

الحضارة الإسلاميـة مزدهرة ساطعة فى الأندلس تمتع الناس - مسلمون ومسـيحيون ويهود بتـسامح دينى رائع، وأثمـر هذا المناخ حوارات دينيـة رفيعـة بين المسيـحيين والمسلمين واليهود الذين عاشوا جنبا إلى جنب فى الوطن الأندلسى متمتعين بحرية الاعتقاد الدينى التى كفلها الإسلام وحماها بكل قوة وعزم.

وحين خـبا نجم الحـضارة الإسـلاميـة فى الأندلس، وظهـر ملوك الطوائف وتفتت الوطن الأندلسى الكبير، استشعر كاثوليك الشمال القوة، وتحرك دير كلونى Cluny ضد المسلمين، وضد المسيحيين الأرثوذكس فى نفس الوقت، وبدأ نوع من الحـوار الجدلى الهـجومى الذى يـتمـثل فى ردود ودحوض دينيـة: Refutations والنماذج التى نقدمها فيما يلى - من هذا النوع.

أولا - بين راهب دير كلونى والقاضى الباجي:

أرسل راهب ديركلونى رسالة مع رجلين من مساعديه إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة (توفى ٤٧٤هـ : ١٠٨١م) يدعوه فيهـا إلى دخول المسيحية والارتداد عن الإسلام، وإن هو فـعل ذلك سيـعمل النصارى على فك الحـصار عن سـرقسطة، وعدم مهاجمـتها من قبل جيوشهم، فطلب المقـتدر بالله من المفكر الأندلسى الكبير القاضى أبى الوليـد الباجى أن يقابل الرسولين ويحـاورهما ويناقشهـما ويكتب رداً إسلامياً على رسالة الراهب، فقام الباجى بهذه المهمة الجليلة خير قيام.

(١) قيمة الرسالتين:

إنى لأتفق مع (د.م. دنلوب) على أن الرسالتين وثيقتان مـهمتان، تكشفان جانبـا من الجدل الدينى المتـبادل بين المسلمـين والنصارى فى الأندلس، من جـهة وتظهران الاحتكاك الثقافى بين الإسلامى والغرب من جهة أخرى[١].

بيد أن رسالة الباجى تُظهر - فى تقديرى - رؤية إسلاميـةً صحيحةً وعميقةً، لما عليه العـقيدة النصـرانية من اضطراب وتناقض ووهاء، كـما أنها تبـرز مسئـولية القاضى الباجى فى الدعوة إلى الله تعالى بين غير المسلمين، ووعيه بالطريق الأرشد إلى ذلك، فالقضية - عنده - لم تكن مجرد تدبيج جواب على رسالة راهب فرنسى بعث بها - مع رسولين - إلى المقـتدر بالله حاكم سرقسطة، أقـصى ما يؤمله الباجى

---

(1) M, Dunlop: AChristian Mission To Muslim spain in thellthCentnuy.

من ورائه، أن يرضى المقـتدر بالله عنه؛ لكن طموحـه السديد كـان أبعد من ذلك وأعظم؛ إذا كان يروم تعـريف راهب فرنسا وكبـير رجالات الكنيـسة فيهـا بمحاسن الإسلام، وما عليه النصـرانية ـ بعد التحريف ـ من مجافـاة للعقل والمنطق، فضلا عن مصادمـتها للفطرة السليـمة، بأسلوب قويم حكيم، وإن كل فقـرة فى الرسالة لتؤكد هذا المعنى وتعمقه.

(٢) تكرار هذه الرسائل بين الراهب والمقتدر بالله:

تكشف رسالة الباجى أن هذه المراسلات قد تكررت بين راهب فرنسا والمقتدر بالله، يقول الباجي، مثلا:

«. . وقد كـان ورد علينا ـ قبل هذا ـ كتـابك، واقترن به من دعـوى حامله المحال. . إلى آخره».

ويقول:

«. . . ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك، تعينت علينا مفاوضتك»

ويقول:

«. . وقد ورد متحملا كتابك، فما أوردا إلا كلام البشر. . . »

ويثور هنا سؤال وجيه هو:

من الذى بدأ سلسلة المراسلات هذه؟ المقتدر بالله أم الراهب؟

أقول: يبدو أن راهب فرنسا هو الذى بادر بهذه المراسلة لأنه ذكر فى كتابه:

«. . لما انتهى إلينا ـ أيها الأمير العزيـز! ـ أمرك الرفيع فى الدنيا، وبصيرتك فى تبين أحوالها المتغيرة، رأينا أن نراسلك وندعوك، لتؤثر الملك الدائم على الملك الزائل الفاني».

(٣) الرسالتان فى دراسات المستشرقين:

لقيت هاتان الـرسالتان عناية خـاصة من قبل المسـتشرقين المـهتمين بالقـضايا الأندلسية بوجـه خاص، ومن المهتمين برصد العلاقات بـين الإسلام والغرب بوجه عام، ويكفى أن يذكر ـ فى هذا الصدد ـ أن هاتين الرسالتين قد درستا وترجمتا إلى أكثر من لغـة أوربية، وعلق عليهما ـ فى الغـرب أكثر من مستشـرق وباحث، فقد

ترجمهـا إلى الإنجليزية المستشـرق (د.م. دنلوب) ونشر دراسة وجيزة حـولهما فى خمس صحائف فى مجلة الأندلس المتخصصة[1].

ركز دنلوب فى دراسته على الاحتكاك الثـقافى بين أوربا الغربية والمسلمين، وأن هذه المراسلات نماذج أو وثائق تعبر عنها، وهى تذكـر بالرسائل المشابهة لها بين الكندى والهاشمى [2] مثلا.

كما تطرق بالحـديث إلى (سرقسطة) وذكر أنهـا كانت عاصمـة الثغر الأعلى (UPPer Frontier) إبان عهد الخلافة فى قرطبة وأصـبحت - بعد استيلاء النصارى عليهـا - عاصمـة إقليم الأرجون (Argon)، واعـترف بأنه لا يعـرف الكثيـر عن سرقسطة تحت حكم بنى هود الذين ينتمى إليهم المقتدر بالله، الذى حكم سرقسطة من ٤٣٨هـ - ٤٧٤هـ، ١٠٤٦م - ١٠٨١م ثم نص على أن الراهـب الفـرنسي، صاحب الرسالة هو: القديس «هيو» (Hugh St.) كبير رهبان دير(Cluny) وكان قد توسد سدة هذا الدير ما بين عامى ١٠٤٩م و ١١٠٩م.

كمـا حاول دنـلوب أن يتعـرف على ما إذا كـانت رسالة الراهب قـد كتـبت بالعربية أصلا، ومن هو كاتب هذه الرسالة الذى يجيد العربية بهذا المستوى الرفيع؟ أو أنها كتت باللاتينية، ثم ترجمت إلى العربية؟!

وبذل جهداً فى توثيق نسبة الرسالتين بمنهج نقد النصوص باطنًا وظاهرًا، أو متنًا وسندًا.

وبعد إحدى عـشرة سنة، كتب المستـشرق «ألن كتلر» ALLEN CUTLER دراسة نقدية بعنوان.

(Who was the Monk of France and When Did He Write?

---

(1) Alandalus, Volxll, 259 - 263, L952.

(٢) انظر كتاب القرطبى: الإعلام بما فى دين النصارى من الفسـاد والأوهام ومحاسن الإسلام وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. نشرة د. أحمد السقا، دار التراث بمصر، طبعة أولى، (مقدمة المؤلف وانظر كذلك كـتاب مقامع هامـات الصلبان ومراتع روضـات الإيمان لأبى عبيـدة الخزرجى مخطوط رقم ٤٥٤ جامـعة الإمام محمد بن سـعود، وقد نشره الدكتور محمـد شامة بعنوان: بين الإسلام والمسيحية، مكتـبة وهبة بمصر، طبعة أولى.

A Note on Dunlop's A Christian Mission To Muslim Spain in The th Century). 11

من هو راهب فرنسا؟ ومتى كتب رسالته؟ تعليق على مقال دنلوب المذكور، ولم يأت في دراسته هذه بجديد يستحق الإشارة إليه من جانب أكثر من مناقشة بعض آراء دنلوب وتفنيدها، وقد اهتم بشكل خاص بأماكن وشخوص الاحتكاك الثقافى بين الإسلام والنصرانية فى غرب أوربا، ليحقق من وراء ذلك: من هو الراهب؟ ومتى يكتب هذه الرسالة إلى المقتدر بالله(١).

كما أن (سالو بارون) ـ فى الجزء الخامس من عمله التذكارى عن التاريخ الاجتماعى والدينى لليهود قد أشار إلى هاتين الرسالتين واسترعى النظر إلى قيمتهما(٢).

بقى أن نذكر أن نشرة دنلوب وترجمته لهاتين الرسالتين كانتا عن نسخة خطية فريدة، تحتفظ بها مكتبة الإسكوريال بأسبانيا تحت رقم (٥٣٨ مجموع عربي) وأن هذه النشرة تتسم ـ مع تقديرنا للرجل ـ بضعف إدراكه للمعني، ويتمثل هذا الخطأ البين فى قراءته لبعض العبارات والكلمات، وانسحب هذا ـ ضرورة ـ على ترجمته. كما أن دراسته للرسالتين ـ فيما عدا توثيق النص ـ تعتبر تاريخية شكلية، ولنا عليها بعض الملاحظات، ولا نرى أن فى هذه المقدمة الوجيزة مكانا مناسبًا لبسطها ومناقشتها، كما أن «ألن كتلر» قد تعرض لبعضها فى بحث خاص.

ثم نشر الرسالتين بعد ذلك بمجلة الأندلس (T. Turki) بعنوان)LALETTREDU MOINE DE FRANCE(واعتمد فى نشرته العربية على مخطوط الإسكوريال المشار إليه سابقًا وعارضه على نشرة (دنلوب)، وقد اجتهد في قراءة النص العربى قراءة صحيحة، وصوب بعض أخطاء دنلوب، لكنه لم يوفق فى بعض المواضع، وقد أشرنا إليها فى الحواشى التى قيدناها فى نشرتنا لهذه الرسالة(٣).

---

(1) ALANDALUS, Volxxlll 1963, pp. 249 - 269.

(2) AALO BARON The Social and Religious History of the jewa, 2 ed Philadelphia, 1957, p. 337 (ALANDALUS).

(٣) بتحقيقنا، دار الجيل بيروت، ١٩٩٠م.

(٣) نبذة عن محتوى الرسالتين:

(أ) رسالة الراهب:

من بين ما احتوت عليه:

أنه الذى بادر بكتابة هذه الرسائل، وكان هدفه منها شرح أسس العقيدة النصرانية للأمير المسلم حاكم سرقسطة، ودعوته للارتداد عن دينه والدخول فى دين الراهب النصراني.

ـ ومن مبادئ هذه العقيدة ـ كما ذكر فى رسالته:ـ

* أنه لا ينبغى الإيمان بسوى عيسى المسيح عليه السلام.

* وأن المسيح إله يهدى ويضل، ويعطى ويمنع، وينصر وينفع.

* وأنه ـ عليه السلام ـ قد أنقذهم بدمه الطاهر من هلكة إبليس اللعين.

* وأنهم ينكرون نبوّة محمد ﷺ ويزعمون أن نبوّته ﷺ إن هى إلا تلبيس لإبليس اللعين على بنى إسماعيل، ليكفروا بالمسيح عليه السلام وأنها ـ لذلك ـ خطأ جسيم على الإنسان وهلاك له، وشقاء.

ـ ويذكر فيها أن ملك الله، وكنه النصرانية، لا يحيط بهما إنسان؛ لأنهما أعظم من أن يدركهما إنسان بعقله القاصر، وأجل من أن يصل إليهما بعلم الكلام.

ـ ويختم رسالته بدعوة الأمير بالدخول فى دينه، مع إغراء رخيص له.

ب ـ رسالة القاضى الباجي:

من بين ما احتوت عليه:

ـ أنها قد أظهرت اهتمامه بأمر الراهب، لما له من مكانة وصدارة فى قومه، رجاء أن يهديه الله تعالي، و يهدى به من قبله.

ـ ثم إعراضه عن مناقشة المستحيلات التى قررها رسل الراهب عنده، لما يعلمه من غفلة النصاري، وعدم عنايتهم وتدقيقهم؛ ولأنه آثر الرفق به رجاء رجوعه وأوبته للحق.

ـ وأشار إلى أصل من أصول الدعـوة عظيم؛ وهو متى يكون الإغلاظ على المدعو؟ ومتى يكون الرفق به؟ وكيف يكون ذلك؟.

ـ وألمح إلى تكرار هذه الرسائل، بين الراهب والمقتدر بالله.

ـ كما أظهر أن الحديث بينه وبين رسل الراهب قد نقل عن طريق مترجم.

ـ وأشار إلى علم المسلمين الراسخ بالنصرانية واطلاعهم على كتبها ـ مترجمة إلى العربية ـ ووقوفهم على ما فيها من اضطراب وتكاذب وتصادم.

ـ ثم شرح للراهب البواعث النفسية التى تدفعه إلى التمسك بهذه الأباطيل التى لا تثبت ولاتنصر.

ـ وفنَّد ـ بإيجاز ـ دعوى النصارى إلهية عيسى ـ عليه السلام ـ من وجوه:

* منها أنه قد اتصف بصفات الحوادث.

* ومنها أنه إن كان قد ولد من غير أب، فإن آدم عليه السلام، قد ولد من غير أب ولا أم، ولا حمل به فى بطن.

* ومنها أن المعجزات التى أظهرها الله تعالى على يد عيسى عليه السلام، قد أظهر مثلها وأفضل منها وأبقي، على يد غيره من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ـ ثم يبرز تناقضهم فى دعواهم أن عيسى ابن الله تعالي، وأنه ولد لداود عليه السلام، فى نفس الوقت.

ـ ويعرض عليه محاسن الإسلام: عقيدة وعبادة ونظامًا وأخلاقًا، ويدعوه للحضور بنفسه ليعرف المزيد منها، وليسمع آيات القرآن العظيم؛ لعل الله أن يفتح عليه.

ـ ثم يدعوه للإسلام، ويدعو الله تعالى أن يشرح صدره ويهديه، ويهدى به من قبله، فيفوز بأجورهم، ويكون سببًا إلى استنقاذهم؛ لأنه مطاع فيهم، ثم يختم جوابه بقول الله تعالى: ﴿والسلام على من اتبع الهدي﴾.

ثانيا: بين أسقف طليطلة وأبى عَبيدة الخزرجي:

بعد سقوط طليطلة فى يد «الفونس» ملك قشتاله (أول صفر ٤٧٨ هـ ٢٥/ ١٠٨٥٥م) نشبت حوارات جدلية حول الإسلام والمسيحية، وكانت تلك

الحوارات الجدلية كثيفة في المدن التي يسيطر عليها المسيحيون، ويبقي فيها بعض المسلمين؛ فكانت هذه الجماعة الإسلامية التى اختارت البقاء منبوذة مبغوضة من المسيحيين، ولم يستطع رجال الدين المسيحي أن يتسامحوا معهم، وأن يفوا لهم بعهودهم ووعودهم في الاحتفاظ بعقيدتهم الدينية وممارسة شعائرهم وطقوسهم بحرية، بل كانوا هدفا لهجوم منظم طبقًا لخطة وضعت لتنصيرهم، فكانت الشبهات التي تثار حول تعاليم الإسلام موضوعًا للمحاورات والمناقشات التي تدور بين القسس وبينهم.

ومن مظاهر ذلك الحوار الجدلي أن أسقف طليطلة قد اعتاد أن يلقي أسئلة على بعض المسلمين في مدينة طليطلة - بعد سقوطها في يد النصارى كي يضعف من عقيدتهم، ويخلخل إيمانهم، ولم يكن هؤلاء المسلمون على قدر راسخ من الثقافة الدينية تمكنهم من الرد عليه، ولكن غيرتهم على الدين دفعتهم إلى البحث عمن يستطيع تزويدهم بإجابات تفحم هذا القسيس، فوجدوا أبا عبيدة الخزرجي القرطبي (ولد في قرطبة سنة ٥١٩ هـ - ١١٢٥م، وتوفي في فاس عام ٥٨٢هـ - ١١٨٧م)، وكان شابًا كثير الاطلاع، فكان يمدهم بالإجابة التي يردون بها أسئلة القسيس.

فلما علم الأسقف بذلك كتب إلى أبي عبيدة كتابًا، يدعوه إلى اعتناق المسيحية، مبينًا له - من وجهة نظره - فضائلها، ومساوئ الإسلام - كما يدعي - فرد عليه أبو عبيدة بكتاب، ناقش فيه مزاعمه، شارحًا ما حرفوه في دين الله، رادا عليه ادعاءاته.

وقد سمى أبو عبيدة كتابه الجدلي «مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان» حسب ما جاء في مخطوطة مكتبة أحمد الثالث بإسطنبول، تحت رقم ١٨٦٣، أما نسخة المكتبة الأحمدية في تونس رقم ٢٠٦٣ فجاءت بعنوان (كتاب مقاطع هامات الصلبان في الرد على عبدة الأوثان). وهنالك نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٣١٦هـ بعنوان: (الفاصل بين الحق والباطل . . . يتضمن حجة عز الدين المحمدي علي حنا مقار العيسوك)، وهذه النشرة تتفق في المضمون مع النسختين السابقتين، وإن كان بها بعض الزيادة عنها، وقد حذفت المقدمة الأصلية عنها، وزودها الناشر بمقدمة مختلفة تمامًا.

وقد نشر صديقنا الأستاذ الدكتور محمد شامة [1] هذا الكتاب الذي يتضمن مقدمة، رسالة القسيس ورد أبي عبيدة الخزرجي عليها، وقد قدم الكتاب في الطبعة الثانية بمقدمة جيدة وزوده بتعليقات مفيدة. ونحن نعتمد في هذا التعريف على هذه النشرة وعلى مصورة خاصة بنا من مخطوط مكتبة أحمد الفاتح بتركيا. ومن أهم الموضوعات التي دار حولها النقاش والجدل:

- التثليث عند النصارى.
- صلب المسيح.
- مشكلة الخطيئة الأولى.
- معجزات عيسى عليه السلام.
- معجزات الحواريين.
- طبيعة المسيح؛ الألوهية والتجسد والحلول.
- خوارق العادات التي تظهر في الكنائس.
- الشرائع في التوراة والإنجيل.
- الطلاق في المسيحية.
- تعدد الزوجات في اليهودية، والمسيحية، والإسلام.
- القتال في الأديان الثلاثة.
- رسالة المسيح بين المحلية والعالمية.
- غفران رجال الدين المسيحي لخطايا الناس.
- تحريف التوراة والإنجيل.

كما قد أورد القسيس القوطي بعض الشبهات والاعتراضات على تعاليم الإسلام التي ردّ عليها أبو عبيدة في كتابه.

ملاحظاتنا على رسالة القسيس ورد الخزرجي عليها:

اتسمت رسالة الأسقف الطليطلي بطبيعة عدوانية مستفزة، وتسربلت بروح

(١) نشر مكتبة وهبة في القاهرة ١٩٨٥م.

صليبية ملؤها الاستعلاء والتشفي، وهذه سمة معروفة للغرب المسيحى أو للمسيحية الغربية ضد الإسلام واليهودية والمسيحية الشرقية أيضًا.

كما أن رسالته قد ابتعدت عن الموضوعية كلية، وامتلأت بالسب والشتم والانتقاص والتسفيه.

ومما يسترعى النظر أن تلك الرسالة قد طرحت عددًا كبيرًا من الشبهات النمطية ضد التعاليم الإسلامية، ومما يلاحظ أن هذه القائمة من الشبهات شكلت - فى العقل الغربى - أكلشيهات محنطة منذ القرن الهجرى الأول، ممثلة فى كتابات يوحنا الدمشقى الجدلية الذائعة - وقد كان المقصود بإذاعة تلك الصورة المشوهة الكالحة للإسلام والإلحاح عليها بشكل فج، تحصين المواطن الغربى ضد الإسلام، وذلك بتسميم عقله ووجدانه، وجعله كارهًا للإسلام خائفًا منه، مزدريًا له.

وقد استمرت المسيحية الغربية تنسج ملامح هذه الصورة المزيفة للإسلام عبر القرون، من خلال مئات وآلاف من الكتب والرسائل المملوءة بصنوف التزوير والتحريف والتخريف عن الإسلام، ومن هذه الكتب:

- كتاب المحاورة ليوحنا الدمشقي.

- رسالة الهاشمى ورد الكندى عليها.

- ورسالة بولس الراهب التى رد عليها ابن تيمية فى كتابه الضخم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» كما رد عليه القرافى فى «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة».

- وكتاب: الهداية (أربعة مجلدات).

- وكتاب: الباكورة الشهية.

- وكتاب: تنوير الأفهام بمصادر الإسلام.

- وكتاب: دعوة المسلمين إلى مطالعة الكتاب المقدس الثمين.

- وكتاب: أخواتنا المسلمات.

- ومنها:

-Christian Witness Among Muslims.

-How ASufi Found His Lord, by Bishop Subhan.

SSin and Atonement in Islam and Christianity.

-The Cross in the Gospel and the Quran.

-Notes on Islam, by Emory van Gerben.

-Islam and the Gospel of God by. H Spencer.

-Islam and Christian Theology, by J. W. Sweeten.

-Muslim World Evangelican Literature Series.

-The Gospel and Islam A 1978 Compendium.

وهو مترجم إلى العربية بعنوان «الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى مدينة جلين آيرى بولاية كولورادو فى الولايات المتحدة الأمريكية».

ـ وكتاب ميزان الحق، للقس الدكتور فندر Pfinder ، الذى رد عليه رحمة الله الهندى فى كتابه الذائع «إظهار الحق».

وقد أشار الطاهر البيروتى فى كتابه «العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية» الذى حققناه ونشرناه من قبل إلى كتب أخرى.

وآخر هذه الكتب هو كتاب بعنوان:

Behind The Veil... Unmasking Islam

وهو يجمع كل الشبهات التى نسجتها العبقرية المسيحية الغربية ضد تعاليم الإسلام منذ البداية الأولى على يد يوحنا الدمشقي، ومروراً براهب دير كلوني، وأسقف طليطلة القوطى الذى رد عليه أبو عبيدة الخزرجى وبولس الراهب الذى رد عليه ابن تيمية والقرافى.

وللحق أقول: إن كتابات غربية محايدة وموضوعية قد ظهرت لتنفى عن

الإسلام هذه الشبهات وتدحضها وتتهم الكتابات الغربية التقليدية عن الإسلام بالتزييف والكذب والجهالة، ولعل أواخر تلك الكتابات الغربية الموضوعية كتاب الدكتورة كارين آرمسترونج بعنوان: سيرة النبي محمد: وقد ترجمه صديقنا الأستاذ الدكتور محمد عناني والأستاذه الدكتورة فاطمة نصر ونشر مؤخراً.

أما ملاحظاتنا على رد أبي عبيدة الخزرجي فإن هذا الرد لا يخلو من نبرة انفعال واضحة، وهو أمر مبرر في ظل الظروف التي كان يعيش فيها مسلمو طليطلة بعد انكسارهم وسقوط دولتهم وتحولهم إلى أقلية مضطهدة خاضعة لجبروت حكام قشتالة ورجال الدين المسيحي الذين يحاولون تنصيرهم بكل الطرق، بعد أن نقضوا معهم العهود وخانوا الوعود.

ونلاحظ سعة اطلاع الخزرجي على الكتابات المسيحية؛ سواء أكانت أسفار العهدين القديم والجديد O. and. N. Testament ، أم دراساتهم اللاهوتية والفقهية ويدل على ذلك كثرة استشهاداته بنصوص تلك الأسفار وبأقوال علمائهم وفلاسفتهم.

ثالثًا: بين كتاب «تثليث الوحدانية وكتاب «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام» للقرطبي الفقيه المفسر المتوفى سنة ٦٧١هـ.

وقصة هذه المحاورة الجدلية أن كاتبًا نصرانيًا من طليطلة قد كتب كتابا بعنوان «تثليث التوحيد» ينتصر فيه للمسيحية ويكشف بزعمه عن نقائص الإسلام ومعايبه، وبعث بكتابه هذا إلى قرطبة. وقد وقف عليه الإمام القرطبي ـ لعلَّه المفسر ـ ، فأمعن النظر فيه، فاستخار الله تعالى في الجواب عليه، ومن ثم كتب كتابه «الإعلام».

وعلى الرغم من أن ناشر الكتاب يشكك في نسبة الكتاب إلى القرطبي المفسر فإننا لا ننفي هذه النسبة لسبب علمي واضح هو أن القرطبي قد أشار إلى شيء من محتويات هذا الكتاب في كتابه المعروف «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، وعلى ذلك فلا معنى للتشكيك الذي لا يستند إلى دليل.

جاء الكتاب في أربعة أبواب ومقدمة.

- ناقش في الباب الأول مذاهب النصارى في الأقانيم وجادلهم فيها ورد على مقولاتهم.

- وناقشهم في الباب الثاني في مسألة الاتحاد والحلول وجادلهم وأبطل مذاهبهم.

- ثم حاورهم في موضوع النبوات وتوسع فيه، واستدل فيه على نبوة محمد ﷺ. . . أما الباب الرابع فقد خصصه لبيان أن النصارى متحكمون في عقائدهم وأنهم لا مستند لهم إلا محض أغراضهم وأهوائهم وناقش فيه أسرار الكنيسة السبعة وشعائرهم وطقوسهم، ثم ذكر فيه عقائد الإسلام وقارن بينها وبين عقائد النصاري، ورد على شبهات النصارى عن الإسلام وفندها.

ولقد أظهر القرطبى اطلاعًا واسعًا على أدبيات النصارى المختلفة، وآية ذلك هذه الكتب العديدة التى تعرض لها وناقش بعض أفكارها مثل كتاب «المسائل» و«الحروف» ومصحف العالم الكائن «لأوغسطينوس، وكتاب القسيس حفص الطليطلي، ورسالة أسقف ليون إلى أساقفة صقلية، وقوانين أساقفة الأندلس للرعية. ويليون الجاثليق فى رسالته لـ «ليون» «الملك» إلى غير ذلك من كتب ورسائل، علاوة على كثرة استشهاداته ودقتها من أسفار العهدين، ومن الواضح أن الترجمة التى كان ينقل منها تختلف عن الترجمات العربية التى بين أيدينا اليوم، كما أن ترتيب الأسفار إلى إصحاحات وعبارات مرقمة، لم يكن قد تم فى ذلك الوقت.

وقد كان قوى الحجاج طويل النفس، لا يخلو من انفعال وغضب، وإننا نرجح أنه قد استفاد من كتاب ابن حزم رائد علم الأديان فى الأندلس «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» وإن كان لم يذكره باسمه.

أما رسالة «تثليث الوحدانية فى معرفة الله» للكاتب المسيحى الطليطلى فهى كما نقرأها فى النصوص التى اقتبسها منها القرطبى ليرد عليها ويناقشها، فقد كانت

تقليدية لا تخرج عن الإطار العام لهذا النوع النمطي من الرسائل الجدلية المسيحية الإسلامية.

وملاحظتنا الختامية هي أن تلك الرسائل كانت تصدر عادة من الجانب المسيحي أو لا فيتصدي العلماء المسلمون للرد عليها ودحضها فيشتبك الطرفان في حوار جدلي. وتلك كما قلنا كانت سمة غالبة في عصور الانحطاط الحضاري الذي لا يترك فسحة للتسامح والحوار الإيجابي البناء الذي يؤدي إلي التعاون والتآلف بين الأمم والشعوب في ظل تعددية دينية مرعية، وحرية اعتقاد مكفولة، وهذا لم يحدث في التاريخ الوسيط إلا في الدولة الإسلامية كما ذكر آدم متز ذلك من قبل.

والأمر في الأندلس لم يقف عند حد الرسائل والكتب الهجومية التي كتبها علماء النصاري ضد الإسلام، لكن الأمر تجاوز ذلك إلى العمل الدؤوب على اجتثاث الإسلام نفسه من الأندلس، وقد ارتكبت الكاثوليكية في سبيل ذلك أبشع أنواع التطهير الديني والعنصري [1] وإن محاكم التفتيش وفرض العقيدة الكاثوليكية بالقهر والبطش على المسلمين والأرثوذكس واليهود جميعًا لتشكل فصلا حالك السواد في تاريخ الكاثوليكية (المسيحية الغربية) لا تقل في بشاعتها عن الحروب الصليبية، في انتهاكها لحقوق الإنسان الأساسية.. مما يبرر الدعوة الجادة لمحاكمة كبار المسئولين عنها باعتبارهم مجرمي حرب، اقترفوا أفظع الجرائم في حق الإنسانية. وجرائم الحرب لا تسقط بالتقادم، أو بوفاة مرتكبيها وإن مرت عليها القرون المتطاولة.

---

(١) انظر فى ذلك وثيقة أندلسية عن سقوط غرناطة مع دراسة تحليلية للمستشرق J. T. Monro بعنوان : شكوى خطيرة من المنصّرين الأندلسيين إلى السلطان العثمانى «وقد ترجمناها إلى العربية ونشرناها من قبل. دار الجيل بيروت.وانظر كتاب صديقنا الأستاذ الدكتور على الكتانى بعنوان «انبعاث الإسلام فى الأندلس» نشرة الجامعة الإسلامية العالمية فى إسلام آباد، فهو من أوفر المرجع وأدقها فى هذا الباب.

مصادر الفصل

أولا في اللغة العربية.

- آدم متز: الحضارة الإسلامية، ترجمة الدكتور أبو ريده طبعة الهيئة المصرية العامة بمصر صـ ٢٨٨.

- القرطبي: الإعلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام ومحاسن الإسلام وإثبات نبوة محمد ﷺ نشره د/ أحمد السقا، دار التراث بمصر طبعة أولى.

٣ ـ أبو عبيدة الخزرجي: مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان: مخطوط رقم ٤٥٤ جامعة الإمام محمد بن سعود، وقد نشره د/ محمد شامة بعنوان: بين المسيحية والإسلام، مكتبة وهبة بمصر، طبعة أولي.

٤ ـ يوحنا الدمشقي: كتاب المحاورة، مجلة المشرق بيروت.

٥ ـ رسالة الهاشمي ورد الكندي عليها. نشرة القاهرة ١٩١٨م.

٦ ـ رسالة بولس الراهب. منشورة في مجلة المشرق، بيروت.

٧ ـ ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩٠م.

٨ ـ كتاب الهداية (أربع مجلدات)، نشرة بيروت.

٩ ـ كتاب: تنوير الأفهام بمصادر الإسلام. طبعة القاهرة بدون تاريخ.

١٠ ـ كتاب: دعوة المسلمين إلى مطالعة الكتاب المقدس الثمين.

١١ ـ د/ محمد عبدالله الشرقاوي، وثيقة أندلسية عن سقوط غرناطة مع دراسة تحليلية للمستشرق Monro بعنوان شكوى خطيرة من المنصرين إلى السلطان العثماني. دار الجيل، بيروت.

١٢ ـ د/ علي الكتاني: انبعاث الإسلام في الأندلس، نشرة الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد. ١٩٩٣م.

ثانيا: في اللغة الإنجليزية:

يراجع متن البحث وهوامشه.

من أهم مصادر الكتاب ومراجعه (*)

أولا: باللغة العربية:

- إبراهيم خليل أحمد: «إبراهيم فيلبس سابقا»:

محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، الطبعة الخامسة ، دار الوعي العربي، بالقاهرة.

- أيشوعاب بن ملكون مطران نصيبين:

البراهين على صحة الإنجيل، نشرة بول سباط، ١٩٢٩م.

- الباجي، القاضي أبو الوليد (ت ٤٧٤هـ):

جواب القاضي الباجي على رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله، بتحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي، الطبعة الثانية، دار الصحوة بالقاهرة.

- ابن البطريق: سعيد أفتشيوس بطريرك الإسكندرية سنة ٣٢١هـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، نشر بعناية الأب اليسوعي لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، لبنان، ١٩٠٥م.

- بوكاي: موريس:

* الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة ونشر دار المعارف بمصر.

* ما أصل الإنسان. . في ضوء إجابات الكتب المقدسة والعلم؟ ترجمة ونشر مكتب التربية للخليج العربي، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

- الترجمة التفسيرية للكتاب المقدس، توزيع دار الثقافة بمصر ١٩٨٣م.

- ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم:

* الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، نشرة المدني بمصر.

* الفتاوى، نشرة الرئاسة العامة للبحوث العلمية بالرياض.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

المختار في الرد على النصارى، تقديم وتحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٤م.

(*) هذه قائمة جزئية لم نذكر فيها كل المصادر والمراجع التي وردت في صلب الكتاب وهوامشه باللغتين العربية والإنجليزية.

* الجوينى، إمام الحرمين أبو المعالى عبدالملك:

شفاء الغليل فى بين ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل، نشرة أحمد السقا، الرئاسة العامة للبحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٣هـ.

* ابن حزم الأندلسى، أبو محمد:

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، نشرة مكتبة عكاظ - الرياض. ١٩٨٢.

- الرد على ابن النغزيلة اليهودى، تحقيق د. إحسان عباس، نشرة القاهرة ١٣٨٠هـ.

* الخزرجى: أبو عبيدة:

مقامع هامات الصلبان، نشرة الدكتور محمد شامة تحت عنوان «بين الإسلام والمسيحية» مكتبة وهبة بالقاهرة.

* دائرة المعارف الأمريكية، مادة: Bible

* دائرة المعارف البريطانية، مادة Bible

* داود: البروفيسور عبدالأحد:

محمد ﷺ، فى الكتاب المقدس، ترجمة من الإنجليزية الأستاذ فهمى شما، نشرة قطر ١٤٠٥/ ١٩٨٥م.

* باول ديفيز: مخطوطات البحر الميت، ترجمة د. على عبدالجليل راضى، طبعة بالقاهرة.

* رحمة الله بن خليل الكيرانوى الهندى (ت ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م).

- إظهار الحق، طبعة عمر الدسوقى، وطبعة أحمد السقا، وطبعة كمال فراج.

* أبو زهرة، الإمام محمد:

محاضرات فى النصرانية، دار الفكر العربى بمصر.

* سباط: الأب بولس:
مباحث دينية فلسفية لبعض القدماء من علماء النصرانية، ١٩٢٩م.
* سبينوزا: باروخ:
رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفى، نشر الهيئة العامة. للكتاب، سنة ١٩٧٢م.
* سزكين: د. فؤاد:
محاضرات فى تاريخ العلوم، طبعة جامعة الإمام بالرياض ١٩٧٩.
* سعيد: د. عبدالستار فتح الله:
- معركة الوجود بين القرآن والتلمود، نشرة القاهرة بدون تاريخ.
* السموأل بن يحيى المغربى:
افحام اليهود، بتحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوى، دار الهداية بالقاهرة ١٩٨٦م.
* الشرقاوى: د. محمد عبدالله.
تأملات حول وسائل الإدراك فى القرآن الكريم، عالم الكتب بالرياض ١٩٨٢م.
* الطبرى: على بن ربن:
الدين والدولة فى إثبات نبوة سيدنا محمد ، بتحقيق عادل نويهض دار الآفاق، بيروت.
* عبدالوهاب: أحمد:
المسيح فى مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، بالقاهرة، ١٩٧٨م.
* ابن العبرى: جريجوريوس:
مختصر تاريخ الدول، بتحقيق الأب أنطوان الصالحانى، نشرة دار الرائد، بيروت. طبعة ثانية.

* **العسقلانى الحافظ: ابن حجر:**

فتح البارى شرح صحيح البخارى، بعناية الشيخ عبدالعزيز بن باز توزيع إدارة البحوث العلمية بالرياض.

* **الغزالى: حجة الإسلام أبو حامد:**

الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، بتحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوى، الطبعة الثانية، دار الهداية بالقاهرة ١٩٨٦م.

* قاموس الكتاب المقدس، بإشراف د. بطرس عبدالملك، والدكتور طمسون.

* **القرطبى المفسِّر:**

الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، نشرة دار التراث العربى بالقاهرة، ١٩٧٩م.

* **القرافى: أحمد بن إدريس الصنهاجى:**

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الفاتح بتركيا، (رقم ٤٠٤ قسم المخطوطات، جامعة الإمام).

* **ابن كثير الحافظ المفسر المؤرخ:**

- تفسير القرآن العظيم، نشرة دار الشعب. القاهرة.
- البداية والنهاية، نشرة مكتبة الصلاح بالرياض.
- قصص الأنبياء، بتحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، طبعة القاهرة.

* **كرم: يوسف:**

تاريخ الفلسفة اليونانية، طبعة دار القلم، بيروت.

* **ابن كمونة اليهودى سعيد بن منصور:**

تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، نشر بعناية المستشرق اليهودى موشى برلمان، لوس إنجلوس، ١٩٦٧م.

* وافى: د. على عبدالواحد:
الأسفار المقدسة للأديان السابقة على الإسلام الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر.

* يحيى بن عدى اليعقوبى:
ـ إثبات صدق الإنجيل عن طريق القياس والبرهان.
ـ اختلاف لفظ الأناجيل ومعانيها.
نشرهما بولس سباط سنة ١٩٢٩م.

ثانيا: اللغة الإنجليزية:

*F Owen cole , Six Religions in the Twenteith Century, Hulton, 1984.

والمؤلف معروف جيدا بكتاباته عن الأديان العالمية وهو يقوم بتدريس علم الأديان فى العديد من المعاهد اللاهوتية وأقسام الأديان فى جامعات بريطانيا فى الوقت الحاضر.

*R.F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983.

يعمل المؤلف أستاذا للعهد الجديد (الأناجيل والرسائل) فى عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية.

*A. Deedat Is the Bible God's word??,Durban, South Africa, 1982

قد حصل هذا المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية.

*James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963.

*Martin Hengel, Judaism and Hellenism, SCM Press, London, 1981.

----------, Jews, Greeks, and Barbarians, SCM, 1980.

هذان المؤلفان من المصادر المهمة فى رصد ما تسرب إلى الديانة اليهودية من الأفكار السائدة؛ سواء أكانت إغريقية، أم هلنستية، أم أسطورية خرافية.

FF. Grant, The Gpspells, Their origins and their Growth, London, 1057.

*Curt Kuhl, The old Testament; Lts original Composi- * tion, London, 1961.

W.G. Kummel: Introduction to the N. T., 1975.

وهو من أهم الكتب التى تعرف بالعهد الجديد بشكل متكامل، وينتمى مؤلفه إلى المدرسة الألمانية، وقد ترجم الكتاب من اللغة الألمانية إلى الإنجليزية How ARD، وقد شغل المؤلف والمترجم وظيفة أستاذ العهد الجديد فى بعض الجامعات الغربية البريطانية والألمانية والسويسرية. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الكتاب قد نشر لأول مرة سنة ١٩٠٥م.

*J. Fenton , Saint Methew,1963.

*The Lost Books of the Bible and the Forgotten Books of EDEN, Maridian, USA, 1926 - 1947.

ولهذا الكتاب أهمية عميقة جدا حيث إنه يضم مجموعة خطيرة من نصوص الأناجيل والرسائل التى رفضها مجمع نيقية المسكونى الأول سنة ٣٢٥م والمجامع التالية له.

*D.M. Mackinnion, H.A. Williams A.R. Vidler, J.S. BEZZANT:

OBJECTIONS To Christian Belief, 1964.

Cambridge 1963, Philadelphia and New York.

يضم هذا الكتاب أربعة بحوث خطيرة لأربعة أساتذة متخصصين فى الدراسات المسيحية؛ ويتناول المبحث الأول الاعتراضات الأخلاقية، ويوجه البحث الثانى اعتراضات سيكولوجية، ويقدم الثالث اعتراضات تاريخية، ويوجه الأخير اعتراضات عقلية إلى العقيدة المسيحية المعاصرة. ومما يذكر هنا أن هؤلاء الأساتذة المتخصصين فى الدراسات المسيحية قد كتبوا مؤلفا خطيرًا جدًا بعنوان:

*Objection To Roman Catholicism.

وقد نشر الكتاب فى لندن سنة ١٩٦٤

*John Marsh, Saint John, Penguin Book, 1970.

*Wayne A Meeks, The Writings of st. Paul, London, 1982.

*Bruce M. Metzger, The Text of the NT. its Transmission, Corruption, and Restoration, Oxford university Press, 1968.

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة جدا فى دراسة العهد الجديد وتطوره ومدى قانونية كتبه.

وينتمى المؤلف إلى المدرسة الألمانية المعروفة بدراستها النقدية الحرة للكتاب المقدس؛ فهو امتداد لأمثال هورن وكريسباخ وغيرهما.

*I an Mohe: Thischendort and the Codex Sinaiticus, NT. studies, 1971.

*The NaG Hammadi Library in English,

وقد ترجمت مجموعة النصوص النادرة هذه إلى اللغة الإنجليزية ونشرت بإشراف الأستاذ الدكتور James M. Robinson فى دار النشر Harper and Row, 1978.

*Nenham, Saint Mark, Penguin Books, England, 1963.

*Potter, The Lost Years of Jesus Revealed, New York, 1063.

☆ A. Soggin, Introduction to the old Testament, SCM London

☆ James Hastings, Dictionary of the Bible, New York, 1963

☆ Curt kuhl ,The old Testament : its original compositon, London, 1961

☆ Raymond F. Collins, Introduction to the New Testament, SCM Press, London, 1983

☆ Werner Georg küMMEl, Introduction to the New Testament,

Translated by HowARD C.Kee, Fifth Printing 1984 (Abing don Press) والجدير بالذكر أن هذا المرجع قد وضع سنة ١٩٠٥ م باللغة الألمانية

☆ The lost Book of the Bible, USA, 1974

☆ The Forgotten Books of Eden, USA. 1974

☆ The NaG HAMMADY LiBrary in English, U.S.A, 1981

☆ ELAINE PAGELs, The Gnostic Gospels, Benguin Book, 1985

☆ WiLLiAM BARClY, The Gospels and Acts, Volume 1 and 2, SCM Press, London, 1976, 1982

☆ RoBert M. Grant, Historical Introduction to the new Trstament, London, 1972

☆ Reginald H. Fuller, A critical Introduction to the New Testament, Duckworth, London, 1979

☆ Bruce Mamning Metzger, The TeXt of the New Testament : Its Transmission, Corruption and Restoration.

oXFord Univ Press 1968, USA 7th 1980

☆ F.F. Bruce, The Book of the « ACTs » : The New internatinal Commentary of the New Testamant. EERDMANS puB. Co. 1984

☆ ERNST KÄSEMANN, Essay on New Testament Themes, SCM Press German s ed Ed 1960, 5th ed, 1981

☆ W.H. Schmidt, Inlroduction to the OLd Testament, SCM, London

☆ Ralph P. Martin, New Testament Foundation : A Guide for Christian Students.

Volume 1 : The Four Gospels, USA 1975

Volume 2 : The Acts, The Epistles and the Apocalypes U.S.A 1983

المحتويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
بين يدى هذه الطبعة	٥
مقدمة الطبعة الأولى	٧
الفصل الأول:	
الدين	١١-٢٨
الفصل الثاني:	
مناهج دراسة الأديان فى الفكر الإسلامى	٢٩-٥٢
الفصل الثالث:	
الإسلام فى كتابات علماء مقارنة الأديان الغربيين	٥٣-٧٨
الفصل الرابع:	
مجمع البحرين (الهندوسية والإسلام) للأمير محمد دارا شيكوه	٧٩-١١٦
الفصل الخامس:	
تعريف وجيز بأسفار العهدين: العهد القديم والعهد الجديد	١١٧-١٤٤
أولا: أسفار العهد القديم	١١٩
المجموعة الأولى: الأسفار الخمسة «التوراة»	١٢٠
المجموعة الثانية: الأسفار التاريخية	١٢٢
المجموعة الثالثة: الأسفار الشعرية	١٢٤
المجموعة الرابعة: أسفار الأنبياء	١٢٤
ثانيا: أسفار العهد الجديد	١٢٩
الأناجيل الأربعة	١٣١
سفر أعمال الرسل	١٣٢
الرسائل المقدسة	١٣٢

الموضوع	الصفحة
سفر رؤيا يوحنا	١٣٤
جـدول يضم قـوائم أسفـار العـهـد القديـم المعتـمـدة عند الروم الكاثوليك، والأسفـار المعتمدة عند الأرثوذكس، والبـروتستانت، واليهود.	١٤٠
ـ ملاحظات على الجدول	١٤٢
ـ مراجع للتوسع فى معرفة أسفار العهدين	١٤٤
الفصل السادس:	
أقدم مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها	١٤٥-١٥٨
مصورات لبعض صفحات مخطوطات العهدين.	١٥٧
الفصل السابع:	
النقد العلمى لسند التوراة وبقية أسفار العهد القديم	١٥٩-٢٢٩
ـ ثبت بالأسفار التى نسبت زوراً إلى موسى وعيسى عليهما السلام وإلى مريم والحواريين	١٦١
رأى سبينوزا فى سند العهد القديم	١٦٥
سبينوزا يشرح الفكر النقدى للحبر ابن عزرا الغرناطى	١٧٠
سبينوزا يفحص سند الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى (التوراة)	١٧٥
أين توراة موسى؟	١٧٨
سبينوزا ينقد سند بقية أسفار العهد القديم	١٨٠
سفر يشوع	١٨٠
سفر القضاة	١٨٢
سفر صموئيل	١٨٢
هل وضع هذه الأسفار مؤلف واحد أو أكثر؟	١٨٢

الموضوع	الصفحة

هل عزرا هو الذى كتب هذه الأسفار؟ ١٨٣
ابن حزم يفحص سند التوراة وأسفار العهد القديم ١٨٦
وجوه من النقد الخارجي ١٩٠
ابن حزم يفحص سند سفر يشوع ٢٠٦
أبو المعالى الجوينى يفحص سند التوراة ٢٠٧
السموأل بن يحيى المغربى يفحص سند التوراة ٢١٠
رحمة الله الهندى يفحص سند التوراة ٢١٤

الفصل الثامن:

الأناجيل سندا ومتنا ٢٣١-٢٧٤
توطئة ٢٣٣
منهج الدراسة ٢٣٤
يوحنا وإنجيله ٢٣٤
بولس ورسائله ودوره الخطير ٢٤٢
مرقس وإنجيله ٢٥١
متى وإنجيله ٢٥٩
بطرس ورسالتاه ٢٦٦
لوقا وإنجيله ٢٦٩

الفصل التاسع:

النبوة والأنبياء فى التوراة والقرآن الكريم ٢٧٥-٣١٢
- الأنبياء وحاجة البشر إليهم. ٢٧٧
- نوح عليه السلام بين التوراة الحالية والقرآن الكريم ٢٧٩
- لوط عليه السلام بين التوراة الحالية والقرآن الكريم ٢٨٢

الموضوع الصفحة

- إسماعيل وإسحاق عليهما السلام فى التوراة والقران الكريم ٢٨٦
- إسحاق ويعقوب عليهما السلام فى التوراة والقرآن الكريم ٢٩٠
- موسى وهارون عليهما السلام فى التوراة والقرآن الكريم ٢٩٥
- داود عليه السلام فى التوراة والقرآن الكريم ٢٩٩
- سليمان عليه السلام فى التوراة الحالية والقرآن الكريم ٣٠٦

شعر غزلى فاحش تنسبه أسفارهم إلى سليمان عليه السلام ٣٠٩

الفصل العاشر:

مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ٣١٣-٣٤٢

- مقومات الشخصية الإسرائيلية فى التوراة الحالية ٣٢٠
- مقومات الشخصية الإسرائيلية فى الإنجيل ٣٣٠
- مقومات الشخصية الإسرائيلية فى القرآن الكريم ٣٣٤

الفصل الحادى عشر:

الحوار الإسلامى المسيحى فى الأندلس: ملامح ونماذج ٣٤٣

من أهم المصادر والمراجع: بالعربية والإنجليزية ٣٦٣

المحتويات ٣٧١

مؤلفات الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ٣٧٥

مؤلفات الدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوى

أولا: دراسات:

١ ـ فى مقارنة الأديان، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٢ ـ الإيمان، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٣ ـ مدخل نقدى لدراسة الفلسفة، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٤ ـ القرآن والكون، ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٥ ـ الاستشراق: دراسات تحليلية تقويمية، ط١، دار الفكر العربى بالقاهرة.

٦ ـ الفكر الأخلاقى: دراسة مقارنة،، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٧ ـ الأسباب والمسببات فى الفكر الإسلامى (رسالة دكتوراه بدار العلوم، ١٩٨١م)، ط١، دار الجيل، بيروت.

٨ ـ الصوفية والعقل (رسالة ماجستير بدار العلوم، ١٩٧٨م)، ط١، دار الجيل، بيروت.

٩ ـ الاتجاهات الحديثة فى دراسة التصوف الإسلامى، ط١، دار الفكر العربى بالقاهرة.

١٠ ـ منهج نقد النص بين ابن حزم واسبينوزا، ط١، دار الفكر العربى بالقاهرة.

١١ ـ دراسات فى الملل والنحل، ط٢، دار الفكر العربى بالقاهرة.

ثانيا: تحقيقات علمية:

١٢ ـ ابن الأنبارى وآراؤه الكلامية.

١٣ ـ فى الفكر الإسلامى المعاصر ـ تحليل وتقويم.

١٤ ـ المنطق ومناهج البحث، دار النصر بحرم جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

١٥ ـ تحقيق كتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) لأبى حامد الغزالى، ط٣، دار الجيل، بيروت.

١٦ ـ تحقيق كتاب (إفحام اليهود) للسموأل بن يحيى المغربى ـ كان حبرا يهوديا فأسلم، ط٣، دار الجيل، بيروت.

١٧ ـ تحقيق (رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضى أبى الوليد الباجى عليها)، ط٣، الرياض.

١٨ ـ تحقيق كتاب (النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية) لنصر بن يحيى المتطيب ـ كان عالما نصرانيا فأسلم، دار الصحوة بالقاهرة.

١٩ ـ تحقيق كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية)، ط٢، دار الجيل، بيروت.

٢٠ ـ تحقيق كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية)، ط٢، دار الجيل، بيروت.

٢١ ـ تحقيق كتاب (مسالك النظر في نبوة سيد البشر)، تأليف سعيد بن حسن الإسكندرانى ـ كان يهوديا فأسلم، ط٢، مكتبة الزهراء بالقاهرة.

٢٢ ـ الكنز المرصود فى فضائح التلمود، ط٢، دار الجيل، بيروت.

٢٣ ـ ترجمة ـ دراسة چيمس مونرو لوثيقة أندلسية حول سقوط غرناطة ـ ط٢، دار الجيل، بيروت.

٢٤ ـ مقارنة الأديان، الكتاب الثانى.

رقم الإيداع	٢٣٢٩ / ٢٠٠٠
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 1311 - 4

هذا الكتاب

لقد أثمرت الحضارة الإسلامية للفكر الإنسانى علما جديدا بالغ الأهمية ، هو علم «مقارنة الأديان» ، ولأول مرة في تاريخ الإنسانية تصبح دراسة عقائد الشعوب وأديانها - دراسة علمية منهجية بهدف فهمها ووصفها وتحليلها ومقارنتها والتأريخ لها ورصد تطورها - أمرا مشروعا . وقد أصبح ذلك متاحا؛ لأن الحضارة الإسلامية - إبان ازدهارها - قد أشاعت مناخا من التسامح والانفتاح والتواصل والاعتراف بالآخر ، وقبول التعددية كسنة إلهية حاكمة .

ومما يذكر أن علم « مقارنة الأديان Copmarative Religion » لم يظهر في الغرب إلا فى منتصف القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك التاريخ تنافست جامعات الغرب فى دراسته وتدريسه ، أما نحن فى العالم العربى والإسلامى فقد أهملناه إلى حد بعيد.

وهذا الكتاب هو الأول من (سلسلة دراسات فى الأديان) تصدرها دار الفكر العربى تباعا للمؤلف بإذن الله .



د. محمد عبد الله الشرقاوى

* ولد بمحافظة قنا فى ٥/ ١١/ ١٩٥٠م.
* درس فى الأزهر ودار العلوم والجامعة الأمريكية بالقاهرة .
* حاضر فى العديد من الجامعات المصرية والعربية والدولية .
* صدر له أكثر من عشرين كتابا بين تأليف وتحقيق وترجمة .
* ناقش وأشرف على أكثر من خمسين رسالة ماجستير ودكتوراه فى مصر وخارجها.
* شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات الدولية.
* عضو عامل فى بعض الجمعيات والهيئات والمجالس العلمية .
* أسهم مع بعض كبار العلماء - بتكليف من منظمة اليونسكو - فى تحرير كتاب عن الإسلام بعنوان « Foundations Of Islam ».
* له عناية خاصة بعلم (مقارنة الأديان) وقد أسهم فى تأسيس مناهجه فى الجامعات المصرية والعربية والدولية وجامعة الأزهر .
* عمل رئيسا لقسم مقارنة الأديان فى الجامعة الإسلامية العالمية (IIU) وقام بعمل نائب رئيس الجامعة للشئون الأكاديمية .
* ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية .
* اختير محكما فى عدد من المجلات العلمية فى مصر وخارجها.